
رواياتي
Rwaiaty.com
رواية
كيمتريل
أحمد بدران

كيمتريل

الكتاب: كيمتريل

الكاتب: أحمد بدران

تصميم الغلاف: كريم آدم

تدقيق لغوي: د/ سيد الشريف

رقم الإيداع: 2014/22524

الترقيم الدولي: 978-977-778-124-5

الطبعة الثالثة: 2017



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت:35860372 02 -27772007 011

Noon_publishing@yahoo.com

أحمد بدران



رواية




رواياتي
Rwaiaty.com

إلـــى من يدفع العالم بخطى متسارعة نحو الحافة..


Rwaiaty.com

بعد زحف الجيش الإغريقى على مصر بقيادة الإسكندر الأكبر وبعد مواجهات ضارية سحق خلالها الفرس وأنزل بهم شر هزيمة حتى تمت له السيطرة الكاملة على مصر عام 333 ق.م، نال ترحابًا شديدًا من المصريين الذين اعتبروه الخلاص من ظلم وبطش الفرس وتأكيدًا من جانب الإسكندر على حسن نواياه ذهب لزيارة معبد آمون إله القدماء المصريين الأعظم وقتها حيث قام كهنته بتتويجه كابن للإله أمون تقديرًا له .

بعد الانتهاء من مراسم التتويج وأثناء عودته، مرَّ على قرية صغيرة على ساحل البحر المتوسط تسمي قرية (راقودة) لمس فيها سحرًا خاصًا وراق له موقعها كهمزة وصل بين مصر واليونان، استدعى المهندس الملكى الأسطورة (دينوقراطيس) وكلفه ببناء مدينة على تلك البقعة، تكون حديث العالم وتخلد اسمه أبد الدهر


Rwaiaty.com

الفصل الأول

(332 ق.م، قرية راقودة)

سيد (دينوقراطيس) لقد تم الردم في معظم الأجزاء كما أمرت تمامًا

أومأ المهندس(دينوقراطيس) لمساعده بالموافقة، ثم أخذ يتفحص مجسمات المدينة أمامه توضح كيفية ردم المساحة الواصلة بين قرية (راقودة) وجزيرة صغيرة تدعى (فاروس) لتقام فى المساحة الواصلة بينهما مدينة الملك الساحرة بعد أن قرر تسميتها بمدينة الإسكندرية[1].

تلاحظ لمهندس الملك تردد مساعده فرفع وجهه إليه فى تساؤل بنظرة كانت أذنًا له بالحديث، خطا المساعد نحو المجسمات ثم أشار لنقطة صغير فى منطقة الردم :

– هذه النقطة سيدى إنها هوة سحيقة تحت البحر، القينا داخلها أطنان من الردم فابتلعتها عن آخرها، ثم شاهد بعض العمال الليليون أضواء نابعة من داخلها دون أن يجدوا لها مصدر أثارت فزعهم وفروا لها هاربين

وجم واقتضب دينوقراطيس ثم تساءل

– كم كمية الردم التي أسقطتها هناك

– حوالي عشرة أضعاف ما احتاجته المناطق المجاورة .

---

1 – (حقيقة).

بُهت المهندس ووجد التوجس طريقًا لقلبه و بعين زجاجية نظر للمجسمات دون أن يراها، أسبل جفنية، زفر، مسح جبينه براحتيه ثم عاد للمساعد :

لدينا جدول زمنى لإنشاء المدينة، مولاي الملك يريدنا الالتزام به، قم بتعليق حجارة كسقف صخري يعلو تلك المنطقة، لاتردم فوق السقف، فقط اترك سورًا صغيرًا حولها حتى نعود أدراجنا إليها فيما بعد لنعرف ما خطبها.

أومأ المساعد برأسه إيجابًا، ثم غادر الغرفة، تاركًا المهندس دينوقراطيس يزيد من شعلة لهب السراج فوقه يدقق النظر لتلك البقعة من المجسمات أمامه و داخل رأسه تتلاطم الأفكار وتتصارع .

****

أوائل القرن الماضي

الإسكندرية

لم يكن يتوقع أن يتزوج أبيه بهذه المرأة القاسية المتسلطة التي أذاقته العذاب ألوانًا بلا أي ذنب أو خطأ اقترفه حتى أبوه لم يسلم من أذاها، بات لا يجرؤ على معارضتها تجنبًا لصراخها فى وجهه فيضطر أن يخالف طبيعته المسالمة ويبادلها الشجار اعتبارًا لطفله وللجيران، كان يتساءل يوميًا أي لعنة حطت عليه وأقنعته أن هذه الشيطانة سوف ترعاه مع ابنه بعد وفاة زوجته السابقة أم الطفل.

فلم يدر من أين جاءته الفكرة تحديدًا لعله شاهد مثيلتها في التلفاز، أو لعلها جاءته بالفطرة، أو لعل شيئًا آخر كان يدفعه دفعًا نحو قدره، لكنه قرر تنفيذها على أية حال، مسح الطفل (مسعود) ذو العشرة أعوام عينيه

من الدموع، وهو يخرج من باب الشقة على أطراف أصابعه في هذه الساعة المتأخرة من الليل بعد نوم تلك الشيطانة، كان يحب والده فى السابق لكنه الآن لم يعد قادرًا على حمايته، جحيم مستعر سليوذ منه بالهرب بلا هدف أو مأوى، ضم دميته القطنية إلى صدره يستمد منها الطمأنينة والدفء

وقف للحظات مترددًا على أعتاب البناية ، هل حقًّا سيخرج وحده لذلك العالم القاسى، لمحة واحدة من تعذيب زوجة والده له شحنت جرأته ودفعته للخارج يخطو عبر شوارع الإسكندرية الخالية يتنقل من شارع لآخر، تتلقفه صفعات الهواء الباردة يرتجف لها جسده وتتجمد لها أطرافه حتى وصل إلى الشارع الرئيسي الذي يطل على البحر، سار بمحاذاته وحيدًا وسط المدينة النائمة والشوارع التى أنهكها صخب النهار غارقة في صقيع وسكون إلا من هدير أمواج البحر المتكسرة فوق صخور الشاطئ تهدر بلا انقطاع، تلقي بالرذاذ إلى الشارع ليتناثر على وجهه مختلطًا بدموع الخوف والضياع التي تسيل من عينيه، مترنحًا في مشيته، هائمًا بلا هدى، يمضي بنصف وعى، يفيق من وقت لآخر على صوت عربة تجرها الخيول أو سيارة من السيارات التى ظهرت فقط منذ أقل من عشر سنوات تمر مسرعة في الشارع الخاوي، يتوقف ويتابعها ببصره في رعب حتى تعبر ويطمئن أنها لن تؤذيه فيكمل مسيرته إلى المجهول الذي يقبع ساكنًا ينتظره عند تلك المنطقة حيث ذلك السور الصغير نصف المتهدم يحيط بفجوة تبعد عن سطح الأرض بحوالي مترين ونصف، ليكون الساتر الوحيد الذي وجده هناك من لفحات البرد القارص .

أسلم إليه ظهره وتقوقع على نفسه وضم دميته إلى صدره في محاولة يائسة لتدفئة جسده الذي لا يكف عن الارتجاف خوفًا وبردًا يغمغم بصوت خافت متهدج وهو ينشج:

- يارب أغادر هذه الدنيا كلها، وأذهب لأناس تحبنى.

أغلق عينية فى إرهاق ونعاس بدأ يزحف على عقله تجددت الدموع تسيل دافئة على وجنتيه حتى راح روعه وهدأت أنفاسه، و راح فى ثبات عميق تراخت له يداه وبدأ رأسه يميل .

- لِمِ البكاء يا بُنَيّ؟

على الرغم من الصوت الهادئ الذي نُطقت به هذه العبارة، إلا أن الطفل وثب مفزوعًا، يتلفت حوله بحثًا عن مصدر الصوت، وقد ظن أن زوجة أبيه قد تبعته إلى هنا إلا أن الشوارع الخاوية إلا من بعض الكلاب الضالة التي تنبح بلا هدف أورثته مزيدًا من الفزع والضياع وشرع يغادر المكان لولا أن عاوده الصوت :

- لا تخش شيئًا يا مسعود؛ أنا هنا لأساعدك

تجددت دموع الطفل بعد أن عاودته نوبة البكاء، تراجع وعيناه مركزتان على الحفرة داخل السور يعتقد أن الصوت نابع من وسطها

سرعان ما تأكدت له ظنونه ومن داخل الحفرة برزت فتاة صغيرة فى مثل سنة تقريبًا، رائعة الجمال ببشرتها البيضاء المتناغمة مع ثوبها الذى يحمل نفس اللون، وعينيها اللتين تنافسان زرقة البحر، وشعرها الأسود الطويل المنسدل على كتفيها تتلألأ حولها أضواء أخاذة، تحبو تدريجيًا كلما اقتربت منه حتى أمسكت بيده قائلة له بصوت هادئ حالم:

- هل تريد حقًا أن تغادر هذه الدنيا، وتعيش مع أفراد يحبونك و لا يؤذونك؟!

أومأ الطفل برأسه إيجابًا فى ارتياب ومازالت الدموع تتساقط من عينيه، مسحت دموعه بأناملها مكملة بنفس الصوت الهادئ والابتسامة العذبة .. إذن تعال معي ولا تخف

لم يكن سن الطفل يسمح له ببحث مدى منطقية ما يحدث حوله، فقط هى فتاة فى سنه تتحدث إليه بدفء وتمسح دموعه ليكن ذلك مبررًا كافٍ حتى يذهب معها لآخر الدنيا

عندما وصلا للحفرة، أحاطت جبينه بطوق حماية ثم همست له بنفس اللهجة الحالمة والابتسامة العذبة

- سيكون الأمر كما لو كان حُلمًا تعيشه بعقلك، لن تشعر بأى ألم ، فقط بعض الخدر والدوار، أعلم أنك لا تفهم شيئًا مما أقوله ولكن لا يهم فسوف تفهم يومًا .

توهجت أضواء عجيبة داخل البئر وأخرى حول الفتاة والطفل ، تحملهم حملًا إلى داخل الحفرة التي تحطم جزء من صخور قاعها، غابا داخلها، ابتعلتهم الأضواء فى صمت، تلاشت كل الرؤية أمام الطفل بخلاف ضوء أبيض مبهر أغشى بصره ثم راحت تخبو تدريجيًا حتى ساد الظلام .

****

بعد أن نشرت شمس الشتاء خيوط ضوئها الشاحب على الإسكندرية إذانا ببدأ صباح اليوم التالى وبالأخص منطقة سيدى بشر، احتشد عدد من الفضوليين يتزاحمون للوصول لحفرة قرب الشاطيء فرض عدد من أفراد الشرطة حولها سياج مانع، وأحد الضباط يتحدث بلا توقف عبر جهاز الإرسال يحث من على الجانب الآخر بسرعة المجيء حيث وجدوا جوار الفجوة دمية قماشية تعرف عليها أب مكلوم فقد ابنه، فظل يبكى جوار سور الحفرة يرنو ببصره عبر حافتها عله يلتقط أى أثر لمسعود ابنه بلا جدوى، فثبت لديه يقين بأن الأمواج جرفته عبر البئر لمياة البحر

- أرجوكم أيها السادة، تراجعوا قليلًا حتى ننتهي من المعاينة

صاح الشرطى مادًا ذراعية يحجز جيش من الفضوليين عن الحفرة التى سقط داخلها طفل

ولكن فى الحقيقة ذلك لم يكن سبب الزحام الشديد حول المنطقة

بل ما أثار فضول سكان المنطقة حقًا هو ذلك الجزء الصخري المتحطم في قاع هذه الحفرة، كاشفًا عن فجوة مائية متصلة بالبحر ألهبت عقولهم، وأعادت إليها بعض الأساطير القديمة التي تحوم حول تلك المنطقة مما جعلهم يتدافعون في محاولات الاقتراب والتقاط الصور لها الأمر الذى دعا الشرطي أن يعيد هتافه عبر جهاز اللاسلكي، مطالبًا من على الجانب الآخر بسرعة إرسال فريق البحث الجنائي قبل أن يلتهمها الفضوليون ويطمسون كل أثر متروك فيها أثناء محاولاتهم المستميتة لمشاهدة البئر الذي سقط فيه الطفل، مشاهدة (بئر مسعود)[2]. .

❊❊❊

2) فوهة بئر صغيرة تقع فوق ربوة صخرية فى منطقة سيدى بشر شرق الإسكندرية بعمق رأسى خمسة أمتار و قناة أفقية تربطها بالبحر تتجاوز الثلاثة أمتار يتناقل معها عبر العصور موروث يونانى يؤكد قوة تلك الفوهة السحرية على تحقيق الأمانى والأحلام، يتجمهر حولها ممن يعتقدون فى الأسطورة ويلقون عملات معدنية ثم يتمنون أمنية وينتظرون تحققها، وسقوط طفل يدعى مسعود واختفائه داخل البئر هى أقرب القصص المذكورة عن سر التسمية .

الوقت الحاضر

جامعة الإسكندرية

مدرج كلية العلوم

فى النهاية وكما أحب أن أذكركم دائمًا بأن قسم الفلك والأرصاد الجوية هو قسم لا نراه تحت المجهر كباقى أقسام كلية العلوم، هو قسم تخيلى فى الهواء الطلق لذا دائمًا ما أحاول جاهدًا أن أثير خيالكم وأطلق له العنان لأبعد حد فهكذا يُدرس هذا القسم وهذا ما أحاول جاهدًا أن أجعله أساسًا ونهجًا أثناء تدريسي لكم علم التحليل الكيميائي وعمليات التأين (Aer-onomy) التي تحدث فى طبقات الجو العليا

أغلق الدكتور الجامعى الشاب (طارق عبد المنعم) الكتاب الذى يمسك به ولملم أوراقه، ثم عدل من رابطة عنقه وهمَّ بالانصراف فاستوقفه أحد الطلبة عندما رفع يده توقف على إثرها الدكتور طارق يسمح له بالتحدث:

– دكتور، العالم ينتظر مؤتمرك الأسبوع القادم لتعلن فيه عن أبحاثك المشتركة مع دكتور صفوت والتى أطلقتم عليها مصطلح (الكيمتريل)، وبعد بحثنا حول المصطلح لم نجد سوى نظرية مؤامرة لسلاح سرى خبيث، فهل هذا ما تقصده أم أن للإمر بعد آخر !

اتسعت ابتسامة الدكتور طارق تدريجيًا، صمت لحظات يستجمع كلمات قصيرة يجيب بها الطالب .

– مصطلح (الكيمتريل) (Chemtrail)[3].

3) حقيقة علمية، والمصطلح اختصار لعبارة chemical trail ويعنى الأثر الكيمائى على الطقس بإطلاق مركب كيميائى فى طبقات الجو العليا يعمل على زيادة الاحترار والتصحر ونفاذ أكبر لأشعات شمسية ضارة فى أماكن محددة وهلاك المحاصيل الزراعية والتأثير على الجهاز العصبى المركزى للبشر مما يؤدى لرفع درجات العنف بين أفراد البلدان المستهدفة، بل وذهب البعض بالقول بأنه سلاح يتم من خلاله توجيه الأعاصير والزلازل وقد استعمل فى الخفاء ضد عدة دول أصابتها بالفعل كوارث مفتعلة، ويقول البعض إنه تم تفعيل استعمال الغاز فى معاهدة كيوتو الدولية 1992 وبموافقة الدول الأطراف يتم رش الغاز مع احتراق عادم الطائرات المدنية يوميًا بادعاء كاذب لتحسين المناخ

هو مصطلح مُطلَق لأى تأثير كيميائى على الطقس ، ولكل اكتشاف فى هذا الكون وجهان، ونحن البشر من نقرر فى أى جانب سنستخدم هذا الاكتشاف وكلكم تعرفون قصة السويدى (الفريد نوبل) عندما اخترع الديناميت بغرض استعماله لتفجير المحاجر واستخراج الثروات من الجبال فما كان من البشر إلا أن استعملوه للقتل .

استطرد مكملًا، عندما صنعت مع دكتور صفوت خليطًا كيميائيًا من عناصرالألومنيوم والباريوم وأملاح المغنيسيوم والكالسيوم وعنصر التيتانيوم بنسب غاية فى الدقة جعلت من بحثنا حدث استحوذ على انتباة العالم ويمكننا استعماله فى أغرض سليمة، والجديد هو إمكانية إطلاق المركب فى الجو والسيطرة عليه ومحاصرته بذرات التيتانيوم حتى لا يخرج عن النطاق .

دارت أعين الدكتور طارق فى وجوه الطلبة المبهورة تطل منها بحر متلاطم من التساؤلات أحبطها طارق جميعًا عندما تبسم يغمز بعينيه، تابعوا إذاعة المؤتمر، حمل أوراقه وغادر القاعة سريعًا مضيفًا

- أراكم المحاضرة القادمة

دفع فضول بعض الطلبة لمحاولة استيقافه من جديد لو لا أنه تملص منهم بعبارت قصيرة سريعة حتى غادر القاعة يخطو عبر رواق طويل يفصله عن غرفة مكتبه داخل الحرم الجامعى يلقى التحية على كل من يقابلهم بابتسامة ودود صنعتها ملامح هادئة تعكس ما تموج به نفس شخص مزج بين الود والحب والحزن البادى فى عينين صافيتين آسرت قلوب زملائه فوقع الجميع فى احترامه ومبادلته ود حقيقى منبعه القلب رغم كونه لم يتجاوز الخامسة والثلاثين لكن اجتهاده العلمى أكسبه مزيدًا من الثقل، لم يكن يدرى البحث العلمى هو ما أكسبه عزله اختياريه، أم أنه اختار البحث العلمى لتناسبه مع

عزلته من الأساس، رغم أن ذلك لم يؤرقه كثيرًا فقد كانت أفضل أوقاته هى ما يقضيها منفردًا، خاصة بعد وفاة والدته منذ عدة سنوات، كانت تجربة مريرة وصدمة قاسية كادت تعصف بمستقبله لولا والده الذى أحرق نفسه بمحاولات نجحت إلى حد ما فى إعادة التوازن .

- دكتور طارق يوجد رجلان فى انتظارك داخل المكتب

التفت طارق للساعى فى تساؤل فأكمل الساعى:

- قالوا إنهم اصدقاؤك

وفى الداخل طالعه رجلان غير مألوفى الوجة بدا عليهما مخايل السلطة، نهضا يصافحانه فى ود مصطنع، قالا اسمين غالبًا ليس اسمهما الحقيقى ثم إشارا له بالجلوس خلف مكتبه

- لن نطيل عليك دكتور طارق، نحن من جهة أمنية مصرية علمنا بشأن اكتشافك الكيميائى وإعدادك لمؤتمر ضخم خلال أسبوع لإعلان الأمر .

بنظرة شك تمتم طارق: هل من مشاكل أمنية تخص الاكتشاف

- ليس الأمر هكذا لكن باختصار شديد، يوجد بعض الأمور المعقدة التى لا يعلمها المدنيون، الكيمتريل سيد طارق متواجد لدى دول نعلمها جيدًا لكن يصعب انتشار استعماله لأن إطلاقه فى الهواء غير مأمون العواقب ويمكن أن يرتد على الدولة التى أطلقته نفسها أو على إحدى الدول الصديقة لها .

لكن بمجرد إعلانك عن اكتشاف يحاصر تأثير المركب فى مناطق محدده رصدنا تحركات مخابراتيه من عدة دول تسعى خلف البحث.

صمتا لحظات يبحثا فى وجه طارق عن أثر كلامهما فلم يجدا سوي نظرة شك وترقب.

- إذا أعلنت عن نسب ذلك المركب سوف يعرضنا جميعًا لخطر جامح، يكفينا ما نحن فيه يا سيد طارق، فتجارب مركب الكيمتريل منتشرة بالفعل فى سرية بحجة الأغراض السلمية وهى دون ذلك، لذا يجب أن نستغل أي نقطة تفوق تتوافر لنا حول الأمر.

صمت لحظات ثم أكمل : لذا سوف تعمل لصالح بلدك ، فى معاملنا الخاصة وبصورة سرية .

امتقع وجه طارق فى استنكار يحدق فى وجه الرجلين فأكمل الأخر فى نفاد صبر

- دكتور طارق يؤسفنا أن نبلغك أنك سوف تقوم بإعلان خطأ فى مركبك الكيميائى ومن ثَم إلغاء المؤتمر الصحفى الآن وعلى الفور.

****

مرحبًا برجل العام، قالوا لى إن لديك ضيوف فانتظرت بالخارج .

خطا الدكتور (مصطفى صدقى) زميل طارق بالجامعة داخل مكتب الأخير بصعوبة نظرًا لبدانته المفرطة يداعب طارق، لكنه بتر عبارته يدقق النظر لوجه طارق فوجده واجمًا شاردًا

طارق ما بك، من كانا هذين الرجلين !

ظفر طارق ومسح وجهه بيديه، سوف أقص عليك الأمر فيما بعد أما الآن فأنا بحاجة للراحة سأتوجه للمنزل

- لابأس يا صديقى، فلنناقش ذلك فيما بعد، ما رأيك غدًا عطلتنا الأسبوعية وسوف نقضى اليوم أمسية مع بعض الأصدقاء يمكنها أن تغير مزاجك وتحكى لى عن الأمر !

بقى طارق على وجومه يهز راسه نافيا، احتاج الى الراحة يا مصطفى فأنت تعلم أنا لا أميل إلى صخب تلك الجلسات الجماعية ناهيك عن أن (كوثر) ووالدتها سوف تزورنا اليوم.

بدا تأثر على وجه مصطفى، عندما جاء ذكر كوثر خطيبة طارق الذي أشاح بوجهه وهو يقول هذه العبارة ليسأله مصطفى في حذر:

هل مازالت كوثر لا تتفهم أسلوب حياتك وعقليتك بعد؟

ابتسم طارق ابتسامة باهتة مجيبًا دون أن يلتفت إليه، اختلاف فى الاهتمامات، تفكير سطحى، خطوبتنا تسير بخطى ثابتة لنهايتها .

هز مصطفى رأسه متفهمًا ثم تنهد يتساءل عما سيقوم به بعد ذلك لتلوح ابتسامة آسفة على وجه طارق جعلت مصطفى يهز رأسه متفهمًا وهو يقول :

- حسنًا، تنهي جلوسك معهم، ثم تذهب كالعادة إلى الشاطئ تتصنع بأنك تصطاد بينما أنت غارق فى بحر أفكارك

- هذه هى أكثر الأوقات التى اتخذ فيها قرار سليم يا مصطفى، أنا بحاجة إليها الان

بادله مصطفى الابتسامة، وهو يربت على كتفه قائلًا:

لا بأس يا صديقى إذا كان ذلك يجعلك سعيدًا

****

عندما يكون لديك عزيزان غاليان تعتبرهما كل حياتك ثم ينتزع منك القدر أحدهما، فتتحول طاقة آلامك وشجونك تجاه الشخص الآخر ويصبح هو كل ما تبقى لك، هكذا أصبح والد طارق بعد وفاة والدته حين كان طالبًا بالجامعة ، وقتها دفن كل شجونه وأحزانه في كنف والده الذي امتصها عنه

وأشعل نفسه اهتمامًا به فى محاولة غير عادلة لتعويضه جزءًا مما فقد، فنشأت أواصر صداقة قوية جمعت ابن مجتهد وأب افنى عمره لرعايته، ومارست مشاغل الحياة هوايتها في طي السنين بسرعة البرق عندما لم يكتفِ الأب بتخرج طارق من الجامعة، بل شجعه وسهر جواره حتى حصل في وقت قياسي على درجتي الماجستير ثم الدكتوراه، ثم بدأ بحثه الفريد بالتعاون مع شريكه حول طبقات الجو العليا، وفروضه حول إمكانية محاصرة وتركيز مركب كيميائى بعد إطلاقة على ارتفاع حوالى 60 كم من سطح البحر داخل طبقة (الميزوسفير) ثالثِ طبقات الجو العليا ومن ثم التأثير والتحكم في ظروف المناخ والطقس فى مناطق محدودة بحجب الأشعة فوق البنفسجية الصادرة عن الإشعاع الشمسي عن الأرض فيقوم بعمل فلتر كيميائي لأشعة الشمس النافذة بعد إقصاء الأشعة فوق البنفسجية، وتقليل الاحترار العالمي وكبح جماح تغير المناخ فى الأرض .

رغم أهمية البحث ، إلا أنَّها كنت البداية فحسب عندما أضاف شريكه فى الأبحاث وزميله فى الجامعة دكتور الفيزياء (صفوت عبد السلام) بث موجات بالغة القصر تتداخل مع المركب الكيميائي عقب إطلاقه فى طبقات الجو العليا، تستثير أيونات المركب الموجبة والسالبة وتحررها حيث تصطدم مع أيونات السحب المتشابهة معها في الشحنة مما يحفزها على إلقاء حمولتها من الماء، على هيئة أمطار مشبعة بأبخرة تتفاعل مع ما يعلق في الهواء من ملوثات وعوادم تنقيه، وكأنها تغسله، ليعود طازجا منعشًا مصحوب بأمطار تسقى الزرع والحرث .

والآن جهة أمنية تخبره بتحركات معادية تسعى وراء البحث !!

شاردًا محبطًا وصل طارق بسيارته أمام منزله بمنطقة سيدى بشر

بالإسكندرية، أعطى مفتاحها للحارس وصعد الدرج تتملكه انقباضة ثقيلة لما سيجده خلف باب شقته، خطأ يجب تصحيحه .

ثبت لديه يقين بأن أوان إلقاء حملها الثقيل عن كاهله قد جاء، دخل الشقة تطالعه كوثر ووالدتها تحدجه بنظرة لوم قابلها بنظرة جعلها حزينة قدر الإمكان .

تلاحظ لوالده المسن تغير وجه طارق فنهض يدنو منه فى تساؤل أجابه طارق بصوت مسموع :

- لقد تم إلغاء المؤتمر لثبوت أخطاء بالتجربة وعدم إمكانية تطبيقها، أعطونى في الجامعة إجازة مفتوحة، لقد أصبحت عاطلًا .

القى قنبلته ثم حث الخطا لغرفته تاركًا والده وخطيبته ووالدتها رابعهم الوجوم والتساؤل ، حتى إن خطيبته و والدتها انصرفتا بعد أقل من ربع الساعة، وسط نظرات ذات مغزى تبادلتاها فيما بينهما لم تستطعا إخفاءها، أوضحت نوايا لم يطُلِ الوقت حتى أفصحتا عنها عندما أرسلت والدتها هدايا طارق مع وسيط ، معلنتين انتهاء الخطوبة .

كان اليوم التالى وبينما طارق عائدًا من محاضرات الجامعة يدلف للمنزل حتى وجد والده فى انتظاره بنظره ترقب سرعان ما ترجمها لخبر فسخ خطوبته، ولم يكن رد فعل طارق مفاجئ لوالده عندما تهللت أساريره وأشرق وجهه على نحو ملفت واختلاف بدا في كلامه و أفعاله بعد تخلصه من كوثر بهذه الحيلة.

- صدقني يا والدي، لو كانت واستني وبقيت جواري تدعمني في أوقاتي الحرجة التى اصطنعتها؛ لأعدت التفكير فى الأمر.

استشعر بغريزة الأبوة شيئًا ما آخر بقى يُكلِم ابنه ويحزنه ..

- ماذا بعد يا صديقى الصغير؟، ما الذى يحزنك الآن؟

- لا شيء ذو قيمة لا تشغل بالك ياوالدى، والآن أخبرنى بالجدول .

تبسم الأب وقد لاح له مرور بنيه بمشكلة لم يحن الوقت ليرويها له بعد فقبض على كتفه يهزه مرتين بقوة ينظر فى عينيه بثبات على نحو مألوف لطارق كلما بدا ضعيفًا مهزومًا يبث والده إليه القوة والحزم لتجاوز محنة قرأ مخايلها تتراقص فى مقلتيه، تصاعد العزم لروح طارق فلمعت عيناه ببريق التأثر والتحدى، تبادل مع والده التبسم فخفض الأخير يده عن كتف ولده:

- دقائق ويكون الغداء جاهزًا ياصديقى الصغير.

كان إعداد الطعام سريعًا للغاية يتلخص في مجرد تسخين الطعام المجمد الذي يقوم والده بطبخ أنواع مختلفة وكثيرة منه في بداية الأسبوع، ليتم تسخينه فقط للغداء وفقًا للجدول المرسوم فهذا هو الخميس، إذن فهي الفاصوليا والدجاج.

- ألن تجعله يومًا مختلفًا يا طارق، وتخرج مع أصدقائك قليلًا !

قبَّل طارق جبين والده قبل أن يدخل حجرته، خفَت صوتُه عندما دنا من أسفلِ سريره يجلب معدات الصيد قائلًا:

- سأفكر في الأمر لاحقًا إذا ما فكرت في تغيير جدول الطعام، أين الدجاج والفاصوليا؟!

ضحك الأب وهو يشير إلى الداخل قائلًا:

- جاهز، وفي انتظارك يا دكتور



الفصل الثاني

ياللي زماني رماني رماني في بحر عينيك ونساني وقالي انسانى بحر عينيك يا حبيبي غريق لكن فيه أحلي ليالي زماني

ردد الراحل (محمد عبد الوهاب) أغنيته الشهيرة (من غير ليه) عبر مذياع هاتف طارق الذي يضعه جواره وهو جالسٌ على إحدى الصخور القريبة من مياه البحر بمنطقة سيدي بشر بالإسكندرية، ممسكًا بصنارة صغيرة يلقي بخيطها وسط الأمواج المتكسرة فوق صخور الشاطيء تتطاير لها قطرات المياه حوله يرنو ببصره لشفق السماء الأحمر، راح فى تأمل طويل سرى له فى جسده قشعريرة البرد والرهبة ، شاردًا، هادئ الجوارح، يخوض في أفكاره المتلاطمة، كم تريحه هذه الجلسة! تجعله يلقي بكل شيء خلف ظهره بمعنى الكلمة ماديًا ومعنويًا؛ فلا يوجد أمامه سوى بديع خلق الله من السماء والبحر.

تنعكس على وجهه آخر خيوط شمس الغروب الذهبية، معلنة انتهاء يوم آخر واقتراب موعده مع شريكه فى الأبحاث الدكتور صفوت بعد أن هاتفه يسوق إليه ما طلبته منهم أحد الجهات الأمنية على اعتبار الأمر سرى جدًا، شعر بانقباض فى صدره لمرور الفكرة برأسه، لماذا لا تكتمل الأمور أبدًا لماذا ؟

خايف طيوروششششششش تهجر عـ ششششش، خايف على بحر الدفا ليلية وشششششش جليد وششششششششششششش

قطع ذلك التشويشُ الذى أصيب به صوت المذياع أفكارَ طارق، نظر إليه مغاضبًا فى تساؤل ، حاول جاهدًا تحريكه في شتى الاتجاهات للحصول على إرسال أفضل إلا أن الإشارة كانت تزداد سوءًا، وصوت الأغنية يختفي تدريجيًا، إلى أن انتهى تمامًا ولم يعد طارق يسمع سوى صوت تشويش مزعج، مما جعله يتنهد في ضيق، ناظرًا إلى الغروب في يأسٍ من سيفوته المشهدُ الساحر دون صوت عبد الوهاب.

- هل حقًا تتمنى ظهور أبحاثك للعالم ونجاح فكرتك !

رغم كون الصوت جاء هادئًا ، إلا أنَّه لم يمنع قشعريرة سرت في جسد طارق ؛ هذا لأن الصوت يأتي عبر مذياع هاتفه بعد إغلاقه وكأنه يتحدث إليه .

توقف الزمن بطارق لحظات وفقد الإحساس بمن حوله يحدق في الهاتف بعد أن صدر منه ذلك الصوت الأنثوى الهادئُ الذي خُيِّل إليه أنَّه يتحدث إليه، أضاء شاشة الهاتف يتفحصه فى ريبة ، أدار مؤشر الموجات عشوائيًا ،هل هو مجرد برنامج إذاعى جاء بالصدفة بهذه العبارة المريبة ! لم يجبه سوى تشويش متصل شرع على إثره يغلق الهاتف ووضعه جواره

- لم تجب سؤالي يا سيد طارق، هل حقًا تريد النجاح العملي لأبحاثك؟

امتقع وجه طارق يعاود رفع الهاتف أمام عينيه في ذهول ، الهاتف مخصص للمحادثات لكن عندما لا يوجد اتصال فالأمر تجاوز المألوف .

هل حقًا سيجيب المذياع على سؤاله؟ أم أنَّه أفرط في التفكير في أمور خيالية مما أصابه بهلاوسَ سمعية! الأمر كان حقًا محيرًا .

تلفت حوله يلقي نظرةً على المنطقة التي خلت من المارة، ثم عاود النظر الهاتف مرة أخرى والكلماتُ تأبى أن تخرج من بين شفتيه :

- م ..م .. من ؟!!

عاد الصوت يتحدث إليه مرة أخرى بنفس الهدوء:

- نحن من سوف نحقق حُلمك الذي طالما حلمت به وعكفت على دراسته سنواتٍ يا سيد طارق

توترت جوارح طارق؛ فالأمر لم يعد فيه شك المذياع يتحدث إليه وكذلك يسمعه، ازدرد لعابه مرة أخرى وهو يقول في تلعثم:

- ومن أنتم؟! وكيف تتحدثين إليّ من المذياع؟!

خُيِّل إلى طارق أنَّه ندت ابتسامة من صاحبة الصوت وهي تجيبه:

- كيف نفعل ذلك فهو أمر بسيط للغاية نسبة لتطورنا عنكم، أما من نحن فاذهب هناك عند البئر، بئرِ مسعود كما تسمونه .

التفت طارق إلى بئر مسعود في شك وريبة، ثم اتجه إليه في تردد، إلى أن وصل إلى حافته وهو يتحدث إلى المذياع في وجل قائلًا:

- أنا عند البئر ماذا الآن؟

أتاه الصوت قائلًا .. انظر بالأسفل

رنا طارق ببصره أسفل البئر حيث تتلاطم مياة البحر بالصخورِ في قاعه شبهِ المظلم، بعد غروب أشعة الشمس ، فبدأت تبزغ خيوط ضياء من وسط الظُلمة بالأسفل ازداد سطوعها تدريجيًا ثم رآها، امرأة في غاية الجمال والروعة تخرج برأسها من وسط الأضواء في قاع البئر، تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة عذبة للغاية، ثم عادت لتغوص مرة أخرى وسط تلك الأضواء البديعة، و عاد البئر لظلمته، وعادت هي تتحدث إليه عبر المذياع .

– الآن رأيتني ، ويمكنك أن ترى قومي جميعًا؛ أنت شخص متميز للغاية بالنسبة لنا يا سيد طارق؛ ثم ذكاؤك المتوهج سوف يسهل مهمتنا كثيرًا في تلقينك علوم حضارتنا وفكرة وجودنا من الأساس، إلى جانب معاونتك في تعديل أبحاثك بإضافات خطيرة وهامة للغاية

ثم استطرد الصوت قائلًا في جدية:

– لقد أعطاك قومي تذكرة عبور لعالمنا يا سيد طارق، وأنا هنا لأبلغك بذلك، كما حدث في يوم من الأيام مع طفل هنا عند هذه البئر التي هي في حقيقتها إحدى اثنتين من بوابات الولوج بين عالمنا وعالمكم ، كان قد وصل وقتها إلى مستويات عالية من النقاء والصفاء والسمو الروحي، أردنا دراستها وتحليل فيض الطاقة الصافية حوله ثم إعادته مرة أخرى، كانت التجربة مفيدة لنا ومثمرة للغاية .

ثم استطردت:

– و الآن أنت يا سيد طارق، نريد مساعدتك في أبحاثك وإعطائك أفضلية رؤية عالم آخر فهل تقبل؟

ظل طارق يحدق في قاع البئر، ممسكًا بالهاتف قرب أذنه، يستمع لحديث تلك المرأة وكأنه يحلم ، يسترجع بعقل مشوش روايةَ الطفل مسعود الذي اختفى في تلك المنطقة يومًا منذ سنوات بعيدة، ليطلَق اسمُه على اسم البئر، ويحاطَ الأمرُ بغموض تام دون تيقن أحد من مصداقيته؛ فلم يغدُ الأمرُ إلا مجرد أساطير مرتجفة يتناقلها البعض تنافس ارتجافةُ أصابع طارق الممسكة بالهاتف مع كل ما تموج به نفسه من أفكار تعربد داخل رأسه، وتنسج خيالاتٍ وتطلعات تثير تساؤلات بلا إجابة، هل حقًا يمكن أن يرى آخرين هكذا ببساطة!

هو لم ينكر أنَّه يميل إلى تصديق ذلك، بل كان يتمناه بشدة إلا أنَّه لم يتخيل أبدًا أن يتحقق، ولكنه حدث! وها قد أرسل إليه القدر هذه الفرصة متجسدة في بئر الأحلام؛ ليحقق له أعظم أمنياته لعله يكون أول من استطاع التواصل مع آخرين في هذا الكون الفسيح وقام بنقل حضارتهم حتى تعم الفائدة على الجميع .

- هل توافق ياسيد طارق؟

قطعت عبارتها تفكيره مما جعله يحدق في الهاتف لحظات، قبل أن يقربه من فمه مجيبًا:

- بالطبع، أنا مستعد الآن ولكن كيف وماذا أفعل ليتم ذلك؟

خُيل إليه مرة أخرى أن المرأة تبتسم وهي تقول:

- لا تتعجل ذلك يا سيد طارق؛ الأمر لا يمكن أن يحدث الآن على الملأ يجب أن يتم في وقت تخلو فيه الشوارع من المارة كما حدث مع سلفك السابق؛ حتى لا نثير جلبة وتساؤلات، سوف تأتي هنا إلى جوار البئر ومعك أبحاثك؛ فسوف تحتاج إليها عند اجتماعك مع علمائنا ليجيبوك عن جميع تساؤلاتك أما رفيق أبحاثك، فلم نستقر بعد على اصطحابه من عدمه .

شرد طارق لحظة، ثم عاد ليتحدث إليها وقد استعاد بعضًا من رباطة جأشه قائلًا:

- فليكن سوف أكون الليلة هنا في الميعاد ..

أحس طارق بوجود شخصٍ ما إلى جواره، مما جعله ينظر إليه ليجده رجلًا كهلًا يميل إليه بوجهه وهو ينظر إليه وإلى عمق البئر المظلم في ريبة وما إن التفت إليه طارق، حتى ابتسم العجوز ابتسامة مجامِلةً، كاشفًا عن آثار لأسنان كانت هناك يومًا، ثم اعتدل وانصرف وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى، قائلًا بصوت منخفض:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، الناس اتجننت!

لم يُلقِ طارق بالًا للأمر وإلا فكيف سيفسر للرجل تَحدُثَه إلى البئر أو حتى هاتف وجده بالفعل مغلقًا بعد نفاد شحن بطاريته؟! قلب الهاتف في يديه، وقد تسرب إليه بعض الشك حول كونها مجردَ هلاوس، أو أن الأمر ينطوي على حيلة ما وضع الهاتف في جيب معطفه عائدًا للمنزل، مشتتًا، شاردَ الذهن لا يعى من الأمر شيئًا

****

- لماذا تأخرتَ يا طارق؟ هاتفك مغلق منذ ساعات!

قلب الهاتف فى يده وابتسم هازئاً يكرر العبارة، منذ ساعات !! التفت لوالده بنظرة خاوية متسائلًا في شرود عن الأمر، ليشير والده إلى غرفة الضيوف قائلًا:

الدكتور صفوت ينتظرك بالداخل منذ أكثر من ساعة بينما هاتفك مغلق وحالته مريبة هو الآخر، ما الأمر يابنى !

اندفع طارق للغرفة وكأنه لم يسمع والده تتلاعب الظنون برأسه ونفسه تحدثه بمصيبة حاقت بصفوت أيضًا، فقز الأخير من مقعده وبأعصاب محترقة وصاح فى طارق :

- أين كنت! قلبت الدنيا بحثًا عنك، لن تصدق ما حدث معي اليوم!

أطلت نظرةُ ريبة من عين طارق، وابتلع ما كان يريد أن يرويه، وهو يحث صفوت على الكلام، ليستطرد هذا الأخير مكملًا:

- لقد كنت في شرفة منزلي المطلة على البحر، أتأمل الموج والسماء لأجد أن البحر يقترب نعم يقترب! في البداية تصورت أنَّه دوار أو إرهاق، ولكن الأمر استمر حتى صرتُ وكأنني جالس على الشاطيء ! وبرزت سمكة

قرش من وسط الموج أمامي مباشرةً، ثم بدأ الهذيان الحقيقي! عندما تحدثت إليّ لتخبرني أنهم من عالم آخر يهتمون بأبحاثي حول الترددات فائقةِ القِصَر ويريدون تطويرها معي!

غمغم طارق بصوت منخفض في فتور:

- سمكة قرش يا لي من محظوظ!

لم يلتقط صفوت المغزى من الكلمة، مما جعله يكمل:

- رفضت الأمر بشدة، فتلاشى كل شيء فجأة! لأفيق وأجدني جالسًا مكاني في الشرفة، وقد عادت الأمور إلى طبيعتها، هرعت أبحث عنك؛ لأخبرك بالأمر

صمت صفوت للحظات، عندما لم يجد استجابة من طارق الذي أطرق برأسه مفكرًا، مما جعل صفوت يظن أنَّه لا يصدقه فأكمل في محاولة لإقناعه:

- أعلمُ أن الأمر عسير التصديق يا صديقي، ولكن أقسم لك أن ذلك حدث!

ثم أضاف في تردد وانكسار:

و إلا فإن مرحلة الجنان أصبحت وشيكة !

رغمًا عنه تبسم طارق ثم تنهد لا يدرى من أين يبدأ جلس ضاغطًا على كتف صفوت ليجلسه جواره بينما كان يجزم من جديد أنَّ الأمر كان شِبهَ حقيقي و لولا أن قاطعه (طارق) :

- أصدقك يا صفوت، أصدقك تمامًا أكثر مما تتخيل!

ثم أرجع ظهره للوراء وهو يسبل جفنيه لحظات، ثم بدأ يروي له ما حدث معه عند البئر

****

لم يكد طارق يفرغ من روايته حتى ساد الصمت لحظات قطعها صفوت في حيرة متسائلًا عن كُنهِ ما يحدث لهما أجابه طارق مفكرًا باحتمالية تعرضهما لأحد المُركبات أثناء قيامهما بتجارب الأمس وبالأخص (برادة عنصر الألمونيوم)

مط صفوت شفتيه وهو يقول:

- الأمر مستبعد لقيامنا بالاحتياطات الكاملة ولكن لا بأس، لابد أن نتأكد من سبب ذلك الهذيان؛ حيث إن القاسم المشترك بيننا هو الأبحاث .

-وماذا لو لم يكن هذيان ؟!

ضمَّ صفوت شفتيه، وهو يطلق أنين تفكير طويل، ثم أجابه بأن يقوما بالفحوصات أولًا وليفكرا بعدها في احتمال جدية الأمر

نظر طارق إلى ساعته في ترددٍ لَمَحهُ صفوت في عينيه، فاقترب منه قائلًا:

- هل تميل لتصديق الأمر !

تنهد طارق قائلًا:

- لا أدري يا صفوت حقًا لا أدرى ، كما تعلم أنا اتطلع لاكتشافات جديدة عن مخلوقات الكون لكن ضد أن ننفق الأموال والوقت في البحث عنهم، بل نتركهم حتى يجدونا هم إذا كانوا حقًا متطورين، وها هو ذا الأمر يتحقق! فلو كان مجرد هذيان، لمر الوقت دون أن يأتى أحد

بدا عدم الاقتناع على وجه صفوت وفى عقله تدور فكرة غريبة :

لدى تفسير آخر لما يحدث يا طارق، تفسير هو أقرب للمنطق، اترك لى الأمر

****

عقد طارق ذراعيه أمام صدره في محاولة يائسة لتدفئه أصابع شارفت على التجمد بعد أن وصلت درجات الحرارة إلى أقصى معدل انخفاض لها في تلك الساعة المتأخرة من الليل قرب كورنيش البحر بمنطقة سيدي بشر بالإسكندرية، والتي فشل معطفه الطويل وكوفيته التي يضعها حول عنقه في التخفيف من حدتها، وسط الشوارع الخالية تمامًا من المارة لا يُسمع إلا صوت الأمواج تهدر بلا توقف تتكسر فوق الصخور يتناثر رذاذها متجاوزًا الشارع بصوت رتيب، كلاب ضالة تنبح بلا توقف وكأنها تخشى شيئًا خفيًا.

منفردًا وقف طارق متوترًا إلى جوار (بئر مسعود) يتطلع إلى الأفق المظلم في شرود وتفكير يموج في رأسه يلقي نظرة لساعته التى تجاوزت عقاربها الثالثة والنصف فجرًا يلقى نظرة لحقيبة جلدية جوار قدمه ، ابتسم لها ابتسامة هازئة مريرة وراح يفكر بعبث الفكرة كليًا .. صوت عبر المذياع؛ ظهورها داخل البئر أضواء ساطعة، ثم المحاولة الغريبة للاتصال بصفوت بطريقة مختلفة أى عبث هذا،الوقت تأخر ولم يأت أحد، هل تسبب لنا أكسيد الألومنيوم بتسمم عقلى وهلاوس !

- هل أنت على استعداد يا سيد طارق !

شقت الجملة سكون الليل الهادئ، هامسة عذبة مقترنة بظهورها محاطةً بأضواء بديعة متلألئة انعكست على وجهها المشرق لتزيده إشراقًا، تشارك ابتسامتُها الصافية في جعلها أشبهَ بأميرة أسطورية قادمة من قلب نجم سماوي متوهج في ليلة صافية ، تخطت حافة البئر إلى خارجه دون أن تلمس أطرافه وكأن تلك الأضواء تحملها حملًا

بقلب خافق التفت إليها طارق مأخوذًا بذلك المشهد المهيب، ظهر عليه بعض الارتباك والانبهار إلا أنَّه تمالك نفسه يبادلها الابتسامة متمتمًا :

- في أتم الاستعداد

اقتربت أكثر وهي تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة مزجت التفحص بالتبسم قائلة:

- أريد أن أخبرك أمرًا قبل الذهاب يا سيد طارق

ثم أردفت:

-هل تعلم! لقد ارتبكت كثيرًا عندما قرروا إحضارك إلى عالمنا، وارتبكت أكثر عندما كُلِّفت أنا بهذه المهمة .

بدا تساؤل فى عينى طارق لم يصادف إجابة محددة من ابتسامتها الهادئة التى تحمل شيئًا لم يستطع تفسيره سوى بما يجول فى شياطين أفكاره من هواجس جعلته يضيق عينيه أمام أضوائها ثم نظر إلى إليها نظرةً فاحصة وأشار إلى حقيبته التي من المفترض أنها تحوي معادلاتِ أبحاثه قائلًا:

- وهذه الأبحاث التي أتيتِ من أجلها ألن تأخذيها؟!

اندهشت المرأة كثيرًا من تلك الحدة المباغتة وهي تنظر إليه بنظرة متسائلة:

- ماذا تقصد؟!

ابتسم طارق ابتسامةً باهتة تحمل الكثير من السخرية قائلًا:

- هل اعتقدتم أنتِ ومن أرسلك أنَّه يمكننا أن نصدق أمر ذلك العالَم الآخر المزعوم؟!

تابع طارق وقد زاد انعقاد حاجبيه:

- هل وصل بكم الأمر أن تقوموا بكل تلك التمثيلية الهزْلية حتى تستولوا على الأبحاث قبل إعلانها فى المؤتمر !

هل تعتقدون أنتم ومخابراتكم أنكم سادة الكون والجميع حولكم بهذه السذاجة، ألا يكفى سمومكم التى تبثوها للعالم !

تركزت عينا المرأة على طارق في ذهول غير مصدقة ما يحدث، وهي تقول بصوت هامس :

- ما هذا يا طارق؟!هل تعتقد أننا حقًا نريد أن نأخذ أبحاثك التي توصلتْ إليها حضارتُنا منذ عشرات السنين؟! هل تعتقد حقًا أن كل ذلك مجرد محاولة لخداعك؟!

تبسم هازئًا وظل ينظر إلى عينيها فى تحدى حذر، أشار للأضواء بسخرية قائلًا :

- بث ليزر بتقنية (7D) هى أمور قليلة ياعزيتى لتقنعى أساتذة فى كلية العلوم بكونك من عالم آخر، إنهم يجوبون المنطقة الآن بحثًا عن مصدر البث

هنا صدر أزيز متقطع وفرقعة مكتومة من عدة هوائيات مخفية حول البئر تصنع حقل من الموجات القصيرة برز على أثرها صفوت المتوارى خلف كورنيش البحر ممسكًا بجهاز تحكم عن بعد، هاتفًا:

- لن يخدعنا أحد يا صديقي ببعض حقول الطاقة مهما بلغت قوتها .

ثم قرن قولَه بضغط زر تشغيل المجال المضاد لتبث عدة هوائيات مخفاة حول البئر حقل من الموجات القصيرة تتنافر مع الترددات النابعة من داخل البئر بعد أن التقطها فى البداية مقياس جهاز صفوت صدرت فرقعةٌ مكتومة من داخل البئر أعقبها تذبذبُ أضواء حقل الطاقة حول الفتاة فى اللحظة التى اقتحمت فيها سيارتان طراز (جيب) من أحد الشوارع الجانبية وهبط منها بضع جنود ورجلا الجهة الأمنية يحيطون بالبئر والفتاة .

وكأن شيئًا فى الكون لا يعنى الفتاة بينما فى مقلتيها ترقرق دموع الاستنكار والذهول ، أشارت لقلبه ثم ارتفعت عن الأرض تحملها الأضواء عائدة

للبئر دون أن تفارق عينيها طارق الذى اهتزت ثقته كثير وبدا عليه ارتباك ظاهر وتشتت خفق له قلبه، ينقل بصره بين المرأة و الأضواء وخلفية صوتية من صياح الجنود التحذيرية للمرأة بالتوقف عن النزول للبئر دون جدوى، رفعوا أسلحتهم، اقتربوا أكثر، غاصت المرأة أكثر داخل البئر، أشار الضابط للجنود بفتح نيرانهم، تناثرت الطلاقات تهتك ستر سكون الليل، امتقع وجه طارق الذى انعكس عليه وجهه توهج الأضواء أكثر حول المرأة بعد ان اصطدمت الطلاقات بغلاف خفى حولها وقاها شر الطلقات، دمعت عيناها أكثر و ارتسمت على وجهها أمارات الأسى البالغ تهز رأسها غير مصدقة .

تراخت يدُ صفوت الممسكةُ بجهاز التحكم وهو يحدق في ذهول إلى المشهد أمامه، الجنود توقفوا عن إطلاق نيران أسلحتهم بعد أن تملكتهم رهبة وخشية

امتقع وجه طارق وقلبه يخفق في عنف، ونفسه تحدثه بأنه ارتكب خطأ فادحًا

حاول أن يتحدث إليها، فخرجت الكلمات متلعثمة غيرَ واضحة، تعبر عن مدى تخبط أفكاره تنحنح في محاولة لإزالة غصة مريرة في حلقه وهو يخطو تجاهها بنظرة ندم وحسرة إلا أنها هزت رأسها نافيةً في مرارة تغوص أكثر داخل البئر قائلة:

- لا يا طارق لقد ولّى الأمر، الأوامر الآن بعودتى على الفور .

كنا نريد مساعدتكم بشدة ولكنك أفسدت الأمر

انهار طارق وهو يستند إلى حافة البئر، ناظرًا إليها نظرة متوسلة وهو يقول بصوت مختنق:

- أرجوكِ، أعطِني فرصة أخرى

غاصت المرأة أكثر في البئر، وصوتها يبتعد وهي تقول في مرارة:

- ليت الأمر بيدي يا طارق

تشبث طارق بحافة البئر ومال أكثر :

- أرجوكِ مجرد فرصة أخرى!

أفاق صفوت من ذهوله ينظر إلى طارق بعد أن مال بجزعه كثيرًا داخل البئر تنعكس على وجهه أضواءُ الثغرة التى لم تَخْبُ بعد، القى بجهاز التحكم أرضًا وركض تجاهه في محاولة للإمساك به ، يهتف به محذرًا

لولا أنه تأخر كثيرًا بعد أن تخطى طارق حاجز البئر وانزلقت قدمه فاختل تزانه وهوى داخل البئر فى اللحظة التى وصل فيها صفوت للحافة يرنو ببصره للعمق المظلم، نادى طارق كثيرًا فلم يجبه سوى انسياب المياه الهاديء من فوق صخور قاع البئر المظلم .



الفصل الثالث

الكون كالعقل مليءٌ بالأسرار ولكن ما نعلمه عنه لا يُذكر؛ ولا يزال يتوارى القدر الأكبر من خباياه كل ما علينا هو أن نطور من طريقة تفكيرنا و أن نوسع آفاقنا حتى نستوعب كل ما هو جديد وغريب هكذا يكون العلم، وهكذا يمكننا أن نتطور .

لملم الدكتور صفوت، أوراقه وهو يشير في إرهاق بالغ بدا في عينيه المحمرتين لطلبة الدفعة قائلًا في فتور:

- أراكم المحاضرة القادمة

لحق أحد الطلبة بالدكتور صفوت أثناء خروجه من المدرج يسأله عن آخر ما توصلوا إليه في البحث عن طارق!

تبسم صفوت فى شحوب وفتور يربت على كتف الطالب قائلًا:

- مازال البحث جاريًا ، وسنجده .

مضى صفوت عبر الرواق الطويل لغرفة مكتبه داخل الجامعة، وهو لا يدري لماذا طمأن الطالبَ بهذه الثقة التى لا يدرى مصدرها؟!، هل هى مجرد أمنية أم أنه يقين ثبت فى كيانه وروحه بما لا يتماشى مع أي منطق مادى

تهاوى فوق مقعد مكتبة، دفن وجهه فى راحتيه يكبح أفكار تحاصره

وتعتصر قلبه و ذكرياتٍ ليست ببعيدة أثقلت أنفاسه لم يمر عليها سوى ثلاثة أيام مضت وكأنها دهر لا ينتهي قضاها بين ألم وندم يتابع عمليات البحث التي قامت بها الشرطة وخفرُ السواحل عن طارق داخل البئر، وفي مياه البحر لعل الموج جرفه للخارج ولكن بلا جدوى، وبلا أدنى أثر

رفع عينيه الذابلتين عندما قطعت أفكارَه طرقاتٌ على باب غرفة مكتبه ليدخل مصطفى، وقد خط الحزن والأسى خطوطه فى قسمات وجهه المتليء جلس أمام مكتب صفوت الذي تعلقت به عيناه في ترقب لما سيقول تنهد مصطفى قائلًا:

- لقد قام خفر السواحل بوقف دوريات البحث عن طارق، والنيابة تعتبره مفقودًا .

لمعت عينا صفوت بدمعة حزينة أبت أن تغادر مقلتيه و تنحنح يزيل غصة توقفت في حلقه فخانه صوته وخرج مبحوحًا متحشرجًا وهو يقول:

- إنَّه ذنبى أنا، أنا من أشرت عليه بإبلاغ الجهة الأمنية وتركيب المجال، كنت أعتقد أننى سوف أفضح تكنولوجيا أعداء يحاولون خداعنا

ثم أطرق برأسه يخفي مرارة وأسى تجسد فى انتصار دمعة سالت على وجنتيه ، مسحها براحتيه بعد أن دفن وجهه فيهما، شق الأمر على مصطفى فنهض يربت على كتفه يواسيه ويخفف عنه وطأة ما يعتل به صدره من ذنب ليس له فيه من شيء .

كانا أفضل حالًا من والد طارق نفسه ، بعد أن سقط مغشيًا عليه أثر ضياع ولده وصديقه ، فراح فى غيبوبة عميقة تحت العناية المركزة يبقيه حيًّا أجهزة وخراطيم ، فسادت الأجواءَ شحنةٌ من الوجوم والصمت الذي لا يجد من يجرؤ على كسره .

تناول صفوت سترته المعلقة على حافة المقعد وهو ينهض في تثاقل، متجهًا إلى باب غرفة المكتب دون أن ينطق بحرف واحد ، ظل مصطفى يتابعه ببصره حتى خرج، دون أن يحاول سؤاله عن وجهته؛ فهو يعلم أين سيذهب كما أصبحت عادته منذ حينها.

وعند البئر استند صفوت إلى الحافة، ينظر إلى قاعه بنظرة زجاجية خاوية، و الأفكار المتلاطمة تهدر داخل عقله، والأصوات تتداعى على رأسه مشوشة مبعثرة

(أرجوكِ أعطِنى فرصة أخرى، هل تعتقدين حقًا أن تكنولوجيتكم ستخدعنا – لماذا يا طارق؟ هل تعتقد حقًا أننا نخدعك؟! – أنت تعلم يا صفوت أننى أميل لتصديق الأمر فما المانع إذًا!. أميل لتصديق الأمر... ! فما المانع إذًا!!)

أسبل صفوت جفنيه تتردد كلمات طارق الأخيرة فى أذنه، ثم أخذ يغمغم كمن يهذى :

– فما المانع ، حقًّا ما المانع ؟!

فتح عينيه وقد استعادتا شيئًا من بريقهما، غادر المكان في سرعة، وهو يجرى اتصالًا بمصطفى ينقل له فكرة مجنونة تحاصره !

****

دوامةٌ سحيقةٌ تلك التي ستظل تجذبنا إلى قاعها بلا نهاية وبلا قرار مشاهدٌ ضبابيةٌ لا نتبين معها موقفنا من الحياة أو المات خطٌ رفيع بينهما قد يختلط علينا فلا ندري في أي جانب نحن .

بعض من شارفوا على الموت ثم نجوا بمعجزة عادوا يقصون تجربتهم داخل نفق مظلم وبصيص من ضوءٍ في آخره ينبعثون إليه انبعاثًا ولكنهم أبدًا لا يصلون إليه وإلا كانوا أمواتًا .

(معدلاته الحيوية ترتفع)، هكذا يكون الأمر عندما يفقد جسدُك ماديته ويمتزج بأضواء مبهرة تومض من حوله ومشاهد تمر بسرعة ساحقة ،(خفقات قلبه تتسارع)، ثم تشعر أن قلبك على وشك الخروج من حلقك، وأن وعيك يتسرب منك أما روحك، فهي بلا مبالغة توشك على مغادرة جسدك ،(المعدلات تعود للمستوى الطبيعي من جديد)، ثم وبلا مقدمات يعود تدريجيًا إحساسُك بمادية جسدك في حالة إرهاق عارمة ولكنها محببة للنفس؛ لأنها أصدقُ ما يطمئنك بأنك مازلت على قيد الحياة ،(اتركونا بمفردنا)، الأمر برمته غريبٌ غرابةَ الكون الذي يثير فضولنا بملكوته الساحر.

كمن دهمه قطار، استعاد طارق وعيه يفتح عينيه في بطء وكل عضلة فى جسده تصرخ ألمًا، اصطدمت عينيه بضوء مبهر من فوقه مباشرًا أجبره على إغلاقها من جديد، شرع فى رفع يده يحجب بها الضوء لكن أبت يداه أن تطاوعه أشاح بوجهه جانبًا عندما وجد نفسه مكبل اليدين والساقين فوق فراش معدنى بارد، يتوسط غرفة صغيرة خالية من الأثاث، ينبعث من سقفها وجدرانها ذلك الضوء الأبيض الهاديء وكأن جدرانها بالكامل من الضوء.

تلفت حوله في توتر من ذلك المشهد الذي يشبه الحلم ، حاول التحرر من قيوده بلا جدوى عاد للاسترخاء يغالب ألم فتت عظامه .

عشرات الأسئلة توالت على عقله الذي أصبح كالبطاطا المهروسة يقاوم دوارًا عنيفًا عصف بكيانه وتشتتت له خلده .

هو لم يرَ حلمًا بهذه الدقة من قبل ولكن المشهد برمته يشبه الأحلام يقولون: إنَّه عندما لا تتذكر بداية أحداث فهى بلا شك مجرد حُلم!

بدا عقله ثقيلًا لا يطاوعه، اختلط عليه الواقع بالخيال، البداية كانت !

الأضواء، والفتاة، اصطدام رأسه بقاع البئر بحسب ما يعتقد، ثم لم يرَ شيئًا آخر سوى مشاهد تمر من حوله بسرعة كبيرة، أو هو من كان يمر عليها بتلك السرعة الساحقة لم يعد يشعر معها بجسده، خُيل إليه أنَّه أصبح جزءًا من هذه الأضواء ينبعث معها عبر عدة أنابيبَ متشعبة بسرعة ساحقة كاد معها أن يلفظ روحه أو أنه لفظها بالفعل عندما تراخى جفناه وشعر بالموت يحاصره فسقط وعيه أسير الظلام لفترة لا يعلمها إلى أن سطع ضوء الحياة مرة أخرى وسط أجواء حالمه غريبة .

جمع شتات أفكار متفرقة وأسقطها على المشهد من حوله، فقط ليتوصل لنتيجة، مجردُ مرورِها على ذهنه أصابته بقشعريرة باردة زحفت فوق عموده الفِقريً الملاصق لذلك الفراش المعدني البارد، الذي تحرك عند هذه النقطة من تفكيره واعتدل بطارق ليجعله في وضعية الوقوف مع الإبقاء على القيود

توترت جوارحه وشعر بالألم من القيود تعتصر معصمه وساقه وصوت خطوات خلف الفراش لا يرى صاحبها

لم تمكنه القيود من الالتفات إلا أنَّه لمح بطرف عينيه شخصًا قاسيَ الملامح يرتدي حُلةً تبدو عسكرية محاطةً بدروع تشبة المحاربين الرومان مع لمحة تكنولوجية ؛ وقف أمامه مباشرة قائلًا بلهجة جافة متفحصة :

- مرحبًا بك في (ريون) أيها الغريب

دارت عينا طارق على ملابس وقسمات ذلك الرجل وهو يغمغم في لهجة حملت تهكم يخفى توتر ملحوظ :

- أنت قائد السفينة الفضائية التي ستحمي المجرة من هجوم كوكب الأشباح .

مرت لحظات حدق خلالها الرجل فى وجه طارق بتجهم ثم ضحك بصوت مرتفع يضع ساعديه خلف ظهره ويخطو حول طارق قائلًا:

- أنت تتمتع بحس الدعابة أيضًا أيها الغريب لولا أننا لا ننوي إنقاذ أي أحد هنا .

ثم استطرد بلهجة غليظة :

- لقد سقطتَ في مكان مختلف هذه المرةَ عمّن يسقطون من وقت لآخر،ألم تكن مارًا بما تدعونه المثلث الذي يقع في محيطكم الأطلسى حينما تعطلت أجهزتك وبوصلتك وأشياء من هذا الهراء الذي يقوله كل من يسقط هنا؟!

قفزت في ذهن طارق صورة لمثلث (برمودا) الذي سجل التاريخ اختفاء بعض السفن والطائرات بركابها عند المرور فوقه بلا أدنى أثر .

شيءٌ ما نبهه إلى وجود خطأ ما، هذا الرجل لا يعلم شيئًا عن قدومه؛ ويعتقد أنَّه سقط هنا مصادفة عن طريق مثلث برامودا وليس بوابة بئر مسعود، أين الفتاة؟!

شعر أنه يجب أن يحتفظ بشيء لنفسه يفاوض عليه

- مش فاكر أنا جيت هنا ازاى

- لابأس أيها الغريب فعلماؤنا عاكفون على تحديد مسار تلك الفجوة الجديدة التى سقط منها

والآن سأجيب على بعض تساؤلاتك بينما أطباؤنا يعدون أدواتهم ، فهذا حقك قبل إجراء التجارب .

تلاشت دموية الحياة من وجه طارق ، وهم أن يسأل أو يعترض لولا أن استطرد الرجل من جديد قائلًا بنفس اللهجة الجافة:

- أنا (جارديان)، قائد الأمن هنا في (ريون)، عالم تقبع بوابة الوصول إليه تحت مثلث يقع فى مياه محيطكم ننتقل إليه من وقت لأخر فإذا ما تصادف وجود سفينة أو باخرة أثناء فتح البوابة تختفى بلا رجعه، نحن نتمتع ببعض التفوق التكنولوجى عنكم، صمت لحظات وسأل طارق:

- قل لى ما عملك ؟

أجابة طارق فى تردد : دكتور فى كلية العلوم

- العلوم ! جيد ، العلوم هى اللغة الكونية الوحيدة التى يتفق عليها الجميع ولا أخفى عليك أننا دفعنا جميعًا هنا ثمن استعمال خاطيء للعلوم، كنا هنا مثلكم مقسمين لدول ذات سيادة مستقلة تطمع كل دولة فى احتلال وتخريب جارتها والقضاء على فنونها وحضارتها وديانتها وطمس هويتها، فاستعملت الدول العظمى منها كل ما تملك من أسلحة خبيثة لإنهاك وإضعاف من حولها وإخضاعها لإرادتها واستنفاذ مواردها، وفى سبيل ذلك نشروا مُركّبًا كيميائيًا، ثم أطلقوا ذلك المجال في طبقات الجو العليا.

فى البداية شعروا بنشوة النصر وهم يرفعون الاحترار ويقتلون المحاصيل ويوجهون الأعاصير والسيول للدول المعادية لهم، حدث توجه عالمى لذلك السلاح فكانت المرحلة التالية سوداء قاتمة فى تاريخ ريون.

ارتفع معدل تنفس طارق عند سماعه لتلك الفكرة التي بدت مألوفة للغاية، شعر أن ذلك الرجل يسرد مستقبل الأرض بطريقة ما، لكنه ظل صامتًا يستمع لذلك الرجل الذي أكمل:

- باختصار شديد تكثفت سحب قاتمه حجبت عنا الضوء وتسمم الهواء بالكبريت، أصبح العالم لا يصلح للحياة، انهارت الدول العظمى قبل الصغرى، وسقط القتلى بالملايين فانتشرت الأوبئة على مدار عدة أشهر

حتى تمكنا من إنهاء صنع قبة من الطاقة بتضامن عالمى تقينا الصواعق و الأعاصير والهواء المسمم.

ظل طارق يوازن الأمر في رأسه ثم قال في تشكك:

- هل تعني أن كوكبكم بأكمله يعيش داخل قبة من الطاقة؟!

ابتسم الرجل في سخرية متهكمة قائلًا:

- لم نتمكن من بناء قبة بهذا الحجم بعد الدمار الذي لحق بنا، كل ما استطعنا تداركه هو اختيار أقل المدن تضررًا، ثم نقلنا داخلها كل تكنولوجيتنا وعلومنا، وأغلقنا المدينة بقبة الحياة هذه، وزودناها بمنقيات هواء بالغة القوة تضخ الهواء المعالج داخلها طوال الوقت

ثم أعقب قولَه بإشارة لشخص ما خلف الجدار، لتنساب من السقف عدةُ أجهزة طبية، دخل معها من أحد جدران الغرفة بعد انقشاع جزء من الضوء شخصان، يبدو من حُللهم المتشابهة وأجهزة الفحص التي في أيديهم أنهم أطباء تراجع جارديان وتقدم الأطباء يوصلون عدة أقطاب برأس وصدر طارق بعد تعريته، وسط توتره البالغ وهو يلتفت لجارديان متسائلًا في خوف ليهز الأخير رأسه مُطَمْئنًا إياه بسخرية وعلى وجهه ابتسامة شامتة وهو يقول:

- لا تقلق إنها بعض الفحوصات الطبية، فى الغالب لا نعبأ بها لأسلافك، لكن سقوطك من نقطة مغاية لهو أمر يستحق الفحص والتدقيق .

سرت قشعريرة في جسد طارق، بعد أن قام الطبيبان بتوصيل الأقطاب بجسده وأدارا عدة مؤشرات لترتسم في الهواء شاشاتُ رصد هلوجرافية، تشير لمعدلاته الحيوية التي بدت متوترة قليلًا

حدق أحد الطبيبين في مؤشر الفحص بالأشعة في دهشة بالغة،

عندما وجده يتقافز على نحو غير تقليدي، واستدعى الطبيب الآخر الذي عدل من وضع منظار طبي شفاف يحيط برأسه شاركه زميلُه دهشتَه وهو يعيد توصيل عدة أقطاب أخرى بطارق ليتراجعا في دهشة، عندما أشارت إحدى المؤشرات إلى قراءة ما، نقلا بصريهما إلى جارديان حيث يقف مراقبًا يتابع ما يحدث بتركيز شديد.

أعاد الطبيبان تركيب التوصيلات عدة مرات للتأكد من النتائج، مما وصل معه قلق جارديان إلى تخطي حدود الانتظار تقدم من أحد الشاشات يتفحصها بنفسه بينما قسمات وجهه تزداد تغضنا

التفت يرنو ببصره لطارق ثم عاد للطبيبن يتساءل عن تفسير لما يرى

بدا الارتباك والتخبط على الطبيبن لا يدريان للأمر سببًا

بقي ذلك الطبيب ذو المنظار الشفاف يخفى به نظرة مترقبة فاحصة تجوب الغرفة على نحو خفى ؛ بينما بدا على الآخر بعضُ التردد وهو يشرح نظريته لجارديان :

- لعل السبب أثناء مروره عبر ثغرة ذات إحداثيات مغايرة لم نرها من قبل هى سبب ذلك الاختلاف سيد جارديان، الأمر يحتاج إجراء بضع تجارب على جسده .

برقت عينا جارديان وهو يتطلع إلى طارق الذي شحب وجهه عند هذا الحد من حديثهم وقد توترت عضلاته بشدة وهو يجاهد لحل وثاقه في توتر دون جدوى ليستدير جارديان مغادرًا القاعة وهو يقول:

- ابدأوا تجربتكم على الفور ؛ بينما سأخبر أنا سيادة الامبراطور .

أومأ الطبيبان برأسيهما مؤكديْن شروعهما فيما طلب على الفور.

بينما طارق هربت دماء وجهه وبردت أطرافه يتحرك فى عصبيه وهلع يهتف مناديًا جارديان قبل خروجه :

- ولكن أنتم من استدعيتموني ! راجعهم لعل الأمر لم يصل لعلمك بعد .

توقف جارديان قبل خروجه وهو يلتفت إليه قائلًا في تعجب غير مبالٍ:

-لمْ يستدعِك أحد أيها الغريب، ولا يرغب أحد في وجودك من الأساس، وسينتهى أمرك مباشرة بعد أن ننتهى منك كأى حشرة دخيلة .

غادر جارديان القاعة تاركًا (طارق) في حالة من الفزع، وأحد الأطباء يدنى منه جهاز يحمل فى مقدمته قاذف ليزرى موجه لرأسه بينما انشغل ذو المنظار الطبى بتجهيز طارق الذى يشعر ببرودة جسده وتوتره يعلو صدره ويهبط يلتفت فى هيستريا للطبيب الذى انحنى جوار رأسه متصنعًا توصيل أحد الأقطاب، لكن امتدت يداه من زاوية خفية يعبث بالأصفاد التي أصدرت رنينًا خافتًا، معلنةً انفتاحها دنا من طارق أكثر هامسًا جوار أذنه:

- إنهم لا يعرفون من أنت يا سيدى، سأجد لك مخرجًا .. عند تلك الزاوية من الجدار التي تشير إليها قدمُك اليسرى ، يوجد مخرج مغلق سأقوم بفتحه بمجرد أن ترى الضوء ينقشع عنه اركض بكل قوتك عبر الممر حيث نهايته غرفة ادخلها واترك الباقى للأقدار .

انصرف الطبيب لجانب القاعة فى اللحظة التى ظل فيها طارق متيبس يوازن صحة ما سمعه منذ لحظات، ما الذى يحدث هنا !

حرك يداه فوجدهما قد تحررتا بالفعل، ظل على وضعه عيناه معلقة بالجانب الأيسر من الجدار حتى وجد الضوء بالفعل ينقشع وكأنه دخان أبيض يتلاشى

هنا اندفع طارق بغتة أثارت رعب الطبيب بينما شهق ذو المنظار فى خوف مصطنع يراقب طارق عارى الصدر والقدمين يعبر المخرج ويندفع خلفه عبر ممر ضيق معتم بغير هدى تتردد أنفاسه يركض بسرعة أورثه إياها الخوف من المجهول لبضعة أمتار حتى شعر تحت قدمه بتغير الأرضية ثم اصطدم بحائط فى النهاية علم منه أنه الآن داخل تلك الغرفة بنهاية الممر، لم يطول تفكيره فى الخطوة التالية فبلا مقدمات ارتفعت الغرفة بسرعة سقط معها طارق أرضا ثم نهض سريعًا حتى شعر بذلك المصعد يتباطأ تدريجيًا حتى توقف وفتحت أبوابه فوق قمة بناء ضخم يطل على مشهد شهق له طارق في انبهار واتسعت عيناه في منتهى الذهول والرهبة والمهابة .

شعر بالضأله والتدنى بينا عنقه يدور فى السماء يرصد قبة شفافة هائلة الحجم تتوهج مناطق منها من وقت لأخر، تحيط بالمدينة بالكامل بينما السماء خارجها خضراء قاتمة تمزقها أذرع برقية بالمئات تومض بلا توقف بأضواء وألوان متباينة يطير لها العقل ويُخلب لها اللُب ويزيغ لها البصر.

لم يحتمل التدقيق أكثر خفض عين شاهدت مالا يمكنها استيعابه ترصد مساحةٌ شاسعة مترامية الأطراف تمثل المدينة، مليئة بالأبراج الضخمة هى أقرب لناطحات سحاب كالتى على الأرض تستطيع أن تتبينها من نوافذها المضيئة وسط الظلام الذي تغرق فيه تنتهى عند مياه محيط مخيف، ثائر، متقلب يتلألأ بألوان بديعة تنعكس عن الصواعق البرقية التى تومض فوقه بأصرار .

لم يجد ما يقوله ظل صامتًا تردد أنفاسه فى رهبة لولا هدير محرك على بعد أمتار منه فوق السطح أيقظه من أحلامه، تطلع إليه لحظات فإذ بها طائرة صغير جدًا بالكاد تصلح لفرد تعلن عن وجودها، شعر أنها تنادية

.. إنها الأقدار التى تحدث عنها من ساعده، خطا تجاهها فى تردد وتباطوء متوجس كلفه كثير من الوقت عندما ظهر جارديان من مصعد يفصل بينه وبين المروحية يليه عدة جنود .

تبسم جارديا هازئا غاضبًا يتراجع طارق أمام تقدمه منه ينوى شرًّا بينما عيناه متعلقة بشيء ما خلف جارديان يتجاوزهم ثم يهبط جوار طارق ، قفز على الفور داخل الطائرة الصغيرة دون تردد فانغلق الغطاء الزجاجى وارتفعت على الفور تنطلق بسرعة كبيرة تلاحقها طلقات جنود جارديا والأخير يتابعها ببصره تتجه لأقرب منطقة من جدار الفقاعة وتخترقه بصوت مسموع لخارج المدينة .

ضم جادريان قبضته تغلى مراجله يحتدم الغضب فى صدره، رفع جهاز الإرسال يبلغ عن نقطة الاختراق ليتم الفتك به ما لم تمحقه الصواعق والهواء المسمم .

وخارج القبة طار كرسى طارق يلقى به خارج الطائرة، حلق جسده لحظات ثم أخذ يهوى حتى اصطدم بأرض صلبة كانت شوارع المدينة يومًا، ارتج كيانه لكنه تحامل على كلتا يديه يتأوه فى ألم ،رفع عينيه فيما حوله فانتفضت روحه من هول ما يرى، نهض بلا وعى وقد نسى الألم. جسده يدور بعينيه ورأسه وجسده وسط أجواء شبه معتمة لا يهتك أستارها سوى ضوء قاتم كئيب كمن يبصر عبر نظارات رؤية ليلية يتسرب على استحياء من شمس حَجبت أشعتها سحب ثقيلة و غيوم قاتمة ، وعبر التلاحق المخيف لوميض أذرع البرق شاهد أطنانًا من المبانى المتهدمة تشى بحرب شعواء نشبت هنا قبل سنوات خلت، باغته سعال حاد شعر معه بوخز حارق فى حلقه ، لأول مرة انتبه لرائحة الهواء الكبريتية ، تردد فى عقله ما رواه له ذلك الرجل،

ارتفع معدل السعال يمزق رئتيه ضاق له صدره وغامت الرؤيا حتى أصبح التنفس رفاهية لا يملكها، وضع يده على أنفه في محاولة يائسة لحجب الرائحة الكبريتية بلا جدوى ، ركض فى تعثر بلا هدف حتى تعبأت رئتيه فمادت به الأرض، تعثرت خطواته، ترنح فسقط على ركبته يستجدى هواء تخلى عنه ينساب منه وعيه وروحه ،عيناه بدأتا تنغلقان في بطء ومعها انطفأ عقله فسقط على وجهه دون حراك .



الفصل الرابع

رغم أنه وقت ذروة الزحام بعد الظهيرة إلا أن انسيابية المرور فى منطقة سيدى بشر بالإسكندرية كان مرجعها تواجد منظمين للمرور يحثون قائدى سيارات فضوليين للمرور سريعًا عبر منطقة بئر مسعود التى ضرب حوله زمام أمنى خلت دائرة حوله من البشر إلا من سيارة اتصالات مجهزة تقبع على بعد أمتار من البئر بعد أن تمكن الدكتور مصطفى والدكتور صفوت ببعض النفوذ من الحصول على التصاريح اللازمة لغلق تلك المنطقة، و اعتبارها منطقةَ بحث ودراسة علمية لفترة محددة؛ بينما هو في الحقيقة يقوم بعمل تجربة لم يسبق أن قام بها أحد من قبل اعتمادًا على قراءات سجلها جهاز المقياس لديه عند سقوط طارق كبادرة أمل حاول التمسك بها بعد أن باءت كل المحاولات التقليدية بالفشل ، فتوجه للفرض الأكثر غرابة ، إعادة نفس الظروف التى سقط فيها طارق، بث تردد موجي قصير عبر هوائيات حول البئر يجاورها مقياس لقوة التردد حتى يصل لنفس القراءة السابقة، أينما توجد بوابة فى تلك المنطقة فقد عزم على نبشها .

عبر رجل بدين زمام الحظر بعد أن أظهر هويته للأمن ثم تسلق سيارة الاتصالات فى صعوبة ودفع باباها قائلا :

– لماذا لا تضع العابك تلك بالخارج

- دكتور مصطفى وصلت فى وقتك

نطقها صفوت داخل السيارة وهو يشير لمصطفى بالجلوس خلف أحد الشاشات مكملًا ..

- لا يوجد ثمة ما يريب حول البئر وداخله حتى الآن والمساعدون فى الخارج يؤكدون ذلك ، استعد فنحن على وشك إطلاق التردد، نهض يفتح باب السيارة يشير خارجها للمعاونين بالابتعاد عن البئر، عاد يشير لمعاون ثالث بالداخل حيث جلس بدوره خلف حاسوب صغير يبدأ إجراء تسلسل الإطلاق .

وضع مصطفى سماعات فوق أذنيه وضغطها برفق وعينيه متعلقة بشاشة حاسوب يمر فوقها خط أفقى مستقر، بدأ إطلاق التردد بهدير مكتوم بالخارج وسجل الخط الأفقى عدة تعرجات للحظات ثم توقف التردد وعاد كل شيء إلى سكونه، تلاقت أعينهم بنظرة تحمل الكثير من خيبة الأمل جعلت صفوت يتنهد في يأس، وهو يخلع سماعات الأذن ويشير إلى مصطفى قائلًا:

- كنت أعلم هذا؛ مصدر الطاقة لدينا ضعيف للغاية ليتمكن من بث تردد بهذه القوة.

- تعال نلقي نظرة بالخارج

لم يكد كلاهما يبرح مكانه حتى هتف مساعدهم الثالث فى ريبة يناشدهم العودة .

التفتا له فى تساؤل لم يجبه لكن أعينهم دارت إلى حيث يحدق فكانت الإجابة متجسدة فى شاشة رصدت تلتقط ترددات عالية قفز على أثرها خط التردد على الشاشة قفزات محمومة تشى بالكثير

تسمر كلاهما لحظات أمام جنون خط استشعار التردد ، أفاق مصطفى على قبض صفوت على ذراعه يسحبه خارجًا هبطا من السيارة يتطلعا للبئر الساكن هرولا تجاهه وعند الحافة داخل البئر شهق كلاهما فى ذهول يحدقا فى الأضواء المنبعثة من داخله

- هل أعدنا فتح الثغرة

أومأ صفوت برأسه إيجابًا في بطء لا يجد ما يُقال يرنو ببصره مأخوذًا بتلك الأضواء التي تشكلت على هيئة دائرة غير منتظمة الحواف وقد لاح داخلها على الجانب الآخر ظلام قاتم مجهول بدأ يتحرك تجاههم عبر الثغرة .

تراجع مصطفى لا إراديا ، وهو يجذب الدكتور صفوت للخلف في ارتباك متردد قائلًا:

- ما هذا بالضبط؟!

جاءت إزاحته لصفوت في وقتها، جعلته بمنأى عن البخار الأخضر المندفع من الثغرة كسجين تركت له الأبواب مفتوحة أما باقى المساعدين فمنهم من تدارك الخطر وتراجع ومنهم من غُمر وجهه فاختنقت صدورهم وتساقطوا أرضًا يسعلون بشدة

هتف مصطفى وهو مازال يجذب صفوت للخلف:

- ترجعوا جميعًا ..

قبل أن يستوعب أحدًا ما يحدث انغلقت الثغرة دفعة واحدة وعادت المياة تتلاطم فى القاع وفوق البئر وتصاعدت سحابة خضراء أخذت تشحب تدريجيا كلما ارتفعت حتى تلاشت فى الهواء .

صمت الجميع لحظات وصدورهم تعلو وتهبط من فرط الانفعال،

أفاق مصطفى من الصدمة يفحص من أغشى عليهم من المساعدين فى حالة اختناق بينما صفوت يستدعي سيارة إسعاف .

دقائق وأصبح المكان نشط بسيارة شرطة وسيارة إسعاف ينقل رجالها المصابين، وعناصر من الشرطة تتحدث مع صفوت بينما مصطفى تراجع يدقق النظر للبئر يحمد الله أن مصدر الطاقة لديهم لم يحتمل بث تردد فتح الثغرة سوى تلك اللحظات .

عاد صفوت إليه يغمغم

– غاز كيميائى يغمر الهواء، يا الهى ،الأمر مألوف للغاية .

التفت إليه مصطفى، تتلاقي أعينهما، وقد دارت في رأسيهما نفس الفكرة حول وجود عالم آخر بالفعل، سقط داخله طارق ولكن التساؤل الأكثر رعبًا: هو مصيره الآن في عالم يحوي أبخرة سامة في أجوائه

****

انهض ياطارق، انهض يابنى لا ترهقنى فى إيقاظك،

فتح طارق عينيه يتطلع لوالده جواره يرنو إليه بنظرة حانية

معذرة يا والدى لقد كنت أحلم حلمًا غريبًا جدًّا شعرت معه باختناق وكأنه حقيقى تمامًا، ربت والد طارق على كتفيه يطمأنه

– لا تقلق إنه مجرد حلم يا ولدى، مجرد حلم، مجرد حلم.

شعر طارق بصوت والده يخفت التفت إليه فلم يجد سوى ظلام انتفض جسده وشهق فسعل بعنف من جديد دارت عيناه فيما حوله فاصطدمات بالواقع الاليم، ملقى أرضًا يتطاير البرق من حوله نال الهواء المسمم من عقله فأخذ يهزى، عانت رئتاه وعجزت عن أداء وظيفتها فاختنق حتى

ازرق وجهه ، بأعين متراخية شارفت رحلتها على الغروب أبصر ثلاثة كيانات سوداء برؤوس ضخمة تقترب منه، علم وقتها أنه سيصبح وجبة دسمة لتلك الأشياء .

ترك رأسه يسقط على الرمال وأسبل جفنية يستسلم لمصيره المحتوم تمنى لو أن الأمر يتم بدون ألم، انتفض جسده إثر فك قوى قبض على كتفه وراح يجذبه ثم توالت القبضات ، لم يكن الأمر مؤلمًا كما توقع، وعبر ثغرة من وسط أهداب عينيه الملتقيتين أبصر تلك الكائنات ذات الرؤوس الضخمة الغريبة تحيط به وأصوات متقاطعة تتسلل لأذنه فقدت التميز بين الواقع والهزيان :

- انقلوه سريعًا .

شعر بجسم كروى يحيط برأسه ، خوذة ضخمة ، كالتي يرتديها ثلاثتهم قاموا بضخ غاز داخلها ما إن تسلل إلى أنفه حتى شعر ببعض الوعى يعود اليه، جذبه منقذيه فى عجالة من لا يملك رفاهية الوقت وأسنده اثنان منحهم ولحقهم الثالث يهرولون به لطائرة رابضة ليست ببعيد يحثهم قائدها على الإسراع

ما إن استقروا داخلها حتى ارتفعت بهم ، ليرتسم خط سيرهم على الشاشة أمام القائد، ويهم بإشعال أجهزة التموية إلا أن يديه تسمرتا فوق أجهزة القيادة عندما ارتفع فجأة أزيز متصل، وأضاءت الشاشات بلون الخطر يعلن الرادار عن اقتراب جسم طائر خلفهم مباشرة.

توتر الجميع والبعض يحاول إعطاء رؤية بصرية للقائد حول طبيعة ذلك الجسم، والبعض الآخر يقوم بحقن و إنعاش طارق الذي بدأ يعي ما حوله .

حثهم الطيار على التمسك ، وهو يهتف في توتر بوجود طائرة معادية تقترب من خلفهم مباشرة لم يكد ينهي كلماته حتى برزت طائرة سوداء صغيرة تنقض عليهم بلا مقدمات تطلق تجاههم سيل من طلقات متصلة مال على أثرها القائد بغتة كاد معها أن يتفادى الهجوم المفاجيء إلا أن مناورته لم تكتمل، عندما أصيب جزء من مؤخرة الطائرة مما جعلها ترتج وتميل بمن فيها بزاوية خطرة جاهد معها القائد للسيطرة على توازنها إلا أنها اصطدمت بقمم بعض الأبنية نصف المتهدمة فتحطمت محركاتُها وترنحت فى الهواء قليلًا ثم هوت فوق أرض رملية ثار غبارها للسقطة

ساد السكون لحظات إلا من هدير الرعد ومحركات تحتضر، نهض طارق يتلفت حوله من خلف زجاج الخوذة الداكن يبصر اثنين متشحين بالسواد تحطمت أقنعتهما، وجحظت أعينهما على نحو فقدت معه بريق الحياة تراجع مرتجفًا ليفيق من ذهوله على صوت قائد الطائرة يتأوه في ألم غير قادرٍ على الحركة بعد أن اخترق ظهره وتد معدني منفصل عن جسم المركبة نافذًا من صدره تفقد ببصره حالة الجميع فوجدهم أموتا ثم توقف عند أحد المقتنعين بدا مغشيًا عليه ، خلع الخوذة سعل عدة مرات تطايرات الدماء من فمه ثم أشار اليه قائلًا لطارق في إعياء :

- ستعاود الانقضاض ، غادرا معًا الطائرة على الفور لأقرب مكان آمن.

تردد طارق للحظات، وقد فاق الأمر إدراكه، صاح فيه قائدُ الطائرة بحدة أفاق طارق على أثرها يحمل الجسد الثالث فاقد الوعي بساقٍ مصابه، ثم قفز خارج الطائرة يحث الخطا تجاه أحد الأبنية المتهدمة ، لم يكد يتوارى خلفها حتى بلغ مسامعه دوى انفجار الطائرة بعد أن سحقتها الطائرة المعادية بقذائفها .

استمر يركض على هدى سنا البرق الذي يسطع من آن لآخر، تنبت عن جبينه قطرات عرق تتصاعد أنفاسه يبحث ببصره عن ملجأ من خلف زجاج داكن يحيط برأسه و يقيه سُمِّيَّة الهواء، لم يكن يدري إلى أين يتجه أوماذا سيفعل ، كل أولوياته أن يبتعد عن مكان سقوط طائرتهم ، ثم يبحث عن أى أداة مدببه يوخذ بها نفسه عله يستيقظ من حلم مجسد.

استقر خلف جدار منزل متهدم أنزل الجسد الذي يحمله أرضًا، وجلس جواره يرتجف في تشتت، غيرَ مدركٍ لأي شيء أي جحيم هذا أى كابوس سقط فيه، تأوه من كان يحمله وبدأ يسترد وعيه كانت بادرة أمل لعله يعرف ما ينبغى فعله، عاونه طارق على الجلوس وشرع فى سؤاله لكن حواسه تسمرت وهو يدقق النظر عبر قناع ذلك الشخص لم يكد يتيقن من ملامح وجهه حتى أخذته المفاجأة فهتف دون وعى :

- أنتِ؟!

ابتسم ذلك الشخص ابتسامة مريرة هازئة يحاول النهوض في ألم، يتفحص جُرح ساقه قائلا:

- نعم يا سيد طارق، أنا ... كدتَ أن تتسبب في قتل نفسك عندما قفزت خلفي في البئر، لن أحصى لك كم المشكلات التى واكبت وصولك بتلك الطريقة .

تزاحمت الأسئلة فى عقله بالعشرات قبل أن تموت دهسًا على صوتُ محركات المركبة المعادية قريبًا للغاية ، عاونها على النهوض تتحامل في محاولة للسير، إصابتها عميقة لكنها عضت شفتيها متجاوزة الألم متوكأة على ساعد طارق تحاول فقط أن تظل واقفة، في اللحظة التي برزت فيها المركبةُ تطلق شررًا حول مدفعيها استعدادًا لتصفيتهم بطلقاتها

لم يدر طارق ماذا حدث ولكنه أفاق على صدمة سقوطه أرضا إثر دفعة من الفتاة أودعت فيها ما تبقى من قواها فسقط وسقطت جواره يتفاديا بمعجزة دفعة الطلقات ، مستغلين الغبار الذى أثارته حولهما تحاملت هى على ذراعه ونهضا وسط أستار الغبار تدفعه لأقرب ساتر لهما تصيح بصوت مسموع

- من هنا

كانت إصابة ساقها تبطيء تحركهما إلى حد دنت منهما الطلقات تنذرهم أن لا أمل لديهم فى الفرار شعر طارق بألم فى جانب معدته فى اللحظة التى أحاط خصرها بذراعه يدفعها دفعًا نحو بناء متهدم، كانت المسافة بعيده نوعًا لكنهما وصلا على نحو لم يكن مفهومًا فى البداية حتى أدرك أنه يحملها دون أن يشعر يتفادى ويناور الطلقاتِ القاتلةَ التي تتناثر حولهما بلا هوادة، مخلفة حولهما عاصفة من الغبار .

لهث قليلًا، لكن جسده الذي طاوعه وتحمل العبء كان يُشعره بنشوة كبيرة لم يشعر بها من قبل إلى أن بلغا منزلًا ضخمًا متهدمًا بناءً على توجيه الفتاة اقتحمه، ووقف في وسط ساحته الخالية يتلفت حوله في ارتباك، وقفت على ساقها السليمة قائلة:

- لم نُضلّل المركبةَ بعد يوجد نفق سري على الجانب الآخر يجب أن نبلغه قبل أن يـ

ضاعت باقي عبارتها وسط دوي طلقة حارقة، لفحت حرارتها وجهها عندما مرت على قيد سنتيمترات من رأسها، وأكملت رحلتها لتقتلع (طارق) من مكانه، وتلقي به عدة أمتار للخلف بعد أن أصابته في صدره مباشرة.

ارتدت الفتاة للخلف بغتة فسقطت أرضا تهتف ملتاعة فى اللحظة التى اندفع فيها جسد طارق للخلف يتدحرج فى عنف ثم يستقر دون حراك والدخان يتصاعد من موضع إصابة صدره عادت ببصرها للطائرة فوجدتها تستدير لتواجهها بمدفعيها استعدادًا لسحقها

****

حث جارديان الخطا عبر رواق ضخم داخل قصر حصين هو مقر حكم إمبراطور (ريون) يرتدى كامل دروعه متأهبًا دائمًا وكأنه مقبل على حرب ضروس، عبر وسط الحراس يدفع بوابة ضخمة وثقيلة وولج عبرها للقاعة الإمبراطورية ، كانت الأجواء غريبة تجمع بين تكنولوجيا المستقبل وبدائية الماضى كنتيجة سببيه لفقد ريون لجزء ضخم من موارده فأضطر اللجوء للتقليدية فى الأبنية والمنشأت وسخر كل تكنولجيته فى التطوير العلمى للاسلحة والمعدات الحربية .

- هناك أمر عاجل سيدى أردت نقله إليك بنفسى

من فوق عرش ضخم يستقر أعلى درجات هرمية أشار له الأمبراطور (سلوفير) بالتحدث :

أخذ جارديان نفسًا عميقًا ليُفرغ انفعاله ثم قال:

- لقد رصد علماؤنا ظهور ثغرة فُتحت منذ لحظات فى مكان غريب وغير تقليدى يرجح أنها نفس المكان الذى سقط منه ذلك الغريب أحد سكان (البعد الخامس) ثم أُغلقت على الفور، ونعتقد أنها بوابة إضافية فيما بيننا بخلاف ما يطلقون عليها (برمودا)

قطب الملك جبينه في حيرة متسائلاً، وهو يردد عبارة البعد الخامس ويضيف:

– على حد علمنا أن البعد الخامس لم تصل تكنولوجيته لهذا الحد بعد كيف يتمكنون من فتح بوابة بيننا وبينهم؟!

هز جارديان رأسه نافيًا، وهو يقول:

– علماؤنا يرجحون أنها محضُ صدفة، ولم تستمر أكثر من لحظات ولكن ليس ذلك فقط ما استرعى انتباههم.

أطلت نظرةٌ متسائلة من عيني الإمبراطور، جعلت جارديان يكمل على الفور:

–لقد لاحظوا خلال تلك اللحظات أن الهواء السام الذي يمتلئ به (ريون) خارج القبة قد تدفق عبر تلك الفجوة بمعدلات كبيرة جدًا خلال تلك الثواني قبل انغلاقها

ثم أكمل موضحًا:

– ذلك الأمر أوحى لعلمائنا بفكره قد تعيد الحياة لريون ، فلو تم تعزيز هذه الفجوة من جانبنا، واستمر ذلك التدفق عدة أيام لتخلصنا من الهواء الفاسد، ولتمت تنقية سمائنا تمامًا.

خفق قلب الإمبراطور بقوة، وهو ينهض لا شعوريًا في انفعال عند سماعه ذلك الافتراض قائلًا:

– كم نسبة نجاح ذلك؟

نسبة مرتفعة للغاية يا مولاي

ثم تردد جادريان مضيفًا:

ولكن ذلك يعني أيضًا هلاك البعد الخامس، بعد تسرب كل هذه السموم إلى هوائه

جلس الإمبراطور ساهمًا كمن غابت من حوله الماديات غارقًا في أفكاره بلا حراك كتمثال بشرى، يرنو اليه جارديان ببصره يفتش بقلب خافق فى وجهه عن أمارات قرار تتمنى كل جوارحه أن يكون بالموافقة ، يسترق السمع لهمهمات الإمبراطور:

- لا فرصة للأرض فى النجاة على أيه حال ، حياتهم على المحك واستمرارها بعد تلويثه واستهلاكه على هذا النحو ضربًا من الخيال ، إنها مسألة وقت فحسب، لسنا نحن من نقرر ذلك ولكننا سنقرره على أية حال ، غريزة البقاء هى المحرك الرئيسى لكل تصرفات البشر، لو تكنولوجيتهم تسمح بغزونا لفعلوا، هذه هى طبيعة الخلق.

عاد بريق الحياة لأعين الإمبرطور الساهمة تتشكل قسمات وجهه لتجسد إبليس فوق عرشه قائلًا :

- احشد كل علمائنا، سخر كل طاقتنا، ابدأ في تعزيز تلك الثغرة حتى تتدفق كمية الغاز كاملة في أقصر وقت وأبلغنى بالتطورات أولًا بأول

تراقص قلب جارديان طربًا وهو يحنى وجهه إجلالًا يكبح جموح حالة انتشاء تسرى فى دمه ثم استدار يحث السير بخطوات جندى تلقى للتو أوامر ببدأ عملية تحرير وطنه .

****

كانت الأجواء حول البئر قد هدأت نسبيًا بعد نقل المصابين من جراء استنشاق الغاز السام وبدا واضحًا أنه حادث ومر بقليل من الخسائر، لكنها كانت البداية فحسب، و الأسوء لم يكن قد بدأ بعد عندما انتفض جميع المتواجدين بالموقع إثر صفارات إنذار من أجهزة الرصد داخل عربة التحكم مازجها صوتُ فرقعة أجفل لها الجميع أعقبها خيوط أضواء مبهرة

متراقصة تشع من داخل البئر، اصفرت الوجوه واحتبست الأنفاس حتى جاء ما خشاه الجميع وأمام أعينهم اندفعت بصوت حفيف مكتوم كتل أبخرة خضراء قاتمة بكميات ضخمة تتصاعد للطبقات العليا ثم تنتشر فى الأجواء بسرعة

تراجع الجميع فى ذعر فاقدى النطق ، ركض صفوت تجاه غرفة التحكم، وتبعه مصطفى، جلسا خلف أجهزة الرصد يشاهدان مؤشرات ضربها مس من الجنون ، بأصابع متيبسة ضرب صفوت على أزار الحاسوب بارتباك يعطي أوامره بوقف بث التردد، لم يكد يتوج أوامره بالضغط على زر الإدخال حتى امتقع وجهه وهو يضغط الزر عدة مرات دون جدوى، ، كسر مصطفى أجواء الصمت :

- مستحيل! المؤشرات تشير إلى ارتفاع شديد في بث التردد من أين كل هذه الطاقة؟!

ظل صفوت صامتًا، وعيناه متعلقتان بتقرير المجسات حول البئر التي تعلن وجود تردد قوي للغاية، ينبعث من الجانب الآخر للثغرة، يحافظ عليها مفتوحة، بل ويزيدها اتساعًا مع الوقت .

خرج صفوت من غرفة القيادة شاحبًا، فقابله أحد المساعدين بوجه أكثر شحوبًا، يلهث من الانفعال وهو يقول في ذهول:

- لقد تحطم البئر وازدادت تلك الفجوة اتساعًا!

لم يعلق صفوت؛ فقد كان المشهد أمام عينيه غنيًا عن أي وصف!

****

فى أقل من ساعة دخل جارديان القاعة الإمبراطورية للمرة الثانية على غير العادة مما يشى بأمر جلل يدور فيما حولهم لم يكد يقف أمام الإمبراطور حتى نطق به :

– نجحنا فى فتح الثغرة، الأبخرة تتدفق إليهم بغزارة

اقشعر جسد (سلوفير) يحاصره شعور بالانتشاء مازجته آمال وأخيله تحلق فى سماء عقله الطموح، أومأ فى رضا وهمس فى وجل، مصيرهم كان الفناء على أية حال .. نحن ننفذ مشيئة الإله .

تبسم جارديان ابتسامة خفية لوسيلة الإمبراطور فى تبرير العملية ثم انحنى قائلا : مولاى على حق ، نحن أداة الإله فى تنفيذ مشيئته، لنا الحق فى فرصة أخرى، فى أن نسير على أرضنا خارج هذه القبة لأننا تعلمنا الكثير من تجربتنا، وسنكون أفيد للكون منهم .

– لقد اضطررت أن اتخذ قرارات فى غاية الصعوبة جارديان .

صمت قليلًا وعقله يأخذه فى جوله للماضى يتقفاز فى ذاكرته صوت صديق قديم له مازال عقله يحتفظ به.

(سلوفير) أنت ترتكب خطأ صارخًا فى حق بنى جنسك، لن يسامحك التاريخ على فعلتك .

– سيدي، يوجد أمر آخر بخصوص ذلك الغريب الذي سقط داخل مدينتنا.

أفاق الإمبراطور من شروده على هذه العبارة، يتابع جارديان وهو يضع قرص صلب داخل جهاز تنبعث منه خيوطٌ ضوئية، تجسدت لتكوّن صورة ضوئية حية للفتاة وطارق بينما الأخير يتحرك بسرعة كبيرة يتلافى طلقات مركبتهم التى تحمى حدود القبة من الخارج ثم عرج مع الفتاة داخل المبانى الضخمة المتهدمة يلتقطا أنفاسهما فى الوقت الذى التفت فيه الطائرة حولهم وأطلقت طلقاتها تقتلع طارق من مكانه وتشرع فى سحق الفتاة ،

ثم حدث أمر عجيب جدًا قبض معه الإمبراطورعلى مسندى العرش فاغر الفاه غير مصدق ما يرى حتى انتهى الفيلم فالتفت لجارديان:

- هذا الغريب ذو قيمة كبيرة عند الكهل (لوشيان) حتى يغامر برجاله على هذا النحو، نفذ بشأنه ما أمرتك به جاريان

تبسم جارديان يحنى رأسه قائلا:

الأمر يتم بالفعل .



الفصل الخامس

سمكة قرش! هل ستبقى نائمًا طوال اليوم أيها الكسول؟ أبي، اتركني أنام قليلًا، عشر دقائق فقط اليوم هو الخميس، أين اللحم والفاصوليا؟ أنا أميل إلى تصديق ذلك يا صفوت.. كنت أعلم أن كوثر ليست لي يا مصطفى.. سوف تتأخر على محاضراتك يا دكتور.. أبي، ماذا تفعل هنا؟ أنا دائمًا هنا من أجلك ..! هيا استيقظ استيقظ استيقظ

انتفض جسد طارق وهو يعتدل بغتة، ويهب واقفًا يلهث في انفعال، يتحسس موضع ألم في صدره بعد أن كان غارقًا في شبه غيبوبة لم تتجاوز الثلاث ثوان، راودته خلالها هذه الأفكار يتلفت حوله في جزع، يستوعب عقله الوضع دفعة واحدة عندما تعلقت عيناه بتلك المركبة توجه مدفعيها نحو الفتاة أرضًا بعد أن جمدتها الصدمة و أدركت أنها بلا شك النهاية، كان هو نفسه يظن أنها النهاية

لم يكن يدري كيف مازال حيًا بعد إصابة مباشرة في الصدر لم تحرق سوى ملابسه ومجرد كدمة تحته ، ولا كيف اشتعل ذهنه بأفكار وحلول تنهال على مخيلته بتلك السرعة

شيءٌ ما تغير منذ سقوطه في هذا العالم، شيءٌ جعله يجذب الفتاة بعيدًا عن مرمى الطلقات، ثم انطلق يركض تجاه المركبة التى بدا وكأنها ارتبكت مما ترصده فحولت مدفعيها إليه، شيطان همس فى أذنه وأخبره أن جسدك يستطيع فعلها فقط حاول، بالفعل قفز لأعلى حتى بدا واضحًا أن قفزته أتت بسوء تقدير لمدى قوته فاصطدم بقاعدة الطائرة فى قوة اتلفت مدفعيها، تسلق بدن الطائرة حتى دنا من كابينه القيادة يرنو ببصره داخلها فأبصر حواسيب رقمية تقود طائرة آليًا، رفع غطاء الكابينة فكشف عن كمبيوتر القيادة رابضًا أسفله كما لو أنه يتطلع له فى توسل، لم يكن يدرى طارق الخطوة التالية لكن مقبض جانبى لقرص صلب داخل الحاسوب أثار في نفسه رغبة فى جذبه، لم يكد يفعلها حتى سُلبت الطائرة روحها فانطفأت بغتة جميع أجهزتها ومحركاتها وسقطت من أعلى كالحجر، قفز طارق أرضا متخليًا عنها فى اللحظة التى تحطمت فيها خلفه فوق الأرض .

بنظرة ذاهلة نهضت الفتاة واقفة فى بطء، وعيناها تتابعه بقلب خافق وعقلها يقف عند فكرة واحده أبت أن تغادر شفتيها تتطلع إلى طارق العائد تجاهها وسط عاصفة من أدخنة انفجار المركبة خلفه بعدة أمتار، رنت إليه ببصرها بدا لها في هذه اللحظة كبطل جاء من عالم الأساطير، هو نفسه أمارات دهشة كبيرة اعتلت وجهه، وعلامات استفهام دارت حول رأسه، خطّت نسيجها على ملامحه وهو يدنو منها، وعلى وجهه ابتسامة مرتبكة قائلًا:

- هل لي بتفسير لهذا الذى يحدث؟!

مرت لحظة صمت تلاقت فيها عيناهما عبر زجاج القناع

تسارعت خفقات قلبها أكثر مما توقعت بينما عيناها تركزت على وجهه بنظرة جمعت بين التأثر والرهبة والتوجس ، تنحنح طارق يعيد إليها وعيًا غاب عنها لحظات، ارتبكت تشيح بوجهها قائلة:

- سوف أصطحبك لمقرنا يا طارق، وسوف تفهم كل شيء.

ابتسم طارق هامسًا :

- أتوق شوقًا لذلك يا ....

- لارا ..

تبسم يعيد الاسم على مسامعه ثم مد ذراعه إليها ، ترددت لحظات ثم اتكأت على ذراعه متحاملة على آلام ساقها وسارا متقاربين فأورثها ذلك شعور غريب بالحنين والاطمئنان مازجه خوف وارتباك تلوح مخايله على وجهها يكتسى بحلى نادرة من صنع الأوهام والأطياف وفى عقلها تدور ألف فكرة لم تستطع البوح بأيًّا منها بل خاضت فى ذكريات بعيدة شردت لها عيناها تتابع الأضواء ، لم تكن تعلم أن للصواعق المتلألئة في سمائهم هذا الوقعَ الساحر في نفسها، وكأنها ألعاب نارية تحتفي به بألوانها الفيروزية التي تنعكس علي جميع الموجودات من حولهما لتعطي صورة بديعة لكل شيء حتى للمخاطر المحيطة بهما، سارا عبر تلك الدروب المعقدة التي تحفظها (لارا) عن ظهر قلب، في طريقهما للوصول إلى المقر بينما طارق يروى لها ما مر به منذ استيقاظه حتى وجدوه ، كانت تسمعه بارتباك غريب لم يجد له تفسيرًا فأعزاه إلى جرح ساقها وآلامه .

وصلا في النهاية إلى جدار صخري، وقفت أمامه لحظات، انفتح كاشفًا عن بوابة معدنية ضخمة للغاية خرجت من ركن قصى بها شعاع تراقص على عينيها وجهها فانفتحت البوابة في هدوء، كاشفة عن غرفة صغيرة مغلقة خافتة الإضاءة لم تمر لحظات بعد دخولهم، حتى هدرت أصوات محركات تقوم بسحب الهواء المتشبع بالغاز الأخضر، وتضخ هواءً نقيًا، ثم هدأت الأصوات، وانفتحت بوابة أخرى أمامهم، كاشفة عن رواق طويل مضيء، بمجرد ولوجه أشارت (لارا) بيديها شارحة :

- هذا هو مدخل حصننا السري أخفيناه عن أعين الإمبراطور ومساعدِه جارديان الذي قابلته داخل مدينة القبة.

ثم أقرنت قولها بخلع خوذتها، وهي تسدل شعرها الأسود الطويل فوق كتفيها قائلة:

- مرحبًا بك بيننا يا طارق

حاول طارق تقليدها في خلع الخوذة، ولكنه فشل في ذلك لترتسم على وجهها ابتسامة هادئة، و مدت يدها ضاغطة على زر في جانب الخوذة لتنفتح على الفور ويزيلها طارق وهو يبتسم متفحصا الخوذة متصنعًا نظرة خبير :

- كنت أعلم هذا

ابتسمت تنظر إليه تتلاقى أعينهما من جديد من دون حجاب للحظات تلاحظ لطارق احمرار عينيها بعض الشيء، شرع يسألها أكانت تبكى أم أنه شيء آخر، لكنها أدركت ملاحظته فالتفتت أمامها وهي تقول فى جدية :

- أشكرك على إنقاذي يا سيد طارق

أدرك وسيلتها للمراوغة فطاوع رغبتها قائلا:

- أنا لا أدري كيف حدث ذلك! وأنتِ أيضا مندهشة من الأمر حقًا أتوق شوقًا إلى مقابلة زعيمكم ليجيبني على سيل التساؤلات الذي يموج داخل رأسي

- هو ينتظرك، لحظات وتقابله

امتزج قولها بصوت معدنى يؤكد صلاحية دخولها ثم حفيف بوابة ضخمة داخلية تنسحب دفتيها عن اليمين والشمال تكشف عن قاعدة مهولة تتجاوز في حجمها ثلاثة أضعاف حجم ملعب كرة قدم يشتعل

داخلها نشاط جم ، الجميع بلا استثناء يتحرك في انشغال شديد؛ منهم سائرٌ فى عجالة، ومنهم يتحرك بعربات صغيرة وسط آليات ضخمة، وطائرات في طور الصيانة والإعداد، شاشات تعرض صورًا لتصميمات وأماكن داخل وخارج الحصن وصور للفضاء الفسيح المرصع بنجوم تزين مجراتٍ السماء، وكواكبَ من بينها الأرض يعكف حول كل واحد منها عدة أشخاص يتباحثون حول أمر ما

فغر طارق فاه وهو يدور بعينيه ووجهه وجسده مأخوذًا في ذهول بكل هذا النشاط والعتاد والأبحاث التي تدور حوله حتى إنَّه شرد عن(لارا) من هول ما يرى، تبسمت لذهوله فنادته تعيد توجيهه :

– من هنا يا سيد طارق

انتبه طارق لشروده فاقترب منها وهو مازال فاغرًا فاه، وعيناه مازالتا تدوران فيما حوله وهو يغمغم:

– أهذا مقركم، أم مدينتكم؟!

تبسمت (لارا) ولم تعلق، وبينما عينا طارق تتفحص الجوار وقعت على شخص نحتت على وجهه أمارات الصلابة والقوة يقف على بعد أمتار يرمقه بنظرة فاحصة متشككة تحمل عدوانًا لا مبرر له أثار حفيظة طارق فمال على (لارا) يسألها عنه، فأجأبته :

– السيد (اورالتس) قائد الأمن للمقر بالكامل، شخص عسكرى صلب لا يعنيه فى حياته سوى تأمين المقر والحفاظ علينا لذا هو دائمًا متشكك، ولهذا السبب أيضا هو أكثر من يثق بهم السيد (لوشيان) ....

– مرحبًا بك يا بني

التفت طارق إلى مصدر الصوت ليجده كبير السن يرتدي ثوبًا أبيضًا فضفاضًا يتجانس مع بياض لحيته الطويلة وشعر رأسه المنسدل على كتفيه يشاركهما نفس درجة اللون تلتمع عيناه بذكاء وحكمة بالغتين رغم تغضن بشرته التي تشير إلى طعنه في السن ، تجعدت خطوط على جانبي شفتيه،عندما ارتسمت على وجهه ابتسامة ودود وقور يواصل التقدم تجاه طارق مكملًا:

– قليلون هم من نسمح لهم بالدخول هنا يا سيد طارق لكن عذرًا فأنت فى حاجة إلينا، ونحن فى حاجة إليك

ضاقتا عينا طارق فى تساؤل، أجابها الكهل بابتسامه ودود و مصافحًا طارق:

– (لوشيان) قائدُ هذا الحصن والمقاومةِ ومؤسس معظم العلوم والتكنولوجيا فى وطننا (ريون)

صافحه طارق وعيناه تتابعان (لارا) تجلس على مقعد طبى يدنو منها ما يبدو عليه طبيب تفحص جرح ساقها ثم سحب خرطوم ينتهى بجهاز أسطوانى توهجت مقدمته بوهج أرزق بارد أسقطه على جرح لارا، بدا عليها بعض الألم للحظات ثم استرخت قليلا حتى انتهى الطبيب فى لحظات فنهضت عائدة بعد أن تحسنت إصابتها كثيرًا لاحت ابتسامة على وجه لوشيان يختبر انتباهه :

– ما رأيك يا سيد طارق؟

التفت إليه طارق، وقد انتبه لشروده من جديد، وهو يقول في تركيز مصطنع:

– بالطبع هو كذلك .

ثم استدرك مضيفًا في حيرة مستسلمة:

- ولكني لا أستوعب أي شيء!

اتسعت ابتسامة لوشيان، وهو يضع يده على كتف طارق، ليسيرا متجاورِيْن وهو يقول:

- استمع إليّ بإنصات يا بنى؛ فسوف أروي لك الأمر برمته

.. بدايةً (نظرية الأوتار) التى تعكفون على دراستها وأبحاث ميكانيكا التحت كمية التى بدأتموها حقيقية تمامًا وببعض التطور سيتأكد لكم عمليًا صحة نظرية العوالم المتعددة ، رغم كل تطورنا لم نرصد منها سوى سبعة عوالم تلتف حول نفسها بهندسية كونية معقدة وغير مفهومة، لكنها متشابهة في بعض الظروف عند حد معين من الزمن، إلى أن انحرف كلٌ منهم عن الخط الزمني ليمر كل منهم بظروف مختلفة عن الآخرين تتضمن مليارات الاحتمالات تسببت في تغير مستقبل الكوكب بأكمله، بين كل عالم وآخر نقطتين فى مكان ما تتراخى عندهم الحدود وتتشوة الفواصل بفعل الجاذبية المتبادلة فتصبح هشه واهيه وبمعرفة التردد الموجى المناسب يسهل اختراقها.

وفقا لتصنيفنا فأرضكم هى العالم الخامس وحتى تذهبوا إلى العالم الرابع، فعليكم البحث عن نقطة تماسكم معه وهى عليا ، وحتى تعبروا إلى البعد السادس، الذي هو أرضنا (ريون)، فعن طريق نقطة تماس تكمن في قاع بحركم تهبطوا عبرها من سمائنا

وكذلك الهبوط من جانبنا إلى العالم السابع، (تيرانور)، عن طريق ثغرة في قاع محيطنا الثائر، وهكذا...

التزم طارق الصمت، وقد التهب عقله بهذا السيل من المعلومات التى يعلم حقيقتها نظريًا لكن لم تثبت عمليًا إلى الآن فرضية العوالم المتوازية[1]

---

1) (حقيقة).

وعبر رواق طويل سارا فيه متجاورين تنهد الكهل في أسى، وهو يعقد ساعديه خلف ظهره يأخذ نفسًا عميقًا كمن سيروى قصة طويلة مكملًا:

– من عقود بعيدة وصلت الدويلات المتقدمة فى ريون إلى مرحلة خطرة من الأنانية والغطرسة ، رغم كون ريون يتسع للجميع إلا أنهم طغوا على من يخالفوهم السياسة والنهج ، نشبت الخلافات وتناحرت الشعوب حتى توصلت المتقدمة علميًا منها إلى محاولة تسخير الطقس واستعماله كسلاح ضد بعضها البعض، أطلقوا المركبات الكيميائية فى السماء فأصبحت فى كل مكان حتى غامت سماؤنا ، وحَجبت أشعة الشمس تدريجيًا ثم راحت الصواعق تضربنا بلا هوادة، كان معيار الحياة والممات يخضع للحظ نستيقظ صباحًا لنحصى عدد المنازل التى ضربها البرق وتهدمت فوق رؤوس قاتنيها حتى مللنا التعداد وسكتت الصحف بعد أن تهدمت مبانيها، انهارت المؤسسات الحكومية فى كل مكان وسُحقت أنظمة بالكامل تحت وطئ أقدام الطبيعة، ذابت الحدود بين الدويلات واتحد الجميع لكن بعد فوات الأوان، أيقنّا أنها النهاية عندما رصدنا أبخرة سامة تتراكم فى طبقات الجو العليا تتحرك بثقة وثبات نحو غمر ريون بالكامل خلال فترة ليست ببعيدة، حاولنا الاستعداد للكارثة الضخمة إلى أن بدا أنها تخطت ما تتحمله قدراتنا وطاقتنا فى الاحتمال فباءت المحاولات بفشل ذريع وأظهرت عدم فاعليتها، حتى يئسنا تمامًا، كنا ننتظر نهايتنا كل يوم فى مرارة وكئابة ، حتى جاء فجر يوم حابتنا فيه السماء بعطية متجسدة في نيزك قادم من المجهول انقسم نصفين صغيرين بعد دخوله غلافنا الجوى، أحداهما سقط في محيطنا الثائر وعبر لمكان بعيد ، والأخر استطعنا الحصول عليها، وبعد تفحصه وجدناه معدن يختزل طاقة كونية لا حدود لها كانت تكفي لتنفيذ فكره عبقرية نادى بها علماؤنا، بنشر قبة من الطاقة على الكوكب بأكمله تقينا الصواعق،

ويمنح الطاقة كذلك لمضخات رهيبة تدور حول ريون تسحب السموم من داخل القبة وتنقيها مع الوقت ،كان بإمكاننا حماية أرواح المليارات من الموت ولكن أحد أقرب الأصدقاء، ورفيق البحث العلمي وقتها، رفض فكرة القبة الضخمة على جميع أرجاء الكوكب باعتبارها تستهلك كل طاقة النيزك الذى بحوزتنا فلا يتبقى شيئًا منها نحمى به أنفسنا ، فاقترح قَصْرها على مدينة صغيرة يحشد داخلها صفوة العلماء والمفكرين والقادة، ومن ثم تسخير باقى الطاقة للبحث العلمى وتطوير الأسلحة الدفاعية والهجومية .

بدأ الخلاف يدب بيننا حتى انقسمنا على أنفسنا ، بين رافضين المشاركة في قتل ملايين الأبرياء بتركهم لمصيرهم بالخارج، وبين مؤيدين لأهمية وجود أسلحة متطورة تحمينا الغزاة وإلا ضاع الكوكب بأكملة، وجد ذلك التيار من يؤيده بقيادة ذلك اللعين (سلوفير).. أشار لوشيان لمن حوله مضيفًا، عرض علينا البقاء معه لكننا رفضنا أن تستمر حياتنا على أعناق ضحايا بنى جنسنا، تصدينا له حتى كدنا نقصيه عن فعلته لكن خيانة قائد الأمن (جارديان) وانضمامه إليه قلب الموازين، تم القبض علينا وحكم بنفينا بعيدًا، ثم شرعوا في تطبيق فكرتهم السادية .

بدا التركيز الشديد على وجه طارق بينما لوشيان يشير لمر جانبى عرجا إليه ثم أكمل :

- مضت بضعة أشهر من نفينا قبل حلول الكارثة حتى أضحى الكوكب بأكمله في حالة ذعر وهلع وتخبط بعد انتشار خبر وصول الأبخرة السامة المتكدسة في السماء نحونا فبات ذلك هو المسمار الأخير فى نعش ريون

فى الوقت الذى أنشأنا فيه ذلك الحصن بأقل الموارد المتاحة أحكمنا إغلاقه، وجمعنا فيه قدرَ ما يحتمل من بشر، حتى حلت الكارثة بالفعل في موعدها،

سقط الملايين في جميع أرجاء (ريون) دفعة واحدة، كانت مأساة إنسانية مزقت قلوبنا فبقينا فى كأبة وحزن نلعن من كان بيده النجاه وبخل بها، بقينا نخطط للسيطرة على المدينة من ناحية، ونبحث عن مصدر الطاقة الثانى المفقود، من ناحية أخرى

مشعث الفكر والجوارح تنهد طارق قائلًا:

- رأسي على وشك الانفجار سيد لوشيان؛ ليس من الهين استيعاب كل هذه الأمور بالبساطة التي تتحدث بها .

أومأ لوشيان برأسه موافقًا، ليكمل طارق.. الآن ما استطيع استنباطه أن ابحاثى تشبه أبحاثكم التى دمرت سماءكم ، فلماذا تساعدونى فى أبحاثى ! وكيف سأقوم أنا بمساعدتكم!

تبسم لوشيان وأجابه :

- أرضكم رغم أنها حادت عن المسار الزمنى لنا وتطورنا نحن إلا أنه بدا واضحًا أن المسار بدأ يتقارب من جديد وبات على وشك التطابق، إنكم تسيرون على دربنا يا بنى، ابتكرتم الكيمتريل كما تسمونه وأطلقته دويلات بحسن نوايا معلنة وأغراض عسكرية مخبأه ثم طورت أنت المركب وأضفتم إليه بث ترددات، لم يبق لكم سوى خطوة واحدة وبعدها تتداعى على رؤوسكم المصائب، بدا التفكير على وجه طارق ، وهو يقول:

- هل لديكم كل هذه المصائب والأزمات ثم تتكبدون كل هذه المشقة، فقط لتحذيرنا؟!

بدا عليه بعض التأثر وهو يقول:

- أرضكم يا ولدي غالية، ويهمنا أمرها أكثر مما تتخيل يكفي أن تعرف أن الطفل (مسعود) الذي جئنا به من عالمكم منذ سنوات بعيدة ، وقرر البقاء معنا، قد ساهم بشكل كبير في تطوير تكنولوجيا (ريون) بعد أن أصبح واحدًا منا

تداعت على مخيلة طارق المرهقة أسطورة الطفل مسعود الذى اختفى جوار البئر، الآن الحقيقة أصبحت جلية، كل شيء فى الكون له تفسير حتى لو كان محجوب عن إدراكنا وقتها .

التفت إلى لوشيان متسائلًا من جديد، القدرات التى اكتبستها وظهرت بها فى الخارج، هل جميعكم تمتلكونها !

- لا يا سيد طارق نحن فى نفس قدراتك على كوكبك أما ذلك الاستثناء الذى مررت به فسنبحث له إجابة صباح الغد أثناء أخبارك بسبب احتياجنا لك .

أكمل لوشيان جملته، وهو يشير إلى طارق بالمضي مع اثنين من الجنود، أما الآن فتذهب لغرفتك حتى الصباح، صافح طارق لوشيان ثم الفت للجنديين اللذيْن اصطحباه إلى الغرفة في صمت وجدية عبر رواق طويل

التفت إليهما طارق أثناء سيرهم عدة مرات في دهشة ، ثم قطب جبينه يتفحص وجه أحدهم مغمغمًا:

- هل أنت روبوت

لم يبدُ على الجنديْن العاديْن اللذين تدربا على الجدية والطاعة أي تأثر، فالتفت طارق إلى الجندي الآخر مكملًا :

- وأنت مثله!

وصل هنا إلى غرفة انفتح بابها الكترونيا، خطا داخلها يشير للجنديين قائلًا: العشاء فاكهة، والإفطار في الثامنة صباحًا

تراجع مرة أخرى أمام صمتهما الدائم يتفحصهما قائلًا:

- هل أنتم حقيقيون؟!

****

في الفراش، وبعد يوم مرت أحداثه كالحُلم، رقد تحت غطاء من الفراء؛ تطلع إلى السقف؛ نسج خيوطًا من الخيال؛ تذكر والده، أصدقاءه، كيف حالهم الآن، هل مازالوا يبحثون عنى، أم أضناهم البحث ويئسوا وتوقفوا؟ هل سأعود إليهم يومًا؟ بل هل سوف أحيا حتى تأتي تلك اللحظة؟!

حقيقةً لا أدرى، والدي كان يظل قلقًا أثناء سفري خارج البلاد بضعة أيام لمؤتمر أو دراسة، فماذا سيفعل لو علم أنني سافرت إلى عالم آخر!

ما اليوم؟!

أعتقد أنَّه الأربعاء لابد أنَّه يوم البازلاء والدجاج المقلي

أذكر رائحته بعد أن ينضج أذكر شكل الدجاجة المطهوة، وهي تقف شامخةً منتصبة، تمسك بإحدى الملاعق في شموخ وعناد بالغيْن، معلنةً تمردها على استبداد إمبراطور الظلام، الذي يجتاح عالمها ليستعبد كوكب الدجاج، ويقوم بتهريبه خارج المجرة

ثم جاءت الحسناء (لارا)، تركض في هلع من هجوم الدجاج الطائر، إلى أن أنقذتها وسط فرحتها، فأخذت تردد اسمي في هُيام: طارق، طارق، سيد طارق!

استيقظ طارق منتفضًا، جلس فوق فراشه يتطلع حوله في دهشة للحظات غير مدرك لما هو محيط به حتى وقع بصره على (لارا) تقف عند باب الغرفة بزي رسمي وخلفها الجنديان اللذان اصطحباه أمس إلى الغرفة، تمسك في يدها لوحة إلكترونية، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة هادئة بمزيج غريبة من التحفظ والسعادة ، بخّرت أثر النعاس من عقله، يتطلع إليها للحظات ثم ابتسم مداعبًا:

– صباح الخير على طاقم طيارين (star trek)

قطبت (لارا) جبينها، و أطلت من عينيها الزرقاوين نظرة متسائلة ، نهض طارق مبتسمًا يهز رأسه في نفي، ردًا على نظرات التساؤل المطلة من عينيها قائلًا:

- لاتعيري الأمر انتباها، هيا بنا

❋ ❋ ❋

مرحبًا بك يا سيد طارق من فضلك، انزع قميصك وتمدد فوق هذا السرير الطبى.

تردد طارق للحظات ينظر فى توجس وريبة إلى لوشيان حيث يقف غير بعيد داخل غرفة تبدو طبية تراصت داخلها أجهزة خمن وظيفة بعضها دون البعض الآخر.

أومأ لوشيان برأسه مطمئنًا يحثه على طاعة الطبيب مشيرًا إليه بالجلوس، هى مجرد فحص طبى يا سيد طارق.

نزع طارق قميصه واستلقى فوق السرير القاسى يقشعر جسده بينما الطبيب يتفحص موضع إصابة صدره التي لا أثر لها سوى احمرار باهت وطفيف ينقشع تدريجيًا دون أى اختراق لأنسجة الجسم، لصق ممصات متعلقة بأقطاب يوصلها بجسد طارق فى موضع الصدر والضلوع والجبين وجانبى الرأس، وضغط عدة أزار فى لوحة الجهاز لترتسم على شاشته عدة مؤشرات طالعها الطبيب لحظات ثم أدار مؤشرًا أصدر الجهاز على أثره رنينًا حادًا أغمض له طارق عينيه وانقبضت له عضلاته في ألم بينما شعاع أزرق لا يدرى مصدره يمر على جسده صعودًا وهبوطًا

أغلق الطبيب الجهاز لتتحرر أنفاس طارق وتتراخى عضلاته المنقبضة تابع الطبيب بعض الصور الضوئية المجسمة التي ارتسمت في فراغ الغرفة تفحصها الطبيب في اهتمام شديد و دهشة بدت جلية على ملامحه.

التفت إلى لوشيان حيث يقف هادئًا و تقدم نحوه يقدم تقريره :

- المعايير متوازنة والتطابق مثالي، استطيع بدأ الاندماج فى أى وقت تشاء لن يستغرق الكثير، أما فيما يخص جسده المنيع فأعتقد أنَّ وحدات الطاقة (الميتوكندريا) داخل خلاياه باتت كالبطارية لها القدرة على امتصاص واختزان أى طاقة تتعرض لها ومن ضمنها طاقة الثغرة أثناء عبوره لها بجسده المجرد دون إجراءات الحماية المتبعة لذلك.

هز لوشيان رأسه متفهمًا قبل أن يخطو تجاه طارق يربت على كتفه بعد أن ارتدى قميصه :

- لا تقلق يا بنى هى مجرد طاقة مرتفعة امتصصها جسدك أثناء عبورك دون واقٍ ، ونحمد الله أن خلاياك بطريقة ما احتملتها .

سرت قشعريرة في جسد طارق وهو يقول مطرق الرأس :

- لا بأس سيد لوشيان أنا و صديقي هناك أيضًا من أفسدنا الأمر بتشككنا وعبثنا

ربت لوشيان على كتف طارق فى ود، ستعود لموطنك ومعك نسب ومعايير دقيقة لمركب الكيمتريل تجنبنا فيها الأخطاء التى وقعنا فيها ، ستجلب خيرًا لعالمكم

أومأ طارق برأسه شاكرًا، صمت لوشيان قليلًا ثم أضاف فى تردد :

لكننا نريد منك أمرًا يا ولدى و لك كل الحق فى الرفض أو القبول وبعدها تعود مباشرة لموطنك

التفت طارق إليه فى تساؤل فاصطحبه لوشيان لأحد أركان الغرفة مضيفًا :

نحن نحاول يا بنى منذ سنوات العثور على الجزء الثانى من النيزك بعد أن سقط فى عمق محيطنا الثائر واخترق الثغرة للعالم السابع (تيرانور)، كنا نرسل فرق بحث هناك سرًا لكن لم نستطع تحديد مكانه لسنوات حتى أبلغنا أحد رجالنا لاسلكيًا فى أحد عمليات البحث أنه وجد النيزك ولكن قبل أن يفصح عن مكانه تم مهاجمته من سكان (تيرانور) وانقطع الاتصال ، أرسلنا فرق بحث حتى عثرنا على رجلنا ملقى فى أحد الأنهار تجرفه المياه والأقدار بعد أن وافته المنية ، احضروه رجالنا، وفى هذه الغرفة احتفظنا بالجثمان عندما أكد علماؤنا قدرتهم على الولوج لمراكز الذاكرة واستنباط أخر مشاهد مر بها، لكن كهربية المخ كانت واهية للغاية وخملت مراكز الذاكرة فيه فاحتفظوا بالجثمان فى حالة جيدة لكن دون جدوى إلا بوجود شخص يتمتع بمواصفات وراثية ومعايير جينية تسمح بالتواصل بينه وبين رجلنا

وجم طارق وشرد وداخل عقله تتقافز فكرة بدت مخيفة حتى أبى لسانه أن ينطق بها، لكن عينين امتزج فيهما الخوف بالتساؤل وشت بما توصل له من نتائج جعلت لوشيان يطرق ببصره يومئ برأسه تأكيدًا على صحة نتائج توصل لها عقل طارق فبدت جلية فى عينيه فأشار إليه يصطحبه لأحد الصناديق المختبرية يشبه التابوت، ذو فتحة زجاجية تشف عن وجه شاحب يرقد فى سكون الموت جعل طارق يتراجع بوجه ممتقع يلتفت للوشيان فى ذهول

- نعم يا بنى، يلزم متطابق جيني حتى يتمكن من التواصل معه، أنت التطابق الجيني لأحد أكفأ ضباطنا وقائد القوات البرية العظيم (لازاروس)، الآن عملية الاتصال رهن موافقتك.

مضت لحظات صمت يتنقل طارق ببصره بين لوشيان والجسد المسجى داخل التابوت والطبيب ، الجميع ينظر إليه فى ترقب حتى ضابطهم الميت

شعر وكأنه يترقب رده على عمليه اتصال ذهنية معه يكمل بها مهمته المبتورة.

- ما المطلوب منى تحديدًا؟

تقدم الطبيب شارحًا، لا شيء سيد طارق فقط ستستلقي جواره سأعطيك عقار مخدر وسأقوم بتوصيل عقليكما بأقطاب الاتصال الذهنى عندها ـ حسب علمنا – ستتواصل معه وسترى ما كان يراه فى أخر خمس دقائق مر بها، ثم تعود وتوصف لنا المكان بدقة .

بدا طارق مرتبكًا يمسح وجهه براحتيه ثم تبسم ابتسامة مستنكرة قائلا :

- لا يتاح للمرء كل يوم مشاهدة نفسه وهو متوفى.

التفت يتطلع لوجه لوشيان الهادىء للحظات يبحث فيه عن خلجة تساعده فى اتخاذ قراره فلم يجد سوى ابتسامة ودود حانية ذكرته بوالده ذاب معها توتره وشعر أنه يريد مساعدة ذلك الرجل

- سأفعلها من أجلكم سيد لوشيان ثم أحصل على تركيبة الكيمتريل الصحيحة وانصرف من هنا

أعدك أنك ستفعل يا بنى

****

عبر دروب المجهول ونسمات الهواء البارد شعر بجسده يتموج كمن يطفو فوق صفحة مياه هادئة ناعمة سري لها فى جسده استرخاء مريح وخدر لذيذ فتح له عينيه فى كسل يتطلع بعين نصف مغلقة لصفحة السماء الداكنة تناثرت فوقها حبات النجوم اللامعة دانية، وكأنه يلتحف بها فوق رأسه مباشرة، جلس فوق عشب كثيف يمتد لمساحة قصيرة تحده أشجار عالية متشابكة، التفت يتطلع لقرص القمر الفضي يتوارى جزءًا منه خلف جبل قصير مغطى

بالحشائش والأشجار تلقى بظلالها على كل شيء، نهض واقفًا يدور بعينيه وجسده فيما حوله، كان الظلام نسبى أخفى عنه الكثير من التفاصيل فمضى يخطو متثاقلًا فوق العشب إلى لا شيء بغير هدى ولا سبيل، رنا ببصره تجاه شيء يتحرك فى الظلام أسفل الجبل لم يتبين كنهه، بخطي وئيدة مضى تجاهه مترددًا حتى دنا منه فإذ به حدود شخص مظلم الملامح يقف ثابتًا وكأنه فى انتظاره، تقدم أكثر حتى بدا له ملامحه، كان الأمر مربكًا للغاية ، أنت ترى نفسك فى المرآة يوميًا لكن أن ترى نفسك متجسدًا لهوى أمر مختلف .

- اقترب ولا تخف سيد طارق

- كـ ... كيف وقد تركتك مسجى داخل تابوت منذ لحظات.

- هذا المكان ليس حقيقيًا يا سيد طارق ، أنت داخل عقلى

هال الأمر طارقًا واختلس النظر فيما حوله يحاول استيعاب حقيقة باتت ضربًا من الخيال، عاد لشبيهه من (ريون)

- أنت لم تمت بعد!

- أنا احتضر.

أمسك الشبيه بمعصم طارق يصطحبه برفق تجاه مدخل أحد الكهوف المغلقة بأقطاب معدنية تمنع الدخول، يشير عبرها للداخل نحو طاقة نور فى آخره قائلًا : إنهم ينتظرونني على الجانب الآخر، أجهزة الإنعاش تؤخر عبورى لعالم الأموات، إنها مسألة وقت .

أقرن الشبيه قوله بإخراج ورقة من لحاء نبات جاف يمدها لطارق متداركًا .. سيد طارق إنها إحداثيات موقع النيزك

فتح طارق الوريقة يتطلع لأرقام الإحداثيات ثم طوى والوريقة وشرع يغمدها فى جيبه لكن الشبيه استوقفه متبسمًا :

- ستستيقظ من دونها سيد طارق، كل المشاهد حولنا معنوية من نسج خيالى ومفهومى عن الأمور. احفظ الإحداثيات جيدًا ثم اترك الوريقة.

أومأ برأسه متفهمًا، فتح الوريقة يحفظ أرقامها ، ثم طرحها جانبًا وعاد للشبيه الذى انفرجت شفتيه يخبره فى شيء من الحزن :

عندما تعود لوعيك يا سيد طارق بلغ تحياتى للجميع، أخبرهم أن المهمة تمت ولا داعى لإبقائي بينما لا فرار من موتى، ثم أشار عبر الأقطاب الحائلة مضيفًا، أنا حقًّا أريد أن أذهب

تنهد ثم أضاف، أخبرهم أنه شرف لي أننى كنت أحيا إلى جانبهم ووافتني المنية فى سبيل الحق والعدل، أخبرهم أن لا يتخلوا عن قضيتنا مهما بذلوا من الدماء والأرواح والرجال، أخبرهم أن الموت فى سبيل الحق، هو بداية الحياة

تبسم طارق فى تأثر يتطلع بنظرة لامعة لعينى شبيهه، نظرة شخص اختصر علوم وحكمة عشرات السنين فى محادثة قصيرة فوجد الطريق إلى قلبه، يقين لا سبيل للشك فيه، بادله الشبيه التبسم ووضع يده على كتفه مضيفًا :

أريد منك وعدًا شخصيًا يا سيد طارق فإنا أرى بشفافية عقل رجل يحتضر ما لا يراه أحد، لم يمهله التساؤل وأكمل .. (لارا)، أخبرها ألا تحزن وكن خير عون لها خلال فترة بقائك معها

وشىء آخر، فى حال عدت لعالمك فحافظوا عليه، علمهم أن هِبات الخالق يمحوها الكبر والطمع، وفى النهاية يندم الجميع .

أومأ طارق برأسه متفهمًا بينما عيناه لا تغادر عينا شبيهه تأثرًا وإجلالاً ، أسبل عيناه لحظات يجاهد لاستيعاب حقائق باتت عبئًا على روحه ومخيلته

فتح عينيه ببطء فثقب ضوء مبهر عينيه كسوس فى عصب ضرس محفور، انتفض بغتة و تشنج جسده فشعر بأيدي تثبته فوق فراش صلب، أصوات تدعوه للهدوء، وجوه أشباح أمام مصباح طبى فوقه تتطلع إليه، تدريجيًا اعتدلت الرؤيا فعاد إليه هدؤه ، عاونه لوشيان والطبيب على النهوض بعد نزع الأقطاب حوله رأسه، جلس طارق على طرف الفراش يتطلع للصندوق المسجى داخله شبيهه، خطا نحوه يتطلع للوجه الشاحب، تبسم فى رضا وهدوء، ثم استدار بينما الأعين والأفئدة ترقبه، أمسك قلمًا وخط فوق دفتر ملاحظات أرقام متراصة ودفعها نحو لوشيان :

- إحداثيات موقع النيزك

تقدم الطبيب من طارق يسأله عما رأى، شرد طارق بعقله يجتر مشهد المقابلة المعنوية :

- هو فخور أنه إلى جانبكم ويريدكم التمسك بالحق، ويناشدكم أن تتركوه يذهب فى سلام

عبارات قصيرة من طارق أثارت أحزان من بالغرفة التفت على أثرها الطبيب للعجوز بنظرة حيرة وتردد، اقترب لوشيان من طارق يحصل على تأكيد المعلومة، هل حقًّا هو يريد ذلك ! حصل على إجابته بإيمائه واثقة من رأس طارق ، فأشار للطبيب بالتنفيذ ثم توجه لوشيان لضابطه داخل الصندوق يودعه بعبارات هامسة حزينة يُزيّل تلاوته بعبارة مسموعة

- فليحرسك خالق النجوم والأطياف يا بنى .

قبض على وريقة الإحداثيات ثم اصطحب طارق الذى بدا أنه حائر مشتت فاق ما يحدث إدراكه تعتصر قلبه وحشة وحزن ، وعند مشارف القاعة الخارجية انتبه لانضمام (أورالتس) لهم بقامته الفارعة،

وبنيانه المتين، وقسمات وجهه الجادة تلوح عليها مخايلُ القوة والاعتزاز، مازجها ترقب مضطرب وتساؤل وجد إجابته فى إيماءة لوشيان الإيجابية، تنفس على أثرها الصعداء وأشرق وجهه ثم حانت منه التفاته قلقة تجاه طارق لاحظها لوشيان فالتفت لطارق قائلا :

- السيد (أورالتس) يا سيد طارق، قائدُ الأمن هنا .. الآن تعال معى سأوصلك لعلمائنا المختصين ببحث مركب السماء، سيعلمونك كل ما هو صحيح ودقيق ثم تعود لعالمك على الفور .

لا يدرى لماذا لم يسعد طارق بتلك الكلمات، شعر وكأن فضوله لم يشفَ بعد، تابع ببصره أورالتس يمسك بوريقة الإحداثيات ويهرول تجاه نشاط جم من العلماء يعكفون حول شاشات ورجال يرتدون سترات تشبه رواد الفضاء يتم تجهيزهم بها، التفت طارق للوشيان متسائلًا:

- هل هى عملية إحضار النيزك

- نعم يا بنى ليس لدينا دقيقة نضيعها

هز طارق رأسه متفهمًا وقد عاوده فضول يطرق عقله، فكر للحظات وعاد يسأله:

- سيد لوشيان يعترينى فضول لمعرفة مدى دقة هذه الإحداثيات ، ألا يمكنني متابعة العملية معكم قبل أمر الأبحاث !

تطلع لوشيان للفراغ لحظات في تردد مفكرًا، ثم أومأ برأسه موافقًا، وهو يشير بيديه لتغير اتجاه سيرهم قائلًا:

- لا بأس يا طارق، تفضل

بضع أمتار وصلا بها للمنطقة النشطة حيث تدار العملية.

أشار لوشيان لطارق بالجلوس فى مقعد خلفى ثم امتزج بالعلماء، دارت عينا طارق فى الوجوه حتى وقعت على (لارا) منشغلة فى التجهيزات، وكأنها شعرت بنظرته فالتفتت إليه تتلاقى أعينهم للحظات عبر الجموع وارتبكت من جديد وكأنها قرأت أفكاره عندما ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة حانية، ابتسامة شخص عرف سر ارتباكها كلما تطلعت إلى عينيه، سر دموعها الحبيسة أثناء عودتهما معًا، ابتسامة متطابق جينى مع من أحبت يومًا ثم فقدته، أى ارتباك هذا الذى سببه لها، كانت تتوق للذهاب إليه ومعرفة ما قابل وما رأى لكنها كمحترفة هرست مشاعرها والتفتت تكمل عملها ومن حولها تحرك الجميع في جدية أمام شاشات هالوجرامية ضخمة، تعرض بدء تجهيز ستة ضباط بالخارج هم طاقم المركبات الثلاث التي ستغوص في عمق سحيق للمحيط الثائر، ومنه ستعبر الثغرة، يرتدون سترات كاملة ذات خوذات خاصة تحيط برؤوسهم تشبه حلة رواد الفضاء، احتل كل ضابطين مركبة صغيرة تربض غير بعيد يجلس كل طيار فوق مقعد قيادة خاص يتصل بسترته ، ثم أعلن حاسوب المركبات بصوت معدنى اكتمال الإعدادات مما دعا أكبر الضباط رتبة للهتاف عبر مكبر الصوت باستقرار الاتصال بين الضباط والمركبات وانتظام أجهزة الملاحة أعقب ذلك صوتُ إشعال محركات المركبات ليأتى صوت أورالتس التقريرى عبر مكبر الصوت:

- مهمتكم الغوصُ حتى عمق ثلاثمائة ألف ميل تحت سطح المحيط الثائر، ثم الولوج عبر الثغرة للبعد السابع، والاتجاه مباشرة إلى موقع النيزك حيث تم برمجة مركباتكم على إحداثيات سقوطه، واحتوائه بشبكة الطاقة، والعودة به بأقصى سرعة قبل ملاحظة سكان البعد السابع للاقتحام، وتعتبر المهمة ملغاةً عند أي بادرة خطر.

أتاه صوت قواد المركبات الثلاث في صوت واحد مؤكدين استماعهم للتعليمات، فى لحظة وصول (لارا) جوار طارق تتصنع متابعة الإعدادات لحظات صمت ثم أطرقت برأسها تغالب مشاعر تأججت فى قلبها، لكنها التفتت إليه متسائلة :

- ماذا قال لك !

- يريدك أن تتخطى حزنك، وأوصاني بك خيرًا !

صمتت لحظات تقلب الكلمات فى عقلها ثم أومأت برأسها بعد أن تداخلت مشاعر الحزن مع الحنين ثم الدهشة فلم تقدر تميز ما تشعر به، أنقذها عد تنازلى ثم هدير محركات المركبات الثلاثة ترتفع في بطء عن قاعدتها، وما إن ابتعدوا بضعة أمتار حتى توهجت المركبات بشدة، ثم انطلقت بسرعة ساحقة تجاه المحيط الثائر ليصلوا قرب شاطئه في نفس اللحظة بدأ طارق فى الحديث وكأنه يبحث عما يغير به دفة مشاعرها :

- كيف يتم الاتصال بين الطيارين والمركبة كما سمعت الآن !

أدركت محاولته التى كانت تحتاجها بالفعل فآثرت مجاراته وإجابته:

- توجيه الطائرات يتم بالكهربية العصبية من مخ القائد لأجهزة استشعار حساسة جدًّا فى المركبة، بالضبط كما فى أعضاء الجسد عندما ترسل إشارات من المخ للذراع حتى يتحرك فى اتجاه معين، لكن مع ضخامة محركات المركبة بما لا يتناسب مع كهربية مخ بشرى واحد فقد زودنا المركبة بفردين أو ثلاثة وأحيانا أكثر بحسب ضخامة المركبة، تتفق إشارتهم الكهربية لتوجيه محركات الطائرة حيث يريدون وهكذا أصبحنا نختصر لحظات ثمينة للغاية بين تفكير الطيار واستجابة أطرافه لأجهزة تحريك المركبة .

هز طارق رأسه في شبه تفهم ممتزج بالدهشة ثم عاد يتساءل من جديد بعد استجابة (لارا) لمحاولته :

- ولكن لماذا لا تخاطبون سكان البعد السابع وتتعاونون جميعًا!

من وسط ملامح الحزن تبسمت (لارا) ابتسامة ذات مغزى شارحة :

- من المؤكد أنك تعلم شيئًا يا طارق عن نظرية النيزك الضخم الذي اصطدم بالأرض في العصر الطباشيري ليمحوَ كل أثر للحياة عليه ومنها الديناصورات!

أومأ طارق برأسه إيجابًا أنه بالطبع يعرفها

أضافت (لارا)، هذا الحادث مررنا به هنا في (ريون) ومررتم أنتم أيضًا به على (الأرض) ولكن هذا النيزك في البعد السابع انحرف عن مساره وابتعد عنهم ولم يصطدم بهم!

فغر طارق فاه، واتسعت عيناه دهشة، وهو يغمغم مبهورًا: - هل تعنين أن الـــ ..

ضاعت باقي عبارته وسط صوت معدني لحاسوب المركبة الأولى عبر جهاز الإرسال، يعلن وصول المركبات للثغرة وأن الاستعداد جارٍ لاقتحامها

التفت الجميع إلى الشاشة التي تعرض ذلك، وقد حبسوا أنفاسهم لحظة اختراق المركبات الثلاثة، واحدة تلو الأخرى للثغرة وساد الهدوء لحظات والشاشاتُ لا تعرض سوى أضواء مبهرة تملؤها ثم عادت الرؤيا من جديد.

اتسعت عينا طارق، وهو ينهض من مقعده دون وعى، محدقًا في الشاشة التي تعرض مشاهد تبثها المركبات لكوكب كالجنة مثالٌ للطبيعة الخلابة البكر التي لم تدنسها يد عابث، السحر فيها كان له الكلمة العليا بلا أثرٍ لصُنع بشر، جداول مياه صافية؛ شلالات تنهمر من فوق الصخور لتنعكس

عليها أشعة الشمس البراقة؛ طيور ذاتُ ألوان بديعة تعتلي قمم الأشجار الضخمة المتشابكة الأغصان وتجوب سماء صافية نقية؛ حشائشُ ونباتاتٌ خضراءُ للغاية، وجداول مياه تشقها وتسيل وسطها، كتلةٌ خضراء ضخمة نقية للغاية، في مشهد يخلب اللب، ويطير له العقل.

لكن مصدر ذهول طارق الحقيقي كانت هذه الأعناق التي تبرز من وسط الأشجار الضخمة للغاية، عدة أعناق لديناصور (البراكيوصور) المسالِم آكل العشب، يمشي متثاقلًا وسط الأشجار الضخمة للغاية، يأكل من قِممها، ويمضي في انزعاج وتململ من ذلك الزائر المزعج الذي هبط عليهم بغتة من السماء يشق هدوء وسكون المكان بمحركاته التي بدأ هديرُها يخفت تدريجيًا مع هبوط المركبات الثلاثة لتستقر في مكان آمن، في حذر و هدوء وسط الأدغال، وفوق منطقة خالية من الأشجار

كان الجميع محتبسي الأنفاس يتابعون عبر الشاشات فى صمت انفتاحَ أبواب المركبات وخروجَ الضباط في حذر .

انضم الضباط الستة معًا، يحمل قائدهم في المقدمة جهاز تحديد إحداثيات يتوجه لنقطة بعينها، واثنان من خلفه يحملان شبكة إلكترونية، وثلاثة مسلحون يشهرون بنادق حديثة ويتلفتون حولهم في تفحص للأجواء المحيطة، تحدث القائد عبر جهاز الاتصال داخل خوذته:

– نحن الآن نهبط على أرضية البعد السابع في منطقة إحداثيات النيزك، الأجواء هادئة ولا مؤشرات نحو بيئة معادية الجهاز يشير إلى اقترابنا للغاية من الموقع.

أجابه أورالتس أن يُتم مهمته سريعًا و يتجه للإحداثيات مباشرة.

التفت كلٌ من أورالتس ولوشيان إلى أحد المساعدين عندما وقف مترددًا في احترام، قائلًا للوشيان:

- سيدي، لقد رصدنا...

قاطعه لوشيان أنْ ليس الآن لكونه منشغلًا فى المهمة، إلا أن المساعد بدا عليه الارتباك والتردد مغمغمًا:

- معذرة سيدى، ولكننا رصدنا ثغرة للبعد الخامس، فُتحت على نطاق واسع للغاية!

ضاقت حدقتا (لوشيان)في انزعاج شديد وهو يلتفت إلى الرجل غيرَ مصدق ما يقوله فأشار المساعد بمزيد من التوتر نحو شاشة ترصد ذلك.

نهض لوشيان وترك (لأورالتس) تولى أمر المهمة، وسار في خطواتٍ أقربَ للهرولة وما كاد يصل إلى الشاشة التي تعرض ذلك حتى وقف محدقًا في تلك الفجوة التي تبدو متسعة للغاية، وذلك الغازُ الأخضر الذى يكسو سماءهم يتدفق عبرها ، تساءل بغضب وعيناه لا تفارقان الصورة:

- من أين يتم بث تردداتِ فتحِها على هذا النحو!!

أجابه المساعد على الفور إنها قادمة من المدينة الإمبراطورية هز لوشيان رأسه وقد فطن لفكرة الإمبراطور، وكأنه كان يتوقع ذلك وتنهد في أسى مغمغمًا:

- ذلك اللعين! لم يكفيه مَن أزهق أرواحهم من أبنائنا بل سيزيد من ضحاياه من أبناء الأرض بتسريب هوائنا الملوث لهم، خطة لا تخرج سوى من الشيطان جادريان وإمبراطوره

كان انزعاج لوشيان قد لفت انتباه لارا وطارق فتابعا ما يحدث هناك والتقط طارق عبارة لوشيان، فنهض واقترب من لوشيان يؤكد على المعلومة قائلًا في توجس:

- هل صحيحٌ ما سمعتُه، سيد لوشيان! هل حقًا سيتم تسريب هوائكم الملوث لأجواء الأرض !

تداخل الحزن والغضب فى ملامح لوشيان ، فأومأ برأسه فى مرارة :

- للأسف يا ولدي، ذلك اللعين فعلها، رصَد إحداثيات ومقياسَ تردد الثغرة أثناء هبوطك منها، واكتشف الآن إمكانية توسيع قطرها ليتدفق الهواء الملوث إليكم عن آخره .

هبط الجواب على رأس طارق كالصاعقة يرى بعين الخيال أهل الأرض يتساقطون موتى مختنقين بالآلاف مما جعله يقطب جبينه قائلًا:

- وكيف نغلق تلك الفجوة؟!

ازدرد (لوشيان) لعابه في مرارة، وهو يقول:

- الأمر يدار من داخل المدينة، لكن لا تقلق يا بنى سوف نبذل أكثر مما بوسعنا لنستعيد السيطرة

رنا أورالتس ببصره للوشيان بنظرة تشي بما يجول بخاطره من تحذيره بمغبة إحضار أرضى إلى هنا فى هذا التوقيت وما ينطوى عليه الأمر من خطورة بالغة ، أشاح بوجهه فى ضيق وهو يغمغم ..هذا ما كان ينقصنا، ثم عاد يتابع شاشات البعد السابع التي تنقل لهم فريق البحث الذى توصل لمكان النيزك داخل أحد الكهوف، وشرع أفرادُه في إحاطته بالفعل بشبكة الطاقة في حرص وتوتر، ثم خرجوا به مسرعين تجاه مركباتهم اتسعت عينا أورالتس عندما أبصر مؤشرًا يتقافز على نحو بالغ الخطورة مما دعاه للهتاف عبر أجهزة الاتصال في قلق:

- نرصد تحركات مريبة حولكم أسرعوا بالله عليكم أسرعوا قبل أن نــ..

بتر عبارته، ووثبت قلوب الجميع من صدورهم وانتفضوا في مقاعدهم عندما برزت فجأةً عدةُ ديناصورات، تنقض على الفريق من كل صوب ليشتعل الموقف بغتة، ركض الجنديان حاملا شبكةِ الطاقة التي تحوي النيزك،

وأشهر الأربعة المتبقون أسلحتهم تجاه ديناصورات (أكريوكونثوصور)، المتوسطة الحجم والمفترسة للغاية بفكها القوى وأنيابها القاطعة تقف على قامتيها الخلفيتين وأمامها امتدت ذراعان قصيرتان يتحرك خلفها ذيل طويل مكسو بالحراشف الصلبة للغاية رفع من مقاومتها أمام الطلقات الغزيرة التى أطلقها الجنود بينما الأعداد تنقض عليهم من كل حدبٍ ونسل تحيط بهم في تشكيل حلقي وكأنه مدروس حال دون وصول أفراد الطاقم إلى مركباتهم وأصابهم بتخبط للحظات إلى أن امتصوا المفاجأة وأعادوا تشكيل صفوفهم ،وللوا ظهورهم لبعضهم البعض تدور أسلحتهم تجاه الوحوش المتربصة بهم تطلق خوارًا مرعبًا، وكأنها تدرس تحركاتهم للحظات

ثم وبلا مقدمات، وفي وقت واحد، انقضت على الفريق! وكأنها إشارة البدء أيضا للفريق بفتح نيرانهم بغزارة فى دفعاتٍ متتابعةً وسريعة تصيب عدة وحوش تحمى الحراشف الصلبة بعضهم فيواصل تقدمه وبعضهم يصاب فى أمكان عارية من الدروع فيخر صريعًا حتى تمكن الجنود من فتح ثغرة تجاه مركباتهم لم يضيعوا لحظة واحدة بعدها فانطلقوا يركضون عبرها وخلفهم العديد من الوحوش تلاحقهم فى غضب وثورة ، حتى لحق أحدهم بحاملى النيزك وأطبق بفكه على رأس أحدهم واقتلعها من فوق كتفيه ثم أطبق آخر على كتف أحد المسلحين، فحمله عاليًا، وألقى به تجاه الأشجار التي اصطدم بإحداها في عنف وسقط بلا حراك

أمسك أحد المسلحين بطرف الشبكة مع زميله، وركضا تجاه مركبتهما مذعورين، يتبعهم الجنديان المسلحان تجاه المركبة الثانية، توقف أحد المسلحين، وهو يطلق أشعة سلاحه في هستيريا محمومة يحاول توفير الوقت لزملائه ، ثم ركض محاولًا اللحاق بزميله إلا أنَّه كان قد تأخر كثيرًا عندما لطمه فك أحد الوحوش لطمة عاتية طار لها جسده عدة أمتار ليسقط وسط

عدة وحوش أخرى حانت التفاته من زميله ينشد إنقاذه لكن صرخته المروعه التى رددتها الأجواء و اجفل لها قلب زميله وشت بنهايته الحتمية بينما الوحوش تنهشه نهشا.

وصل الضابطان مع النيزك إلى المركبة الأولى، ونجحا فى الارتفاع بها فى الوقت الذى اجتاز الضابط المتبقى بوابة المركبة الثانية وقد انفطر قلبه من رؤية زميله تمزقه الفكوك والأنياب، ألقي بسلاحه على أرضية المركبة ثم تهاوى منفردًا فوق أحد مقاعد القيادة يلهث وقلبه يتواثب هلعًا بينما البوابة تنغلق أوتوماتيكيا ليشعل المحركات وترتفع المركبة على الفور، وإلى جواره ترتفع المركبة التي تحمل النيزك تجاه الثغرة مباشرة ، أشعل جهاز الإرسال فى خوذته هاتفًا في إعياء شديد:

- من مركبة عملية النيزك 2 إلى القاعدة، أقود المركبة بمفردي، ورأسى يكاد يشتعل، لا أحسب أننى سأتحمل هذا الضغط.

أجابه أورالتس عبر جهاز الاتصال في أسى:

- نُقدر ذلك نيزك 2 إنكم أبطال، تحمل أيها الضابط فإنا نريدك بيننا سالمًا

أتاه صوت القائد متحشرجًا:

- سأبذل قصارى جهدي، سيدي

اندفعت المركبتان بسرعتهما القصوى تجاه الثغرة، وكادتا تصلان إليها لولا ظهور سرب من (البتيروصور)، أضخم ما طار على الإطلاق بجناحين يبلغ طولهما بعد فردهما أمتارًا تسعة، يكسوهما ذلك الجلد الرقيق بين فواصل جناحيه ، ينقض على المركبتين بأعداد كبيرة، يحاول الاصطدام بهما بفمه العظمي الطويل وعظام رأسه القوية للغاية والتى تشبه المطارق .

بدا الارتباك من المفاجأة واضحًا على المركبتين وهما يقومان بمناورة طارئة كادتا أن تفلتا كلتاهما بها لولا تأخر المركبة التي يقودها قائدها بمفرده، جاءت مناورته بطيئة غير مكتملة فطاله أحد تلك الطيور، واصطدم به لترتج المركبة وتترنح لحظات وقائدها يجاهد للسيطرة عليها، وسط ضغط لا يحتمل واقع على رأسه احتشد له على جبينه عرقا غزيرًا، وسالت دماء من أنفه أما عيناه فبدأت تتراخى فى ضعف، وقد بدأ عقله ينهار.

فقدت المركبة ارتفاعها سريعًا، ودار حول نفسها وسط هتاف قائد المركبة الثانية، يحثه على مقاومة الدوار واستكمال المراوغة ولكن القائد لم يُجبْه بعد أن سالت الدماء أيضا من عينيه، وسقط رأسه فوق صدره فأصبح فريسة سهلة (للبتيروصور)التي انقضت بالعشرات تحطم جدار المركبة بلا رحمة لينهار الجدار مع احتراق محركيها لتسقط أرضًا فوق الأعشاب منفجرة بِدَوِيٍّ عنيف انتفض له قلب قائد المركبة الأولى فدفع الخوفُ مختلطًا بالغضب مزيدًا من السائل المحفز داخل عروقه، يتدفق كالحمم الملتهبة المدفوعة بغضب هادر ليدور مع معاونه بالمركبة دورة كاملة ساعدته فيها سرعةُ المركبة المتفوقة على سرعة تلك الكائنات ليعود مقابلها تمامًا، ويفتح نيران مدفعيه مُطلقًا وابلًا من القذائف الحارقة تساقطت على إثرها الطيور الضخمة بالعشرات مشتعلين من السماء دار دورة أخيرة جعلت عددًا منها يصطدم ببعضه البعض مطلقة عواءً مفزعًا ثم انطلق بأقصى سرعة تسمح بها مركبته تجاه الثغرة، واخترقها مباشرة، تبعه طائران فى عناد إلى قلب الثغرة وعبراها خلفه ليصطدما بمياه قاع المحيط على الجانب الآخر ويسقطا غريقين في لحظات بفعل ضغط المياه الساحق، شقت المركبة طريقها فى الأعماق وقائدها يعلن عبر جهاز الاتصال :

– من نيزك1 – إلى القاعدة نحمل الهدف وفى الطريق إليكم .

دوى تصفيق حاد وهتاف داخل حصن المقاومة، بعد إعلان قائد المركبة ذلك، وتبادل الجميع التهاني في فرح جم يتابعون وصول مصدر طاقة لا نهاية له سوف يكون بين أيديهم بعد قليل، انتقلت الحماسة إلى قائديْ المركبة اللذيْن زادا من سرعة محركاتها المائية لتعبر قاع المحيط في دقائق، ثم تبرز من وسط الماء مرتفعة للحظات في الهواء ثم تشتعل نيرانُ محركاتها وتنطلق بمحاذاة الماء عدة كيلومترات، ثم ترتفع عند وصولها إلى اليابسة بسرعة كبيرة، وتتوجه إلى الحصن مباشرة وسط متابعة الجميع فوق شاشات الرصد تخفق قلوبهم طربًا وفى أعينهم تترقرق دموع الأمل .

وأمام الجميع شقت ظلمة السماء حزمة صامتة من الأشعة كالبرق مجهولة المصدر تلقتها المركبة في منتصفها تمامًا فسحقتها سحقا بضربة واحدة ودويَ انفجار يشارك ومضاتِ البرق المتتالية في إضاءة سماء تلك المنطقة المظلمة و تهويَ المركبة مشتعلة من حالق تسقط فوق منطقة وعرة من الجبال والتلال وتهوي معها قلوب وآمال الجميع، مرت لحظة صمت وذهول لم يكتمل على وجوه الجميع عندما أعقب ذلك مباشرة ظهور المركبة المقاتلة الضخمة التي أطلقت الأشعة، فغر جميع الخبراء فى القاعة أفواههم عندما ميزوا الشعار على تلك المركبة التابعة للجيش الإمبراطوري ليسود المكانَ وجومٌ وسكون قاتل قطعه لوشيان الذي كان أول من تغلب على انفعاله، يهتف عبر جهاز الاتصال لأحد المراقبين في انزعاج:

– كيف تقترب سفينة بهذا الحجم ولا ترصدونها؟!

أتاه صوت مسئول الرصد في تلعثم مرتبك:

- أقسم لك يا سيدي أجهزتنا لا ترصد أي شيء نحن قائمون الآن على دراسة ذلك لعلها تكنولوجيا جديدة لديهم!

هنا تدخل أروالتس هاتفًا:

- تعكفون على دراسة ماذا ! لقد تم تتبع ورصد موقعنا أيها الحمقى ! قد نجد جيش جارديان بأكمله فوق رؤوسنا في لحظات!

ضاعت آخر حروف كلمة أورالتس وسط دَوِيِّ صفارات إنذار انفجرت بغتة داخل الحصن بأكمله مقترنة بخفوت فى الإضاءة ، تعلن وجود اقتحام لعدة مراكز بالخارج شحبت لها الوجوه وفرغت معها الأفئدة فصارت هواء.



الفصل السادس

الموقف لا يحتمل أيها السادة رجاء مراعاة النظام أثناء الإخلاء حتى لا يتأذى أحد

عبر مكبر للصوت نطق أحد الضباط بهذه العبارة ، وهو يقف فوق إحدى مدرعات الجيش التي تجوب العديدُ منها شوارعَ مدينة الإسكندرية فى حيز منطقة سيدى بشر والمناطق المحيطة ترتدى فرق من مكافحة الحرب الكيميائية أقنعة تقيهم سُمية أبخرة خضراء ملأت سماء المنطقة مستمرة في التدفق عبر البئر بعد أن تهدم تمامًا مع اتساعها المستمر و صارت مجرد فجوة أرضية تنفث سموم خضراء صبغت الأجواء بلون الموت الأخضر حتى بلغت المواطنين داخل منازلهم فسرت موجة ذعر بينهم وتدفقوا من منازلهم على أثرها يتدافعون في مشهد كارثي بكل المقاييس أعلنت له قواتُ من الأمن العام حالة طوارئ قصوى وقرارًا بإجلاء المواطنين والإخلاء التام للمنطقة مع التأهب لتصعيد القرار والإجلاء الكامل للمحافظة .

لكن بدا أن القرار قد سار دون دراسة محكمة لتوفير سبل الأمان فبات الإجلاء عشوائيًا متخبطًا، كارثة إنسانية جديدة فقدت القوات السيطرة عليها فقد تدافع آلاف المدنيين فى الشوارع يضع البعض منهم كماماتٍ طبيةً صغيرة،

في محاولة ساذجة لعدم استنشاق الهواء الملوث غير مدركين الحجم الحقيقي للكارثة التي حاقت بهم، جاهد جنودٌ من فرق مكافحة الحرب الكيميائية لنقل أكبر قدر منهم عبر العشراتٌ من حافلات النقل العام التي تم تسخيرها لذلك الغرض، تنقلهم تباعًا خارج المنطقة النشطة وسط وهج أضواء عربات الشرطة ودوي صفارات عربات الإسعاف التي لا تكف عن نقل عشرات المصابين والصرعى من جراء استنشاق الغاز لمستشفى ميدانى بعيد عن المنطقة وسط تحليق العديد من مروحيات الإسعاف الطائر و القوات المساندة، في توتر وأجواء مشحونة تغلفها غَيْمةٌ خضراءٌ كئيبة، تطبق على أنفاس الجميع .

وفي أحد غرف العمليات الخاصة، جلس العديد من قيادات الأمن العليا بالدولة بالإضافة إلى الدكتور صفوت والدكتور مصطفى، وقد أصبحا في حالٍ مزرية وإرهاق بالغ بعد ما لقياه من معاناة في الساعات الأخيرة ، يستمعان لأحد القادة يشير إليهم قائلًا في صرامة تخفى قلقًا بالغًا:

- دكتور مصطفى، دكتور صفوت للمرة الأخيرة، كنتما أقرب مَن يتعامل مع الأمر بل لا أزايد لو قلت إنكما من تسبب فيه من الأساس فحتى لو سلمنا جدلًا- كما تدعيان- بوجود عالم على الجانب الآخر للبئر، فما هو تقييمكم لتلك الكارثة! وما الفروض العملية للتصدى لها!

مسح الدكتور مصطفي جبينه يزيل إرهاق ملأ وجهه :

- كما سبق وذكرنا، كانت مجرد تجربة علمية بسيطة نحكم السيطرة عليها ، أما الآن فإننا فقدنا السيطرة على تلك الفجوة تمامًا والتحكمُ الكامل من الجانب الآخر عن طريق بث موجات ترددية قوية للغاية وتزداد تدريجيًا

صمت قليلًا، وكأنه لا يجد العبارات المناسبة للتعبير مما جعل الدكتور صفوت الذي احمرت عيناه من الإرهاق يكمل :

- ما يجعل تلك البوابة مفتوحةً هو تردداتٌ موجية قصيرة المدى، قوية وثابتة للغاية من الجانب الآخر للفجوة، نظريتي هي أننا لو استعملنا أجهزة بث متطورة وقوية لبث مجال مضاد لتشتيت البث من الجانب الآخر، كما سبق وفعلت مع طارق للحظات سوف تنغلق الفجوة، ويتوقف تسرب الأبخرة السامة إلينا

تنهد أحد القيادات الأمنية الحاضرة، وهو يقول:

- الوقت يداهمنا يا سيد صفوت، والمضخات التي وضعناها لسحب تلك الأبخرة غير فعالة بالمرة، ابدأ على الفور في تنفيذ اقتراحك، ولك جميع الصلاحيات بمساندة فرقة مدربة من مكافحة الحرب الكيميائية

أومأ صفوت برأسه موافقًا، ثم اختلس نظرة لمصطفى يبحث فى عينيه عن تأييد يستمد منه ثقة تفتقرها روحه

❋❋❋

أطلب الإذن بالتعامل الشامل

ظل لوشيان واجمًا شاردًا بعد هذه العبارة من أورالتس، يراقب شاشة الرصد التي تنقل له صورة الجيش الجرار الذي يقوده جارديان شخصيًا والذي بدا واضحًا أنَّه جيش إبادة شاملة وكاملة، بسفينة القيادة الضخمة للغاية التي تقبع على ارتفاع متوسط، بعيدًا عن الحصن، تنطلق منها عبر قنواتٍ جانبية المئاتُ من المركبات الصغيرة تجاه الحصن مباشرة؛ لتكون غطاءً جويًا لقوات برية من آليات مدرعة، وروبوتات مقاتلة، ومجنزرات ليزرية تتقدم حشدًا من آلاف الجنود تكسو أجسادَهم بالكامل دروع وخوذات قوية ويحملون مدافع وقاذفات قنابل متطورة .

أزدرد لوشيان لعابه وبشفتين أترجفتا من هول ما يرى تحدث إلى نفسه:

- يا إلهي...! هل قررتَ إراقة المزيد من دماء بني أهلك أيها اللعين، ومن أجل ضمان التفوق فقط ! فلتكن لعنة الدماء على عاتقكم ملطخة بها أيديكم أبد الدهر !

ظلتا عيناه معلقتين بشاشات الرصد، مغمغمًا فى آسي :

- افعلها أورالتس فلتكن حربًا شاملة إذا أرادوا ذلك، فلتكن حرب نهاية أو حربًا للحرية!

شد أورالتس جسده في وقفه حازمة، قائلًا في قوة:

- لن يفعلوها سوى فوق أجسادنا، سيدى.

ثم أضاف في اقتضاب بصوت يحمل مقت وثورة :

- أعدك بذلك

ثم انطلق يعدو، وهو يتحدث عبر جهاز الاتصال، مستدعيًا جميع قادة قواته ليتجمع الكل أمامه في لحظات، في ترقب وتوتر بالغ، منتظرين الأوامر حول التعامل مع ذلك الخطر المحدق وإن كان معظمهم توقع القرار عندما قفز أورالتس يعتلي أجنحة إحدى المقاتلات الجوية الرابضة داخل الحصن تدور عيناه عليهم فى اقتضاب ، منتصب الجسد في اعتزاز، هاتفًا في حماس:

- نحن هنا الآن؛ لأننا اخترنا أن نكون شرفاء، رافضين للأنانية، والظلم و إراقة دماء ذوينا.. لن يختبئ أحد بعد الآن، ولن نتوارى في الظلام بصمت؛ فاليوم ستكون ملحمةٌ يسطرها تاريخ (ريون) إما أن نربح فيها حريتنا، أو أن نموت بشرف، سنواجه القوات المعادية على أعتابنا.

ثم ارتفعت نبرة صوته للغاية مكملًا في حماس وهو يضرب قبضة يمينه براحة يساره:

- وسننزل بهم شر هزيمة .

سرت موجات الحماس الكهربائية بين أجساد الضباط فارتفع هتافهم بتأكيد النصر واندفع الجميع لمواقعهم فجري تسليح الجنود بالبنادق بعد ارتداء ستراتهم المقاتلة يصطفون بالمئات أمام بوابة الحصن الرئيسة التي مازالت مغلقة، وسط توافد من قوات مدرعة لمجنزرات ليزرية تتأهب للانطلاق في سرعة لا تقل عن سرعة ركض طياري المركبات الذين أكملوا ارتداء خوذاتهم في طريقهم لمقاتلاتهم الثنائية القيادة بلونها المائل للاخضرار للتمويه ، لتنفتح البوابات الرئيسة للحصن، كاشفة عن سماء وأرض معركة اندفعت إليها كامل القوات في نفس الوقت، واشتعلت الحرب

طارق وحده من ظل يتطلع حوله في صمت، وكأن الأمر يفوق إدراكه، يتابع كل هذه التحركات والحشود الهائلة لجميع القوات التابعة للوشيان ثم التفت إلى (لارا) التي كانت على وشك الانضمام للقوات لو لا أنْ منعها لوشيان من ذلك قائلًا:

- لدي لك مهمة أخرى يا (لارا)

ثم أشار إلى طارق، مكملًا:

- قد جلبناه إلى هنا لغرض معين، ويجب إكماله، سوف تصطحبين (طارق) إلى مقرنا الاحتياطى؛ ليُعْلمه علماؤنا هناك بالمُركبات الصحيحة اللازمة لأبحاثه، ولتبحثوا معهم حول طريقة لإنقاذ عالمه من الدمار

بدا التردد على وجه (لارا)، وهمت بالاعتراض إلا أن لوشيان عاجلها قائلًا:

- أدرك شعورك يا بنيتي ولكنه خطؤنا ويجب إصلاحه أيضًا

تلاقت أعين (لارا) ولوشيان للحظات لتتنهد في أسى، قائلة له:

– تعال إذن معنا

هز لوشيان رأسه رافضًا ليؤكد لها أنَّه سيكون أفضل حالًا لو شارك هذا الحصنَ الذي أسسه نفسَ المصير

ثم التفت إلى طارق، واضعًا يده فوق كتفه قائلًا:

– سررت بمعرفتك يا بني ونأسف على ما جلبناه لك ولعالمك بغير قصد، لقد تتبعوكما إلى هنا بطريقة ما .. لكنى أؤمن أن لا شيء يأتى مصادفة هناك دائمًا غاية من كل يحدث .. من يدرى؟!

أومأ طارق برأسه مغمغمًا فى خفوت

– نعم سيد لوشيان ومن يدرى؟

ابتسم لوشيان مربتًا على كتفه يلقى بكلمة نهاية لقاء لا يدرى أيتكرر أم لا ، رغم الهجوم الكاسح على مشارف مقرهم إلا أن بذرة يقين نمت فى قلبه فأنبتت أمانى وأحلام، خلقت الأخيلة والآمال اكتست ببريق من صنع المحنة والصعاب

اذهبا و ليحرسكما خالق النجوم والأطياف

❋❋❋

مهمتى إخراجكم من هنا تحت أى ظرف

تلاقت أعين طارق و(لارا) في صمت، ووجل أطل من عين الأخير أثناء ركضهم عبر ممرات المقر الخلفية بصحبة ضابطين نطق أعلاهم رتبة بهذه العبارة وسط أضواء خافتة متقطعة كئيبة تتزامن مع دوى صفارات الإنذار فى الحصن بأكمله، الجميع يرتدي سترات قتالية كاملة ذات مفاصل هيدروليكية جعلتهم يبدون أكثر ضخامة بقليل وزادت من سرعتهم وقوة

تحركاتهم تراصت عليها أسلحة وتجهيزات قتالية لم يفهم منها طارق شيئًا سوى زر الخوذة التي تبرز من ياقة السترة وقت الضغط عليه كانت لحمايتهم قدر الإمكان أثناء عبورهم منطقة الخطر بالخارج، وقف الجميع أمام البوابة الأخيرة لحظات يعيدون دراسة موقفهم بينما القذائف بالخارج تدوي في عنف بلا توقف قريبة للغاية من المباني الداخلية للحصن مما لا ينذر بخير.

هتف أحد الضباط بصوت مرتفع؛ ليميزه الجميع من وسط ضوضاء الحرب :

– المركبة قابعة في الباحة الخلفية سوف نمر راكضين عبر هذا الطريق؛ فهو أكثر الطرق أمنًا، وأقربهم للمركبة و بمجرد بلوغها، وصعود الجميع، سأقوم بقيادتها مع الضابط المساعد حتى المقر الاحتياطي المؤمن، هل من أسئلة؟!

ألقى طارق نظرة بالخارج ليقع بصره على الطلقات المتراشقة والقذائف التي تدوي بلا توقف والعديد من الجنود الصرعى والآليات المحطمة

ليعود مغمغمًا، بصوت خافت:

– هل هذا هو أكثر الطرق أمنًا! ألا يمر قطار الإسكندرية من هنا حتى أستقله!

– هيا بنا

نطقها الضابط فى حسم دون الالتفات لعبارة طارق التى لم يدرك أحد معناها، ضغط الجميع زرًا في السترة لتبرز شرائح معدنية من داخل ياقتها، في تتابع، تغطى منطقة الرأس بالكامل مع الاحتفاظ بجزء زجاجي شفاف، يبرز معه نصف الوجه، يتيح الرؤية البصرية يتبعهم طارق في غلقها ثم انطلق الجميع راكضين تزامنا مع هتاف الضابط يتقدمهم بلا تردد،

وإلى جواره الضابط الآخر وسط دمار شديد حاق بأبنية الحصن الخارجية نتيجة القذائف الحارقة التى تنهمر من الجانبين كالسيل حتى امتلأت الأرض بالصرعى وأصبح المشهد كابوسًا تكتسي سماؤه بمئات من الطائرات المقاتلة من الجانبين كأسراب الجراد المشتعل تضيء السماء بطلقاتهم المستمرة كالحمم يتساقط بعضها كالشهاب فى السماء بعد إصابته ، مما دعا أحد الضباط أن يهتف، وهو يخفض رأسه راكضًا:

– الوضع أخطر مما توقعنا حاولوا الوصول إلى ذلك الجدار المتهدم أولًا قبل أ.....

لم يكمل الضابط عبارته حتى اقتلعته طلقة قوية من مكانه وأطاحت به عدة أمتار قبل أن يسقط والدخان يتصاعد من موضع إصابة السترة التي حمته من الإصابة

تحامل الضابط يحاول أن ينهض من جديد، ولكن سقطته دفعت به إلى منطقة نشطة للغاية ، جعلته فى مرمى الطلقات المتراشقة ليتلقي أخرى في ظهره، ثم أخرى ساحقة من روبوت مقاتل نسفته نسفًا .

حدق الجميع في المشهد بذهول للحظات أفاقوا منه على الفور قبل أن تسحب (لارا) سلاحين صغيرين على جانبى فخذ سترتها النسائية ويشهر الضابط المتبقى بندقية ضخمة يحث الجميع على مواصلة الركض بينما يطلق مع (لارا) طلقات متتابعة تشق لهم ثغرة يعبروا خلالها فى الوقت الذى رصد تحركهم ذلك الروبوت الضخم فالتفت يمطرهم بطلقات ساحقة تلاحقهم مثيرة غبارًا كثيفًا إثر اصطدامها بالأرض الرملية ، ثم تراجع الروبوت عدة خطوات، إثر اصطدام أشعة (لارا) والضابط به ولكنه سرعان ما اعتدل وأطلق قذيفة ثقيلة سقطت خلفهم مباشرة تتوهج للحظات قبل انفجارها.

كان طارق قد وصل إلى ذروة الانفعال عند هذا الحد مما يدور حوله من حرب شعواء لم يشاهدها سوى في السينما ولم يحلم في أسوأ كوابيسه أن يعاصرها أمام عينيه إلا أن رد فعله جاء كعادته منذ سقوطه في هذا العالم سريعًا ومذهلًا؛ فلم تكد تقع عينه على هذه القذيفة، حتى اندفع يحيط (لارا) بذراعيه، ويتلقى بظهره صدمة القذيفة التي انفجرت بدوي عنيف زلزل كيانهما، ودفعهما مع الضابط إلى الأمام عدة أمتار ليسقطوا أرضًا متدحرجين في عنف شديد جعل (طارق) يتأوه في ألم وإلى جواره رقد الجندي صريعًا، بخوذة وعنق محطميْن وبين ذراعيه تجاهد (لارا) للنهوض، ولكنها كانت بخير بفضل تلقيه الصدمة عنها.

عاونها على النهوض، ومازال طنين عنيف يدوي في أذنيه يحثها على الركض مجددًا لينطلقا، وتنفجر في موضعهما الذي تركاه منذ ثانية واحدة تمامًا طلقةٌ ساحقة من ذلك الروبوت دفعتهما لنسيان آلامهما والركضِ مجددًا لمسافة شعرا وكأنها بلا نهاية ، قبل أن يصلا أخيرًا إلى الطوافة الرابضة بزاوية خفية قفزا داخلها ، جلست (لارا) على مقعد القيادة وأغلقت بوابتها وهمّت بإشعال محركاتها إلا أنها توقفت للحظات، ملتفتة إلى طارق في شحوب، وكأنها انتبهت لأمر خطير استوعبه طارق على الفور وقد عاد إلى ذاكرته مشهد ذلك الجندى الذي قاد المركبة منفردًا .

الموقف تكرر، لا أحد هنا سواه مع (لارا) التي ظلت واجمة حائرة، بينما طارق جوار مقعد القيادة الخاص بالقائد الثاني فى تردد وخفقات قلبه تتصاعد، يزدرد لعابه مغمغمًا:

- وما المانع؟!

ازداد شحوب وجه (لارا) تومض فى عقلها لمحات من مشاهد طيرانها

مع من خفق قلبها له حبًّا ، شبيه طارق الذى فارق الحياة ، هل ستطير الآن مع تطابقه الجينى، كيف سيكون عقله، بل كيف سيطير من الأساس دون أى سابق معرفة بكيفية السيطرة الذهنية على المركبة ، أفاقت على صوت الانفجارات حول المركبة في الخراج حثتها على الإيماء برأسها موافقة والخوف يعصف بقلبها.

أشارت إلى مقعد القيادة الثاني فجلس عليه طارق في تردد لحظة بدأ يشعر بآليات سترته تتصل بالمقعد ليشعر بما يشبه التيار الكهربي يسري داخل أعصابه أثار قشعريرة داخل جسده وبردت حرارته قليلًا، ارتفع النبض الكهربى ليصل لمؤخرة عنقه، ثم يحتل رأسه وعقله بالكامل.

بعقل مضطرب التفت إلى (لارا) من خلف زجاج الخوذة في ترقب التفت إليه قائلة في قلق:

- عندما نبدأ بالطيران، لا يوجد ما تتحدث عنه، كل شيء سيكون ذهنيا دع أفكاري تنساب داخل عقلك، وسوف أعلمك بما ينبغى عليك فعله لقيادتها .

أومأ طارق برأسه موافقًا، بينما يعلن حاسوب المركبة الاستعداد للطيران.

أغمض طارق عينيه وسط هذا الفيض من الطاقة التي تدفقت تغمر عقله وتغشى بصره، جعلته يغمض عينيه للحظات في محاولة للسيطرة على انفعاله ثم بدأت جوارحه تهدأ تدريجيًا بينما الأفكار والذكريات الخاصة ب(لارا) تنساب داخل عقله في نعومة وسط دهشته، فحانت منه التفاتة إليها يرصد شبح ابتسامة مريرة تراقصت على شفتيها قائلة دون أن تتحدث:

- تجهز للانطلاق

لم يكن يدرك تحديدًا المطلوب منه حتى يقود المركبة، إلى أن أتاه صوت (لارا) داخل عقله مباشرةً أن يقوم بتصفية ذهنه والتركيز فقط فيما يريده

ابتسم لذلك الشعور، ثم قام بتصفية ذهنه والتركيز على إدارة المحرك لتهدر محركات المركبة بالفعل وترتفع بهم في بطء، لتقول له (لارا) عبر جهاز الاتصال:

- بمجرد ارتفاعنا، سوف ترصدنا المركبات المعادية ووقتها يبرز دور التوافق الذهني في المناورة وهنا تكمن خطورة القيادة من طياريْن غير مدربيْن على التوافق ذهنيًا مثلك .

أكملت (لارا) فى نفسها فقط ، لكننى على أمل أن لا يختلف عقلك كثيرًا عنه .

انطلقت المركبة بسرعة تدريجية، محلقة عبر الباحة الخلفية للحصن وطارق يقول:

- ما رأيكِ بالتحليق؟

- لا بأس به، دعنا نرى المناورة

دارت المركبة دورة كاملة حول الحصن، بتوافق ذهنى بينهما، لتلتف حول المعركة الجوية الطاحنة ولكن تلك المناورة لم تكن كافية للهروب؛ فقد رصدتهما عدة مركبات تابعة لجارديان ، فقامت بمناورات انقضاض، وأطلقت عليهما وابل من الطلقات المتلاحقة بالكاد تفاداها (لارا) وطارق، والأخير رأسه تكاد تشتعل من فرط الانفعال والتركيز، وسط محاولاتهما التملص من ملاحقة مركبات جارديان دون جدوى، حتى سحقت المركبات المعادية وبرزت من خلفهما خمس مركبات تابعة لقواتهم، أرسلها إليهم أورالتس الذي كان يتابع المشهد عبر شاشات الرصد ويأتيهم صوته عبر جهاز الاتصال هاتفا فى انفعال شديد من أثر القتال :

- كيف تسمحين لذلك الغريب بالطيران ذهنيًا معك في تلك الأجواء الخطرة؟! اتبعي مركباتنا، وسوف تغطي طيرانكما وتوصلكما لمنطقة آمنة

ثم أغلق جهاز الاتصال، ليغمغم طارق:

- قائدكم هذا يكرهني بشدة بلا مبرر !

تراقصت ابتسامة (لارا) المريرة من جديد تبث لعقل طارق ذكرى لشبيهه يقاتل جوار أورالتس فى بسالة نادرة، ثم التفتت إليه قائلة :

- لا يكرهك لكنه متوتر من رؤيتك كما نحن جميعًا، كانت تجمعهما أواصر صداقة قوية، أصر (لازاروس) يومًا على الذهاب لإحضار النيزك فى مهمة انتحارية منفردة، رفضها أورالتس بشدة ، لكن عناد لازاروس دفعه للقيام بالمهمة سرًا ولم يخبر أحدًا سواى ، علم أورالتس بالمهمة الانتحارية غضب للغاية وأرسل فرق دعم آلية تسانده، لكن بعد فوات الأوان، حزن عليه بشدة .

التفت طارق إليها في دهشة، لتتلاقى أعينهما للحظات قطعها نداءُ مركباتهم المعاونة باتخاذ مسار معين في أثر مركبة المقدمة بينما اشتبكت باقي المركبات مع مركبات جادريان المحيطة إلا أن النداء لم يكتمل، عندما انسحقت مركبة المقدمة بطلقات المركبات المعادية، ليتفادى طارق و(لارا) حطامها بمعجزة وهما يميلان بالمركبة بغتة لتتفادى في نفس الوقت سيلًا من الطلقات المعادية جعلتهما يتجهان في اتجاه معاكس لسير مركباتهما المعاونة المتبقية ليتشتت الهجوم خلفهما فلم يتبقَ سوى ثلاث مركبات معادية في إثرهما ، دارا دورة على نطاق واسع يبتعدان بها عن سماء المعركة المشتعلة ثم ينخفضا بالمركبة ويمرا داخل وادٍ ضيّق للغاية به عدة انحرافات في محاولة لتضليلهم بينما المركبات تطاردهم فى إلحاح بدا منه أن لا أمل لديهما فى النجاة .

قفزت فكرة مشتركة في رأسيهما بغتة لتكون موضع التنفيذ مباشرة دون

أن ينطقا بحرف واحد، ليقوما بزيادة سرعة الطيران لدرجة خطرة للغاية وسط تلك المنحنيات اضطرت معها مركبات جارديان من زيادة سرعتها أيضًا حتى تجارى سرعتهما، بلغت مركبتهما أولًا منحنىً بالغ الخطورة ثم وقبل أن تبلغه المركبات المعادية وتراه أطلقت (لارا) وطارق بتوافق عصبي الطلقاتِ المضيئة المضللة من جناحي المركبة لتُغشّى أعين قواد مركبات الإمبراطور الثلاثة للحظات كانت كافية ليقتربوا من المنحنى لدرجة خطيرة للغاية مع تلك السرعة المرتفعة لن تمكنهم مناورة طارئة من تجاوزه .

ارتفع طارق و(لارا) بمركبتهما بزاوية حادة تجاوزا بها الحافة بمتر واحد لم يتوافر لأولى المركبات المعادية فاصطدمت بصخور الوادي قبل بلوغ الحافة، وانفجرت على الحافة بدوي ارتج له الوادي ثم برزت المركبتان المتبقيتان من وسط ألسنة اللهب، وقد نجحتا في تجاوز الحافة بصعوبة يعاودا ملاحقة مركبة (لارا) وطارق، حتى هتفت (لارا) :

- طارق، يجب أن ننفصل

- ماذا !! كيف !

أكملت (لارا) وهى تبحث بعينيها عن شيء ما :

-لقد ابتعدنا عن منطقة الحرب لكن المساحة هنا شاسعة؛ ولا مجال لمناورات أخرى مركبتنا قابلة للانفصال سوف نفعلها الآن، ولكن لا تبتعد كثيرًا؛ حتى لا ينقطع الاتصال الذهني الذي سيظل قائمًا بيننا ما دمنا نحافظ على مسافة قريبة بيننا.. وأنت ستعلم الباقى .

أومأ طارق برأسه متفهمًا بينما (لارا) تضغط عدة أزرار، لتنفصل بالفعل المركبة إلى نصفين قادرٌ كل شق على الطيران بمفرده يقوده أحدهما محلقين فى اتجاهين متعاكسين فانفصلتا المركبتين المعاديتين خلفهما،

وبنفس التوافق العصبي والذهني قاما (لارا) وطارق بمناورة نصف دائرية على نطاق واسع ليلتفا حول تل مرتفع وعبر الأثير تلاقت أفكارهما فعادا للتلاقي ماديًّا في مواجهة بعضهما البعض خلف ذلك التل بسرعة كبيرة، أبصر طارق مركبة (لارا) أمامه على مرمى البصر تطاردها إحدى المركبتين، كما تفعل الثانية التي خلفه مباشرة وتطلق عليه وابلًا من الطلقات يحاول مناورتها قدر الإمكان حتى اقترب كثيرًا من مركبة (لارا) في مواجهته مما جعله يقطب جبينه مغمغمًا:

– يمين أم يسار! يمين أم يسار؟!

لتأتيه الإجابة من (لارا) داخل عقله مباشرة، وتغوص لأسفل بغتة، بينما ارتفع هو بطائرته بمبادرة مفاجئة للطائرتين المعاديتيْن اللتين تفاجأت كلٌ منهما بنظيرتها أمامها مباشرة حاولا تفادى الاصطدام لكن طرفى جناح المقاتلتين احتكا بقوة كانت كافية لينفصل جناح الأولى وتميل مصطدمة بالتل وتنفجر على الفور وتدور الأخرى حول نفسها لتسقط المقاتلتين مشتعلين من السماء، أتاها صوته عبر جهاز الاتصال :

– ما رأيك أبدو كأحد أبطال فيلم (star trek)

لم تكن تدرى ذلك الفيلم الذى يتحدث عنه دومًا لكن ما تأكدت منه أنه حقًّا متطابق جينيًا مع (لازاروس)

لم يكد ينضم إليه ويحلقا متجاورين حتى وقع بصرها على خيط دخان يتصاعد من محرك مركبته فزعت له وهتفت عبر جهاز الاتصال :

– طارق، طائرتك أصيبت !

هنا انتبه طارق للارتجاج المتصاعد لمركبته ينبع من وسطه صوت (لارا) تضيف فى أسى :

- الإصابة في المحرك؛ لن تحلق طويلًا قلل سرعتك واقترب من الأرض بحرص

أطاعها طارق، وهو يسبل جفنيه في محاولة للسيطرة على انفعاله وصفاء ذهنه بذل مجهودًا كبيرًا فى السيطرة عليها لكن أصابتها كانت بالغة ففقدت ارتفاعها وهوت سريعًا من حالق حتى دنت من الأرض وزحفت مسافة كبيرة فوق الرمال قبل أن تصطدم بالصخور بعنف، مخلفة وراءها سحابة من الغبار، ثم هدأ كل شيء إلا من صوت فرقعة النيران تلتهم المحرك وتزحف للوقود .

هبطت (لارا) بمركبتها على مقربة من مركبة طارق المشتعلة ثم ركضت في لوعة حتى اقتربت من بوابة المركبة لتتوقف بغتة عندما دفعه طارق من الداخل قبل أن يخرج مترنحًا قليلًا يلتقط ساعد (لارا) :

- هيا نبتعد قبل أن تنفجر

تنهدت في ارتياح، ثم سارا في خطوت واسعة إلى مركبتها وفى عقلها تساؤل حول مدى قوة وحصانة جسد طارق، التفتت إليه تشرع فى سؤاله لولا أنها وجدته يتطلع لمسافة ليست ببعيدة حيث حطام ظنا أنها حطام إحدي المركبتين الساقطتين لولا أنه لم يكن ثمة دخان يتصاعد منها لم يطل تفكيره فى الأمر، جلس على مقعد احطياتى فى مركبة (لارا) بينما الأخيرة تتهيء للطيران ثم أشارت لمقعده قائلة :

- أستطيع قيادتها بمفردي، ولكن هل تود استكمال الحديث ذهنيًا!

ابتسم طارق مرتديًا الخوذة الاحتياطية؛ ليتشارك مع (لارا) أفكارها

انطلقا بالمركبة إلى وجهتها المحددة سلفًا ابتعدا عن منطقة الخطر، وبينهما يدور حوار صامت هاديء بلا كلمات، قطعه صوت لوشيان الذي تصاعد بغتة عبر جهاز الإرسال، قائلًا في انفعال جارف:

- (لارا)! المقر الاحتياطي لقد تعرض للقصف! ولكننا ....

تقطع الاتصال كثيرًا، ثم انقطع تمامًا، ظلت لارا تحدق في جهاز الاتصال الصامت تشاركه صمته ويمتقع وجه طارق، وقد اقشعر بدنه بعد هذه العبارة المنقوصة والتي تعني الكثير، تعنى تحطم آخر ملجأ لهم، يتخيل موقفهم الآن وقد أصبحا تقريبًا بمفردهما بعد سقوط الجميع .

لا يدرى لماذا قفزت إلى ذهنه صورة شاشات الرصد التي كانت تنقل لهم مشاهد تدفق الهواء المسمم عبر الثغرة للأرض شعور بالعجز يعتريه، ويعربد داخل كيانه وهو يقف مكتوف الأيدي، يتخيل ما يحدث هناك الآن: ارتباك، وفوضى، وضحايا، ومصابون .. أهله، وذووه

خفق قلبه عند هذا الحد، وارتفع معدل تنفسه كثيرًا، وتلاحقت الأفكار داخل رأسه ليجد (لارا) تناديه في قلق عدة مرات، التفت إليها ليجدها في حالة هلع، والمركبة ترتج في عنف نتيجة لانفعاله على هذا النحو، و(لارا) تكرر:

- أرجوك اهدأ يا طارق، أرجوك؛ أنا أحتاجك أصبحنا بمفردنا الآن بعد سقوط الجميع، وأنا من أشعر بهلع .

وقعت كلماتها في نفس طارق، وحثته كرامته على الهدوء واحتواء هلع (لارا) تنفس في عمق، أطلق زفرة حارة بما يعتل به صدره، ثم اعتذر لها عن انفلات أعصابه، هدأت جوارحه رويدًا رويدًا وساد صمت بينهما محلقيْن على غير هدى، بعد نبأ قصف الحصن الاحتياطي، واقتراب سقوط الأساسي .

موقف معقد جديد ، فقدا الاتصال بالجميع، سقط كل من معهما، ولم يتبقَ سوى أعدائهم المتوقعِ ظهورهم في أي لحظة ومن داخل مدينتهم

يقومون ببث مجال يفتح ثغرة يتسرب عبرها غاز سام يأتي على الأخضر واليابس على الأرض

أي موقف أعقد من هذا!

غرقا في أفكارهما فترة، ثم تبادلا تساؤلًا دار في عقليهما حول استدراك لوشيان بكلمة (لكن) قبل انقطاع الاتصال بدت لهما هذه الكلمة بادرة أمل، ولكن كيف!

انتفض كلاهما عندما انبعث صوت لوشيان بغتة من جديد عبر جهاز الاتصال، هاتفًا في انفعال جارف، وكأنه سمع أفكارهما:

- (لارا)، لعل هذا آخر اتصال لنا بعد سقوط أبراج الاتصال

التقط أنفاسه ثم أكمل:

- قوات جارديان قامت بقصف عشوائي لعدة مناطق من بينها مصادفةً المقرُ الاحتياطي، و مركبة النيزك التي وجدوها أمامهم بالصدفة البحتة أثناء بدء هجومهم ولا يعلمون أى شيء عن عملية النيزك، حاوِلا العثور على الحطام والتقاط النيزك من بينه ، و توجها إلى المقر الاحتياطي الذي مازال في حالة جيدة .

أكدت (لارا)، في حماسة مختلطة بتوتر، على تلقيها التعليمات كاملة، ثم أضافت في أسى:

-وما موقفكم الآن!

أجابها لوشيان في أسى مضاعف أن هذا هو أسوأ يوم مرّ به في حياته بعد كارثة السماء؛ فالمقاومة تتداعى، والقوات سقط معظمها، والباقية المتبقية بقيادة أورالتس ترفض الاستسلام، وتصر على القتال حتى آخر رجل .

ثم أضاف في حزن بالغ:

- احترسي لنفسك يا بنيتي فليحرسكما خالق النجوم والأطياف .

ثم أكمل:

- أعلم يا طارق أنك تسمعنى، أعتذر عن إقحامك وعالمك في تلك الأزمات يا بنى أرجو أن تسامحنا؛ فقد كانت نوايانا حسنة لنا ولكم ، ولكن كما ترى يا ولدى ما باليد حيلة اشتعلت الأمور وانقلبت فوق رؤوس الجميع .

أجابه طارق في حزن وأسى:

- لا عليك سيد لوشيان هدفكم كان نبيلًا، ولكن خرج الأمر عن السيطرة أعدك أن نحاول العثور على النـ......

ردد جهاز الاتصال جلبة وصوت تحطم، ثم انقطع الاتصال عند هذا الحد، بتر طارق عبارته، و يسود صمت مطبق، فارتسم على وجهيهما الوجوم، وقد تخيل كلٌّ منهما ما حدث .

ودارت فكرة مخيفة بين عقليهما لم يجرؤ أحدهما على التفوه بها، قطع طارق حاجز الصمت قائلًا فى شرود :

- أعتقد أنني أعرف مكان حطام المركبة التي كانت تحوي النيزك

- حقًا؟!

- نعم، لدى نظرية أتمنى أن تصدُق، هناك بالقرب من الوادي الذي سقطت فيه مركبتي رأيتها ، خلتها حطام حديثة غير أنه لم يخرج منها سوى أدخنة طفيفة للغاية، فرسخ فى ذهنى كونها حطام مضى عليها وقت أطول من حطام طائرات المعركة، ولكننى لم أنتبه لاحتمال كونها مركبة النيزك سوى الآن.

تسرب شيء من الحماس إلى روح (لارا) دفعها للدوران بالمركبة حيث موقع الحطام القديم وقد اشترك عقلاهما في تساؤل واحد: هل حقًا سيعثران عليه هناك؟! و إذا ما حدث، أ يمكنهما الاستفادة من طاقته وتدارك الموقف المشتعل خاصة مع المخاطر التي تنذر بسقوط الحصن الرئيسي، أم سيجدانه بعد فوات الأوان، عندما لا يتبقى من الأجهزة ما يصلح منها لاستغلال تلك الطاقة.

بقيت الأسئلة عالقة، مخيفة، مؤجَلة الإجابة ولكن ذلك لم يمنع كون الأمر محاولةً لإنعاش أمل بات على وشك الاحتضار.

❁ ❁ ❁

الفصل السابع

بعضهم احتضر بالفعل، والبعض الآخر في حالة سيئة للغاية..

هكذا توافدت تقارير العديد من المستشفيات على مشارف مدينة الإسكندرية التي يتم نقل من تعرضوا لاستنشاق الهواء المسمم إليها تشى بدنو كارثة إنسانية على المحك عندما ساد المشهد حالة ذعر وهستريا فى مشهد ينفطر له القلب فاق حدود وقدرات احتواء قوات الأمن العام وقوات الإخلاء ؛ فسادت الفوضى، وتدافع الجميع نحو عربات الإخلاء، ودهسوا بعضهم البعض ليسقط صريعًا بأقدام الآخرين من لم يسقط مختنقًا بفعل استنشاق الهواء الملوث الذي كسا سماء المنطقة و أصبح داكنًا يدفعه الهواء للانتشار في سرعة يحمل بين ذراته الموت.

الأمر الذى دفع صفوت للعمل بأقصى سرعة من داخل غرفة عمليات تم تدشينها بالقرب من المنطقة النشطة يرتدي حلة مخبرية كاملة ذات خوذة ضخمة وزجاج شفاف فى مقدمتها يكفل له الرؤية متصلة بأسطوانة أكسجين للتنفس يتنامى إلى مسامعه صرخات الضحايا بالخارج تمزق نياط قلبه وتدفع إليه المزيد من القوة .

دخل مصطفى يرتدي حلة مشابهة يبلغه عبر جهاز اتصال داخلي باقتراب وصول المفاعل عالى الجهد الذي طلبوه

كان الغرض بثم ترددات مساوية فى القوة للترددات النابعة من البئر ومضادة لها فى الاتجاه، فيلغى كلاهما الآخر، وتنغلق الثغرة .

مما استدعى مصدر طاقة عالى الجهد تم الإرسال فى طلبه من دولة أجنبية على وجه السرعة، فتم وصوله بطائرة نفاثة بسرعة قصوى تتناسب مع حجم الكارثة التي تتعرض لها الإسكندرية، ومصر، والعالم أجمع ليصل إلى البلاد وتنقله مروحية ضخمة تابعة للجيش لبؤرة الهلاك داخل منطقة سيدى بشر أو التى كانت تدعى ذلك .

دقائق واهتزت المنطقة بهدير مروحيتين ضخمتين يحملا معًا بجنازير غليظة صندوق خشبى ضخم يتدلى وسطهما ، ينخفضا للغاية من شارع كورنيش البحر الخاوى في سابقة غير معهودة يدور الهواء الأخضر مع مروحيتها فى دوامات ، انخفضا تدريجيًا فى حرص حتى استقر الصندوق فوق الأرض فهرول إليه جنود من مكافحة الحرب الكيميائية ومهندسون وضباط بأقنعة واقية يفصلون الصندوق عن جنازير المروحيات، ثم طارت المروحيات عائدة لحظيرتها بينما اقترب من الصندوق مدرعتين قويتين علق الجنود الجنازير بها ثم قامتا بسحب الصندوق للمنطقة النشطة وما إن استقر هناك حتى أزال الجنود على الفور العوارض الخشبية من حوله كاشفين عن الجسم المعدنى للمفاعل، اقترب كل من صفوت ومصطفى وعدد من المساعدين يتفحصون المفاعل ويتأكدون من صلاحيته ثم جاء قائد المنطقة من الجيش، يرتدي حلة مخبرية كاملة فوق زيه العسكري، قائلًا:

– الآن يا سيد صفوت، جئنا لك بما طلبته أسرع بالله عليك و أغلق فوهة الجحيم هذه قبل أن نهلك جميعًا !

أومأ صفوت برأسه وهو يكاد يغشى عليه من الإرهاق، قائلًا فى لهجة جعلها قدر الإمكان جادة ومطمئنة :

- أعددنا كل شيء، بقى التوفيق من الله .

ثم أضاف، فقط أمهلهم دقائق لتثبيت وصلات المفاعل بأجهزتنا ثم نبدأ بث التردد على الفور.

أومأ القائد رأسه فى قلق مغمغمًا، أتمنى ..

ثم أشار إلى الثغرة خلفه، مكملًا .. وإلا سنكون في موقف حرج .

حانت التفاتة من صفوت إلى الثغرة التي أخفت معالم محيط البئر تمامًا وأخذت في الاتساع على نحو تجاوز معه نصفُ قطرها العشرة أمتار يتدفق منها عمود من الدخان الأخضر الكبريتى الداكن للسماء مباشرة يتجمع ليحجب أشعة الشمس، ويتفرق لينبسط على نطاق أوسع، وينتشر ليردي مزيدًا من القتلى والمصابين بمجرد استنشاقه .

- سيد صفوت المفاعل يعمل بأقصى طاقة الآن

أشار صفوت للقائد بالجاهزية ثم حث الخطى إلى غرفة التحكم حيث أجهزة الحاسوب المتراصة يعمل مصطفى عليها ، تلاقت أعينهم لحظة تشى ببركان من القلق يعصف بهما ، جلسا أمام أجهزة الحاسوب ثم جاءت الخطوة الأخيرة التي هتف معها مصطفى بصوت منخفض:

- على بركة الله

لينطلق معها فيض من الموجات القصيرة شديدة القوة تتلاقى مع موجات البث من الجانب الآخر في وسط الثغرة تمامًا وتخفق قلوب الجميع في قوة .

***

لا تقل عن قوة ضغط الإمبراطور بيديه على ذراع عرشه في انتشاء وهو يتابع تقارير حرب جارديان على المتمردين، وعبر شاشة صغيرة يتابع عداد الكترونى ينقل له بالمتر مكعب كميات الهواء الملوث الجارى تنفيسها بتزايد عبر الثغرة إلى الأرض بنسب كبيرة انتعش معها أمل تنقية (ريون) من جديد، يومض فى عقله من آن لأخر تساؤل .. كيف يعتبره بعض ذويه مجرمًا بينما هو يحاول أن ينقذ وطنه ! كيف يحاربونه وهو يريد لهم الخلاص !! يعلم أن له أغراضًا أخرى توسعيه لكنها لخدمة وارتقاء ذويه أيضًا ، فمال هؤلاء القوم لا يفقهون من بواطن الأمور معنى ! الذين يتشدقون بجرمانية التضحية بالبعض لحماية الوطن كله من الضياع !

أفاق الإمبراطور عندما تلاحظ له انخفاض متزايد وسريع لمستوى التدفق على شاشة الرصد عاد معها للواقع يدقق النظر عباس الوجه فى اللحظة التى أتاه صوت أحد القائمين على بث التردد قائلًا فى خوف وتردد :

- سيدي، توجد محاولات من الجانب الآخر ببث تردد مضاد.. نحن نفقد السيطرة على الفجوة

انزعجت أخيلة الإمبراطور المنسجمة واتقدت عيناه بغضب يشعل جهاز اتصال خاص بجارديان، حتى بلغه صوت ذلك الأخير، مختلطًا بأصوات قذائف تدوي، قائلًا:

- مولاي الإمبراطور .. جيش لوشيان ينهار تمامًا، لقد اقتحمنا الحصن من الداخل.

- ممتاز جارديان، لكننى أريدك فى أمر أخر أكثر أهمية.. هناك محاولات من الأرض لغلق الفجوة ، لدى شيء أقدمه لهم سيقصيهم عن محاولاتهم التفاهة تلك

ثم أضاف بصوت أعمق:

- استمع إلى جارديان جيدًا فنحن على مشارف إتيان فعل لم نأته من قبل.

صمت جارديان يستمع للتعليمات المخيفة التى يمليها عليه الإمبراطور الذى استرخى في جلسته بعد انتهاء الاتصال تزحف على عقله فكرة شاحبة، بدأت تتشكل لتبدو أكثر وضوحًا، ثم سطعت كالشمس : فكرة عودة المجد إليهم من جديد فى ريون حيث الهواء صالح للحياة بدون مظلات يتخذه مركز لإمبراطورية لا نهاية لها

❋ ❋ ❋

لكل شيء نهاية هكذا علمتنا الأقدار

أومأت (لارا) برأسها، موافقة على عبارة طارق، أثناء سيرهما وسط عدة مرتفعات وعرة في تلك المنطقة التي شاهد فيها طارق حطام المركبة التي كانت تحوي النيزك تحيط بهما أجواء عجيبة، جمعت بين ضوء شمس واهٍ يتسلل عبر ذرات سحب خضراء ثقال يلقى بظلال بنفس لونها على سطح الكوكب تصنع مشاهد ولوحات فنية عجيبة يهتك سترها أذرع برقية بألوان أعجب بالكاد تتيح لهم رؤية متموجة سار على هداها (لارا) وطارق بين تسلق صخور، والهبوط في منخفضات ساعدتهما في تجاوزها ستراتُهم الهيدروليكية القتالية، وعند نقطة مرتفعة امتد بصر طارق يبصر تمثالين ضخمين لرجلين يقفا متجاورين تحطمت معظم أجزائهما أشار إليهما فى تساؤل ، أطالت لارا النظر إليهما فى تأثر ثم أجابته

- إنهما رجلان من عظماء ريون صنعنا لهما تمثالين فى باحة كانت يومًا ميدانًا عامرًا بالبشر قبل أحداث الانهيار.. (ربما أحدثك عنهم يومًا)

قنع طارق بتلك الكلمات كإجابة ومد يد العون للارا تصعد فوق مرتفع أخير ثم توقفا عند الحافة يتطلعا معًا لحطام المركبة القابعة وسط الصخور

دنا منها طارق يتفقد جزءًا من الحطام وتوجهت (لارا) لجزء أخر قريب،ولكن بعد مرور دقائق من البحث، أيقنا أن النيزك غير موجود داخل تلك الأجزاء .. فكر طارق ربما الحطام انتشر في نطاق واسع عندما انفجرت في السماء .

وكأنها قرأت أفكاره بالفعل هتفت (لارا) مشيرة إلى جزء آخر من الحطام ليس ببعيد، اتجها إليه مباشرة ليجدا وسطها بالفعل يقبع ما يشبه الصندوق الصغير لا يتجاوز طوله نصف المتر، جثت (لارا) على ركبتيها أمامه تعبث في أقفاله وقد زادها الأمل حماسة ، لم يستغرق الأمر لحظات حتى فتحت الرتاج وشرعت ترفع الغطاء الذي بمجرد أن انفرج قليلًا حتى أطل منه ضوء أزرق خلاب انبهرت به عيناها فعاودت إغلاقه تلتفت لطارق فى سعادة :

- لقد حصلنا على النيزك .

ذابت ابتسامتها عندما وجدت (طارق) يتلفت حوله في ارتباك

- طارق ما الأمر!

أشار حوله وتحدث بعبارات غير مفهمومة حول الظلال والتخيلات والبرق ثم سألها :

- (لارا)، ماذا حدث لحيوانات كوكبكم بعد تسمم الهواء !

اندهشت (لارا) في البداية من التساؤل، إلا أنها أجابته في حيرة:

- لم أشاهد أحدها، ولكننى علمت أن البعض منها تحور جينيًا،

واستطاع العيش في تلك البيئة بعد القليل من التشوهات التي طرأت عليه، ولكنه لا يتواجد إلا في المناطق الوعرة

أومأ طارق برأسه في بطء، وعيناه مركزتان على شيء ما خلفها، وهو يغمغم:

- ألسنا في منطقة وعرة يا عزيزتى؟!

التفتت (لارا) في سرعة، وقد أدركت ما يرمى إليه، ليقع بصرها على ذلك الكائن الشبيه بالليث لكنه أكثر ضخامة يقف على مسافة خمسين مترًا فقط تلمع عيناه الرماديتان وسط الضوء الأخضر الخافت الذي زاد من بشاعته وقد تساقط شعر جسده، وبدا جلده مشوهًا ينفث من أنفه الذي تضخم بخارًا، ويتساقط الزبد من بين أنيابه التي استطالت حتى بلغت عشرين سنتيمترًا تقريبًا؛ يتحرك فوق صخرة مرتفعة ذهابًا وإيابًا، وعيناه تلمعان ككشافين صغيرين ترصدان تحركهما الطفيف إلى الخلف في حذر بالغ ويد (لارا) تسحب سلاحيها من جانبي السترة ببطء شديد، وهي تغمغم لطارق قائلة:

- الحيوانات عادة لا تهجم إلا إذا أتيت تحركًا عدائيًا لها.

توترت عضلات طارق، وهو يقول بصوت خافت:

- أعلم هذه المعلومة، لكن هل يعلمها هو؟!

بدا جليًّا جهل الحيوان بتلك المعلومة عندما انخفض بجسده يشرع فى الهجوم مما دفع (لارا) لسحب سلاحيها وإطلاق دفعتين من الطلقات لكن ذلك الحيوان المتحور قفز جانبًا ثم عاود الانقضاض بسرعة ساحقة ومسار متعرج ينم عن ذكاء ما يعربد داخل مخه أثار ارتباك (لارا)، وشلت الهجمة الخاطفة تفكيرها وهي تتراجع في هلع عندما قفز الحيوان، جذبها طارق بقوة بعيدًا عن مرمى الأنياب القاسية.

لم يكد ذلك المسخ يهبط خلفهما حتى انقض سريعًا على طارق فسقطا معًا أرضًا يجسم بجسده الثقيل فوق طارق، أمسك بعنقه مبعدًا أنياب فكية التي يسيل من بينها زبد مقزز، زاد من الضغط على عنقه حتى راحت قوى المسخ تخور ثم أطلق بغتة عواء مزعجًا و تراخى جسده بعد أن أتت عليه (لارا) في انفعال بعدة طلقات من سلاحيها مر بعضها قريبًا من طارق نفسه، ألقى بالمسخ الصريع جانبًا ونهض بعد أن تلوثت سترته بالدماء قائلًا:

- المرة القادمة، سأطلق أنا تلك الطلقات

ابتسمت (لارا) في ارتباك، متعللة أنها كانت منفعلة أومأ طارق برأسه متفهمًا وهو يبتسم، جاذبًا السلاح الضخم من ظهر حلته القتالية كما رأى الضابطيْن أثناء خروجهما من المقر، ليتفحصه سريعًا، و يشير إليها متسائلًا عن كيفية استخدامه .

همت (لارا) بشرح كيفية استخدامها، لولا أن قاطعتها زمجرة نابعة من عدة حناجر لعدة وحوش برزت من خلف الصخور المحيطة، تتقدم في بطء تموج بعضها فى بعض بغضب وسعار وشراسة ، بدا من كثرتها أن عواء صديقهم الميت كان نداء أكثر من منه عواء ألم ، انقضت جميعها في آن واحد، ليهتف طارق بصوت مرتفع وسط طلقات (لارا) التي بدأت في إطلاقها:

- كيف يعمل هذا الشيء بالله عليكِ؟!

أجابته أثناء إطلاقها عدة دفعات من سلاحيها:

- افتح الصمام من الكابس العلوي، واجذب الذراع الصغيرة في أسفله للوراء، ثم اضغط الزر الجانبي

نفذ طارق ما قالته دون جدوى، لتكمل قائلة:

- تفقد وحدات الطاقة التي.....

قاطعها طارق، وهو ينحني ليتفادى انقضاضة أحد الوحوش في غيظ:

- هل لي بكتيب تعليمات اقرأه الآن أم ماذا؟!

أمسك طارق السلاح الإلكتروني من فوهة الإطلاق واستعمله كمضرب بيسبول يستقبل به انقضاضة أحد المسوخ ليعيده لموضعه بعد أن حطم كعب السلاح جمجمته ، ثم طوح به تجاه آخر ثم ثان وثالث ، والتفت راكلًا أحدها بقدمه، ثم امتدت يده خلف ظهره، يمسك بعنق ذلك الذي وقف على قدميه الخلفيتين يحاول أن ينشب أنيابه ومخالبه في ظهر سترته، يجذبه طارق و يضرب به الصخور أمامه هاتفًا ل(لارا) في انفعال:

- إنهم يتزايدون، لا أمل لنا .. سأحضر الصندوق .. تراجعي بحذر.. سنركض تجاه المركبة .

بالفعل أطاعته (لارا)، وتراجعت تطلق طلقات عديدة بلا توقف من سلاحيها تشق طريق لطارق تجاه الصندوق بينما طارق يتقدم وسط الوحوش، يطيح بكعب سلاحه بكل ما يقترب منه حتى بلغ الصندوق الذى لم يكد ينحني يلتقطه حتى بلغ مسامعه صوت (لارا) تتأوه في ألم، التفت ليجد أحد الوحوش ينشب أنيابه في ذراعها مخترقًا سترتها

نهض طارق فى لوعة متجاوزًا المسافة التي تفصل بينهما بوثبتين ينتزع الوحش من عنقه بيمينه، ويترك الصندوق أرضًا ليلكمه بالأخرى لكمة ساحقة تهشمت معها أنياب الوحش ورأسه بالكامل، تركه صريعًا و استعاد الصندوق بينما عينيه لا تفارق الأعداد التى تتزايد وأخذت تتوافد على الضجيج ورائحة الدماء، تراجعا في بطء عند توقف الوحوش للحظات تدور حولهما بشراسة وصوت مخيف وكأنها تعيد تقييم وضعها بعد مقتل العديد من أصدقائها ، وجدها طارق فرصة مثالية ليجذب (لارا) من يديها هاتفًا بها:

- الآن!

التفت الاثنان، وركضا بكل قوتهما وسط الصخور تعينهما ستراتهما الهيدروليكية في الركض والقفز إلا أن (طارق) لم يكن يحتاجها بالمرة؛ كان بإمكانه تجاوز المكان بعدة قفزات، بعد القوة التي يشعر بها تعربد فى روحه وأطرافه التى تعمل بأقصى طاقتها لا يدرى معها إلى متى سيتحملها جسده قبل أن ينهار؛ إلا أنها تنقذ حياته في كل مرة وهذا كان كافيًا في الوقت الراهن ليركض مع (لارا)، تركض ورائهم الوحوش بالعشرات بخفة مفزعة ، بلغ طارق ببصره التل الذى تربض فوقه مركبتهما فزاد من سرعته فى حدود سرعة (لارا) بينما التلة المرتفعة تقف كحائط مرتفع انقبض له قلب (لارا) وتساءلت إلى أين يتجه طارق

نظرة واحدة من (لارا) خلفها شاهدت أسوأ كوابيسها، عشرات المسوخ تنقض فى الهواء تجاههم ولا مفر أمامهم سوى تل مرتفع ، شرعت تلتقط سلاحيها وتستدير تقاتل حتى أخر نفس .

لكن طوق نجاة أحاط خصرها وانتزعها من فوق الأرض يرتفع بها ويهبط فوق أرض التل وعواء المسوخ المصطدمة بالتل بالأسفل يرتفع بصوت مزعج، التفتت فى ذهول لطارق وهو يسحب ذراعه من حول خصرها يحثها على مواصلة الركض ، أطاعته دون وعى بينما عقله يجاهد لاستيعاب تلك القفزة حتى لاحت لهما مركبتهما؛ لتزيد حماسة (لارا)، وتزيد سرعتها في الوقت الذي استطاعت عدة وحوش اعتلاء التل، ومواصلة مطاردتهما في شراسة ليث يود أن يثأر لكرامته التي أهدرت؛ إلا أنهما بلغا المركبة، واندفعا داخلها، لتغلق (لارا) بوابتها بمجرد جلوسها على مقعد القيادة يستمعا بالخارج إلى صوت زمجرة تلك الوحوش تضرب جسم المركبة المعدني بمخاليها في غضب تصدر حوافرها صريرًا مزعجًا .

أشعلت (لارا) المحركات وتكفل طارق بالقيادة وبينما (لارا) تنتزع ذراع السترة المعدنى لتضمد جرحها وجدت طارق يدور بالمركبة دورة كاملة ثم أطلق وابلًا من الطلقات يحصد بها المسوخ مغغمًا فى اقتضاب: - هذه من أجل جرح ذراعك

رغم صعوبة الموقف، ورغم جرح ذراعها ،التفتت إليه فى دهشة تتطلع لوجهه خلف الخوذة للحظات ، خفق قلبها في قوة وشعرت بمزيج غريب من المشاعر ، لقد فقدته لكنه هنا الآن يتحدث بنفس الطريقة ، أى خيال يحدث هنا ، عادت تنشغل بتضميد جرح ذراعها بينما طارق يركز انتباهه فى صمت ظاهرى حيث طريق العودة للمقر الاحطياتى، أو ما تبقى منه .

❊❊❊

لقد تهدم تمامًا، ولكن الأمور تسير على ما يرام، والثغرة تنكمش بنجاح

دار صفوت بمقعده أمام شاشات الرصد، داخل غرفة التحكم قرب البئر الذي تهدم مع ما حوله من صخور على نطاق واسع، وهو يقول هذه العبارة في ارتياح، ناظرًا إلى مصطفى من خلف زجاج خوذة سترته المخبرية، وقد أطلت من عينيه سعادة غامرة، ينهض مهنئًا صفوت، مصافحًا إياه في حرارة وقد دمعت عيناه، هاتفًا:

- نعم يا صديقي، لقد فعلناها! وما هي إلا دقائق وتنغلق الثغرة

ابتسم صفوت في حزن و إرهاق شديدين، وقد بدت من خلف واجهة القناع الزجاجية عيناه وقد احمرتا، وانتفخ جفناه، وشحب وجهه في إعياء من لم ينم دهرًا، يتحدث إلى مصطفى الذي كاد أن يغشى عليه من فرط الإرهاق، قائلًا:

– ولكن بعد أن سقط عشرات الضحايا، وعشرات الإصابات من تلك الأبخرة اللعينة يا مصطفى .

تنهد مصطفى في ضيق، وهو يهز رأسه في أسف قائلًا:

– لقد بذلنا أقصى جهدنا، والسلطات أخلت المنطقة كان لابد من وجود خسائر يا صفوت دعنا الآن نأخذ قسطًا من الراحة؛ فنحن على وشك الانهيار.

أومأ صفوت برأسه موافقًا، ليخرجا من الحجرة متطلعيْن إلى الثغرة التي تومض بأضواء بدأت تبهت وتنكمش تدريجيًا، وقد قل اندفاع الأبخرة الخضراء القاتلة على نحو ملحوظ، توجها لمنطقة تمركز قوات مكافحة الحرب الكيميائية وعدة قوات مساندة تابعة للجيش، قابلهما الضابط المسئول في امتنان، مصافحًا لهما في حرارة، ويقول:

– نلاحظ جميعنا انكماش الفجوة هل يعني هذا نجاح التجربة !

ترنح مصطفى قليلًا، وقد ثقل لسانه، وسرى خدر في كل جسده، فاكتفي بإيماءة من رأسه أن كل الأمور تسير كما هو مخطط لها.

تبسم الضابط وهو يشد على أيديهما في امتنان ثم رفع جهازَ الإرسال الخاص به إلى فمه مبلغًا القيادات القلقة بنجاح الفكرة، وانكماش الثغرة، وبالتالي تقلص الأبخرة المتدفقة تدريجيًا لم يكد يتلقى ردًا حتى خفض جهاز الإرسال من أمامه ، وقد سهمت نظراته وسقط فكه فى ذهول يستمع مع الجميع لصوت غير مألوف خلف صفوت ومصطفى، التفت الجميع إلى البئر الذى علا من داخلها هدير قوي، محدثًا دوامة دار في فلكها البخار الأخضر للحظات وتطاير في جميع الاتجاهات ثم خرجت من داخل الفجوة

ووسط الأبخرة الداكنة ، مركبة قتالية لا تمت للأرض بصلة، مشهد مهيب تسمر له الجميع يتابعون بأعين متسعة المركبة بالكامل تعبر الثغرة وتستقر فوقها لحظات فى صمت وكأنها تدرس الموقف وتقوم بتحديد الأجهزة المسئولة عن بث التردد العكسي .

ثم بدأت تطلق شرر خافت عبر كوة انفتحت فى جانبها كاشفة عما يشبة المدفع توهج بضوء مبهر يزداد توهجًا من كل لحظة تمر تم تصنيفها عمل عدائى لا ينبيء بخير صاح على أثره قائد المنطقة فى القوات بالتأهب انتشرت على أثرها القوات وصوبت المدرعات مدافعها إليها فى توتر بالغ مرت لحظة صمت كان للمركبة المبادرة عندما أطلقت شعاع ساحق تجاه المفاعل القوى الذي يوفر الطاقة لجهاز بث المجال العكسي فانسحق بانفجار كاسح اهتزت له المدينة بالكامل وحوّلته إلى فتات في لحظة ، لم تنتظر القوات إذنًا من قائدهم بالاشتباك بل تحركت سباباتهم تعتصر أزندة بنادقهم الآلية لينهمر وابل من الرصاصات، انضم إليه العديد من طلقات المدافع الرشاشة الثقيلة المثبتة فوق المدرعات، صوب تلك المركبة التي تلقت جميع الطلقات في سكون تام دون أى خدش

وقبل أن يستوعب أحد الأمر، انطلق شعاع من المركبة يسحق جهاز البث نفسه، ثم ثالث يطيح بحجرة التحكم في عنف شديد طار معه جسد مصطفى وصفوت والضابط المسئول في الهواء عدة أمتار، نتيجة لموجة التضاغط الرهيبة الناشئة عن الانفجار، ثم تدحرجوا أرضًا وسط الشظايا المتطايرة من حولهم .

أصاب المشهد القوات بذهول، تراجعوا على أثره مطلقين أسلحتهم مرة أخرى بشكل عشوائي كثيف، دون أي جدوى أو أدنى تأثر،

ومن ثم بدأت مرحلة التخبط والفرار ، عندما توهج جانب السفينة، وخرجت منه عدة حِزم إشعاعية متفرقة تحصد معداتهم ومدرعاتهم، الواحدة تلو الأخرى لينطلق المتبقون منهم يفرون في هلع.

ومن داخل الثغرة التى عادت للاتساع مرة أخرى بدرجة أكبر تدفقت كميات مضاعفة من الأبخرة السامة دون رادع .



الفصل الثامن

هل تفتقدهم إلى هذه الدرجة

- نعم، اشتقت إليهم كثيرًا رغم أنها بضعة أيام فقط هي كل ما قضيتها هنا، إلا أنني أشعر أنها دهر فعلت أمورًا لم أكن أتخيل أن أقوم بها في أحلامي، لم أكن أعلم أن بداخلي كل هذه الروح التي تنتظر الوقت المناسب للوثوب إلى السطح مع أول فرصة تأتيني

أحيانًا تنتابني لحظات أشعر فيها بأنه مجرد حلم أمر به

التفت إلى (لارا)، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة وهو يكمل:

- حلم جميل، لا أريد أن أفيق منه

تبسمت (لارا) فى ارتباك تغمغم :

- سيد طارق ، أتمنى أن تنجح مهمتك وتعود لديارك ونأسف على إقحامك فى كل هذا .

تبسم طارق يدرك مغزى عبارتها، كان يعلم أنها مرتبكة مشوشة لتعاملها مع شبيه جينى لمن أحبت ، هى مقاتلة قوية عنيدة لكن المشاعر عند المرأة شيء آخر، تفصح عنها فقط وقتما تشاء، وتلقيها فى بئر سحيق إذا ما قررت أخفاءها .

كبادرة لخفض التوتر سألها عن حال ذراعها فأجابته إنها طفيفة ستعالجها فور وصولهما الحصن البديل، أشارت للأفق قائلة:

- إنه على بعد أقل من ميلين خلف تلك الهضاب

ابتسم طارق لجديتها المصطنعة، وهي تدور حول الهضاب بالمركبة تحلق على ارتفاع منخفض، تنتقي أفضل الأماكن للهبوط بالقرب من الحصن البديل المتمثل فى تل صخري تمويهًا يتشابه مع ما حوله من صخور طبيعية إلا أنّ (لارا) كانت تعلم إحداثياته جيدًا؛ لذا فقد انتقت تلة قريبة حطت عليها في نعومة، وخرجت مع طارق بكامل حلتها المقاتلة، يمسك طارق بصندوق النيزك، يتقدمان بضعة أمتار إلى بوابة جانبية، بعد أن رصدت (لارا) تحطم وسقوط بوابته الأمامية من جراء القصف العشوائى الذي تعرض له .

دفعت حاجزًا صخريًا يكشف خلفه عن بوابة معدنية، كادت تعالج رتاجها الإلكتروني، لولا أنها وجدتها مفتوحة، دفعتها فى قلق ودلفا يصاحبهما الحذر والريبة حيث ممر قصير خافت الإضاءة نتيجة لتحطم معظم أسرجة الإضاءة داخله استبقت طارق يصاحبه القلق من دمار داخلى يشى باقتحام من الداخل أيضًا .

نقل هواجسه ل(لارا) التي وجدها تتفحص هي الأخرى آثارًا دامية على أحد الجدران، بلغ معها قلقهما مبلغًا، سحبت سلاحيها تواصل التقدم في حذر عبر عدة أروقة دون أي أثر لوجود أحياء، حتى وصلت إلى القاعة الرئيسة ووقفت عند بابها تغمد سلاحيها، وتتقدم مع طارق تجاه عدة علماء يرتدون ملابس الفحوصات البيضاء، وينهمكون في تفحص أجهزة الحاسوب التي تضرر البعض منها، ليتوقف الجميع في توتر وتحفظ

يتطلعون إليهما ضغطت (لارا) زر حلتها لتتراجع الشرائح المعدنية التي تشكل خوذتها، وتنحسر عن وجهها ، وعينا طارق تدوران فيما حوله، تاركًا (لارا) تتقدم لتتحدث معهم:

- (لارا)، من الحصن الرئيس لعلكم تعرفونني رغم أنني لم أتقابل مع أحدكم سوى السيد (رودشكا) أين هو؟!

سرى ارتباك بين العلماء، وتلاقت أعينهم، ليتقدم أكبرهم قائلًا في أسف:

- للأسف، فقدناه يا سيدة (لارا) أثناء قصف الحصن.

ثم التفت إلى الصندوق الذي يحمله طارق، ليعطيه ل(لارا) التي أمسكت به ، وهي تقول في تردد:

- هل وصل إلى علمكم أننا سنأتي ومعنا شيء هام؟

هز الرجل رأسه نافيًا : تم عزلنا تمامًا يا بنيتى بعد سقوط أبراج الاتصال من جراء القصف

أومأت (لارا) برأسها فى تفهم ثم مدت يدها إليه بالصندوق وهي تغمغم إنَّه النيزك الذي كنا نسعى إليه.

تهللت أسارير العالم عند سماعه هذه العبارة ببريق ينافس بريق النيزك، عندما فتح غطاءه قليلًا، ليشع منه ضوء أزرق أخاذ .. فى اللحظة التى تردد فيها بغتة صوت متحدث عبر جهاز الإرسال، لتتلاقى أعين الرجل بطارق و(لارا) التي تساءلت في ريبة:

- ألم تقل إن أجهزة البث معطلة؟!

لاحت ابتسامة على شفتي ذلك الرجل، وهو يقول:

-لعل الرجال قاموا بإصلاحه.

لم يكد يتم كلمته، حتى تعالى صوت المتحدث عبر أجهزة الإرسال مرة أخرى قائلًا:

- إلى قوات الإمبراطور التي تمركزت في حصن المقاومة الثاني، قوموا باستخلاص المعلومات من الحاسوب، وغادروا على الفور .

اشتعل الموقف داخل القاعة بعد هذه العبارة، وارتفعت الأسلحة كلها من العلماء الذين لم يكونوا سوى علماء الإمبراطور يحميهم عدد من جنود جارديان، احتلوا الحصن بعد قصفه وإيهام الجميع بالمغادرة ثم باغتوا من بالحصن بهجوم بري عنيف وقتال انتهى لصالح جنود جارديان، واعتقال من بقي على قيد الحياة، وحبسهم داخل زنزانة إلكترونية بالحصن .

استلت (لارا) سلاحيها في سرعة ووجهت فوهتيهما تجاه جنود جارديان في غضب وتوتر، أمام عدة بنادق للجنود موجهة ناحيتها هي وطارق الذي ضم قبضته يرصد البنادق الموجهة ناحيتهما في صمت .

كان على استعداد تام لسحقهم بما يعربد فى خلاياه من طاقة تصنع منه جسدًا منيعًا التجربة أثبتت ذلك وهم لا يعرفونه ولا يعرفون ذلك ، لكن أبى عقله أن يأتى بفعل طائش يتسبب فى إصابة (لارا) ، كان عليه تأمينها أولًا ثم يسحقهم ويستعيد الصندوق، تقدم من (لارا) وخفض سلاحيها بيده متظاهرًا بالاستسلام، ترددت كثيرًا لكنها أدركت كم هو صحيح ، ألقت بسلاحيها فانقض عليهما الجنود يكبلا حركتهما ويصطحبوهما مع الباقين داخل الزنزانة الإلكترونية وسط نظرات شامتة من ذلك الذي يمسك بصندوق النيزك هاتفًا:

- إننا لم نحلم أن نعثر على ذلك النيزك يومًا، ثم جئتم أنتم بكل سذاجة ومنحتموه لنا، لن تتعلموا أبدًا يا أبناء لوشيان!

بلغت العبارة مسامع (لارا) أثناء اصطحابها للخارج، فتملكها غضب عارم والتفتت تهتف فى غل :

– سيعلمك أبناء لوشيان درسًا لن تنساه ، حتى وأنت في قبرك!

رغمًا عن طارق، ورغم توتر الموقف، لاحت ابتسامة على شفتيه، عندما سمع عبارة (لارا) التي تنم عن صلابة وعناد بالغ راق له، كما راق له ذلك الشعور بالقوة أورثه ثقة وهدوء من يمسك بمقاليد الأمور غير مبالٍ بالجنود الذين دفعوه مع (لارا) داخل قاعة واسعة ثم هبطت خلفهم أعمدة من الطاقة تغلقها تمامًا وتقوم بسحق من يحاول عبورها أو اقتحامها من الجانبين لحظات مرت على طارق و(لارا)، وهما يقفان بحلتيهما المقاتلتين بعد نزع أسلحتها يرصدا عدة أعين تترقبهما من زوايا عديدة فى الغرفة، يتطلعون إليهما في رهبة تقدم من وسطهم أكبرهم سنا يقترب من (لارا) مبتسمًا، لتبادله (لارا) ابتسامة فرحة قائلة:

– سيد (رودشكا)! اعتقدت أنك لم تنجُ !

صافحها رودشكا، صديق لوشيان والمسئول عن المقر الاحتياطي، في سعادة غامرة، يخبرها أن العديد منهم فقدوا حياتهم على يد هؤلاء الطغاة، وأنهم في النهاية اضطروا للاستسلام والاعتقال هنا .

صمت للحظات، ثم التفت لطارق يتفحصه بنظرة ثاقبة مكملًا :

– لابد أنك السيد طارق القادم من البعد الخامس ليكتسب قدرات خارقة هنا.

ابتسم طارق، مصافحًا إياه وهو يغمغم:

– ليس إلى هذا الحد

أكمل رودشكا:

- السيد لوشيان وثق بك، يكفى أنَّه أرسل (لارا) معك؛ وكذلك نحن سنثق بك .

اكتفى طارق بإيماءة من رأسه إيجابًا وقد اعتراه شعور بمسؤلية كبيرة ملقاة على عاتقه، كان على استعداد لمساعدتهم قدر المستطاع فقد تأكد له صفاء نواياهم، ولكنه يريد إنقاذ عالمه قبل أيضًا أي شيء.

قدمهما (رودشكا) للمتواجدين ثم جلس مع (لارا) يستمع منها ما وصلت إليه الأمور فى الخارج، ارتسم الأسى على وجهه ثم اختلس نظرة إلى طارق الذي وقف قرب أعمدة الطاقة التي تحبسهم بالداخل، يتفحصها في اهتمام، ثم عاد لرودشكا و(لارا) قائلًا:

- أعتقد أنَّه يمكنني إخراجكم من هنا، ولكن ماذا بعد ذلك؟

نهض رودشكا وقد تسلل إليه من الحماس والأمل يخبره أن الهدف الأول هو انتزاع النيزك من أيديهم بعد التخلص من الجميع أومأ طارق برأسه متفهمًا، وهو يضيف:

- إن عددهم قليل، ويعتمدون على عدم وجود أي مقاومة ضدهم؛ لذا يجب أن يكون هجومنا سريعًا ومباغتًا حتى لا يتمكن أحدهم من طلب المساعدة من قوات أخرى بالخارج وإلا وجدناهم فوق رؤوسنا في لحظات.

التفت رودشكا إلى ذلك الجمع معه الذي لا يتجاوز خمسة عشر رجلًا وحوالي خمس سيدات، يطلعهم على الخطة، معتمدًا فيها على تأمينهم جيدًا في مكان بالخارج بعد تحطيم الجدار المثبت داخله جهاز بث حزم الطاقة، ثم التعامل مع الجنود بالخارج

تراجع الجميع بإشارة من طارق يحدقون مذهولين إليه وهو يقفز متعلقًا بإطار علوى فوق البوابة وأخذ يضرب الجدار بقبضته المغلفة بسترته القتالية بضربات عاتية حطمت الجدار؛ وتساقطت الصخور أرضًا،

حتى برز من وسط الجدار الجسم المعدنى لجهاز بث أعمدة الطاقة ، لم يتوانى عن طرق معدنه الصلب عدة مرات حتى بدأ يطلق شرارات كهربية تذبذبت على أثرها أعمدة الطاقة ثم تلاشت بعد تلف جهاز بثها، هبط طارق على قدميه وسط ذهول الجميع، التفت إليهم يحثهم على الخروج سريعًا مع (لارا) إلى مكان آمن، دنت منه الأخيرة قائلة:

- لا تعرض نفسك لمخاطر جمة نحن لا نعلم كيف ولا متى ستسوء حالتك

منحها ابتسامة مطمئنة ثم انطلق في حذر إلى القاعة الخارجية، واصطحبت (لارا) الجمع إلى قاعة أخرى نصف متهدمة اختبأوا داخلها، ثم جمعت المقاتلين من بينهم،والذين لم يتعدوا الخمسة وعادت بهم لدعم طارق الذي وقف في حذر عند أحد منافذ القاعة يرصد عدد المتواجدين من جنود جادريان الذين لم يتجاوزوا عشرة جنود مسلحين، وحوالي خمسة أطباء وسط ضوء أزرق هادئ يبثه النيزك العاكفين على اختباره مما دعاهم لارتداء نظارات داكنة، اعتمد طارق على تعتيمها للرؤية أمام أعينهم ، ضغط زر إغلاق خوذة رأسه برزت على أثرها الشرائح المتتابعة من ياقة الحلة لتغطي رأسه ووجهه وهو يغمغم:

- الاحتياط واجب

تقدم من ورائهم فى هدوء وبطء حتى كسب مساحة جيدة إلى أن انتبه إليه الجنود وتراجعوا من المفاجأة ثم رفعوا بنادقهم إليه، لم يكن يدرك أي تكتيك قتالي يتبع، وهو الذي لم يقم بتمارين رياضية في حياته من قبل فقط كان يعتمد على المناعة والصلابة لجسده، وقوة ضرباته التي منحته إياها الظروف من دون حساب..شكرًا للظروف ، ضم قبضته وراح يلكم أقربهم

إليه ويسحب بندقية الثاني ويهوي بها على رأس ثالث، ثم يقذفها لتصطدم بوجه رابع، ليندفع إلى الأمام عدة خطوات نتيجة لدفعة طلقات تلقاها في ظهره لم تتجاوز الحلة القتالية، ليكمل تقدمه، وينقض على خامس بلكمة هشمت وجهه .

استوعب الجنود طبيعة الخصم فابتعدوا عنه قدر المستطاع وأطلقوا وابلًا من أسلحتهم تلقى طارق معظمها وأطاحت به فى عنف رغم أنها لم تخترق جسده ولكنه شعر بروحه تنساب من بين خلاياه تدحرج يحتمى بمقعد ضخم ثم حمله واقترب به منهم ثم أطاح به تجاههم فى الوقت الذى انقضت فيه (لارا) وخمسة مقاتلين على جنود جارديان من الخلف يسقطونهم قبل أن يلتفتوا إليهم حتى التفت طارق إلى العلماء الخمسة وما أصابهم من رعب يحدقون فى سترته التى أصبحت كالمصفاة من ثقوب الطلقات ومازال يقف على قدميه، تراجعوا فى رجاء طلبًا للصفح لولا أن توقف أكبرهم رتبه عندما لامس مؤخرةَ رأسه فوهةُ سلاح، وصوت (لارا) تقول:

- ألم أخبرك أننا سنعلمك درسًا قاسيًا!

التفت إليها الطبيب، لتهوي بمؤخرة سلاحها على وجهه بضربة قوية نزفت لها أنفه، يحيطها بكفه في ألم دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

انتشر الجنود فى القاعة يجمعون البنادق ويتأكدون من مصير الجميع ثم اصطحبوا من مازال حيًا إلى زنزانة بالحصن

توافد الجميع بعد تأمين المقر بالكامل وعادت القيادة ل رودشكا وقد بدا ممتنًا يحمل شكرًا كبيرًا لطارق .

- سيد طارق بعد تفحص موضع إصابتك بالطلقات ، كما أخبرني السيد لوشيان خلاياك أصبح لها القدرة على امتصاص واختزان أى طاقة

تسرى فيها وهو أمر غير مألوف لا ندرى سببه ، لكنها على كل حال تخضع لمقاييس تقليدية فمع استهلاك تلك الطاقة تفقد خلاياك القوة والصلابة وتدريجيًا تعود طبيعية يخترقها أى دبوس صغير .

- هل تعنى سيد رودشكا أن أى إصابة أتعرض لها الآن أصبحت مميتة!!

- نعم للأسف ، لكن تبقى القدرة الغير مفهومة لدى خلاياك على امتصاص واختزان الطاقة .. سيد طارق لقد تحول جسدك لبطارية قابلة للشحن لكن وفقًا لحالة الخلايا فقد لا تحتمل امتصاص المزيد وتنهار على الفور.

شحب وجه طارق، بالفعل هو يشعر بضعف مفاجئ، لكنه توقع أن يشفى كما يحدث له منذ وصوله تلك الأرض الغريبة ، وقفت (لارا) جواره تهمس له :

- طارق لم تعد تحتاجها ، استرح أنت وسيقوم الجميع هنا بواجبهم ، بمجرد استخلاص الطاقة من النيزك وإنعاش أسلحتنا ستنتهى الحرب وتعود لأرضك فى سلام

تبسم طارق يومئ برأسه موافقًا ثم تراجع يتابع نشاط جم بدا فيه الجميع على الفور في تفحص النيزك الذي لم يتجاوز حجمه قبضة اليد، ووضعه داخل جهاز مجهول مثبت فوق ما يشبه الكأس الشفاف، وسط قطبين أطلقا شررًا كهربيًا على جنبيى النيزك وكأنها عمليه تفعيل تزايد على أثرها وهج النيزك حتى بات كشمس زرقاء صغيرة تتراقص أشعتها على وجوه الجميع .

مرت لحظات في صمت وترقب، ثم هدأت الشرارات الكهربية، وبقي النيزك يومض كقلب ينبض بالحياة، خلع رودشكا منظاره الداكن ملتفتًا إليهم وعلى وجهه ابتسامة مستبشرة قائلًا:

- الآن نملك الطاقة!

سرت سعادة غامرة بين الجميع يتبادلون الأحاديث الجانبية ، وقد انتعش لديهم أمل جديد في استعادة السيطرة على مقاليد الأمور، بعد تدشين سلاح قوي يعتمد على طاقة النيزك، يقلب موازين حرب باتت على كف رجيم

التفتت (لارا) لطارق فوجدته قد تراجع لمكان قصى يجلس وحيدًا، شاردًا، حاولت تجاهل الأمر ومتابعة النيزك لكن أبت عليها نفسها التجاهل ، فالتفتت إليه بعد صراع نفسى انتصر فيه شعورها بما يشعر من غربة ووحشة ، خطت تجاهه فى تردد، جلست جواره فى صمت، غالبت شعور بالألفة تجاهه، شعر بها، رفع وجهه إليها فالتفتت إليه ، تبسمت عيناه فى حنو أصابها بارتباك أطرقت له برأسها تلح على عقلها فكرة واحدة ، نفس النظرات، نفس طريقة التبسم، نفس الطباع، هو يشبهه إلى حد مخيف، إلى حد مربك، كبتت مشاعرها ، ابتلعت غصة حلقها ثم حاولت التخفيف عليه بما لا تملك :

- طارق هون عليك لقد بذلت ما يفوق مقدرتك على الاستيعاب ، الآن اترك لنا زمام الأمور وسنعيد كل شيء إلى نصابه، سنعمل على تدشين ذلك السلاح سريعًا وقلب موازين المعركة، سوف نقتحم المدينة، ونوقف بث التردد الذي يبقي على الثغرة لعالمك

هز طارق رأسه موافقًا فى حزن مغمغمًا:

- أرجو رفع ذلك البلاء عن الأرض بأقصى سرعة

- سنفعل يا طارق أعدك ، أما عالمك فهو الان يعى درسًا لم يمر به من قبل ، سيتكاتفون ويتحدون فقط عندما يواجهون ما يفسد عليهم معيشتهم، سيتعلمون أن الحياة شيء هام لا ينبغى للقوى منكم إفسادها على الضعيف باستعمال أسلحته وتكنولوجيته ، ففى النهاية سينقلب السحر على الساحر

وتفسد معيشتكم جميعًا كما حدث معنا الآن ، والحق يقال إنكم تسيرون نحو ذلك المصير بخطي ثابتة خاصة بعد استعمال التأثير الكيميائى على الطقس الذى تسميه الدول المتطورة لديكم بـ(الكيمتريل) للاستعمال السلمى، غير أنه يستعمل فى إفساد معيشة الضعفاء منك، لا تقلق يا طارق ستمر المحنة على أرضك وستتعافى

تأمل طارق وجهها للحظات في دهشة قائلًا :

- من أين اكتسبتِ كل هذه الصلابة؟!

ابتسمت وهي تغمغم:

- لقد علمني إياها أبى

- هل تدرين لقد اعتقدت في البداية أن السيد لوشيان هو والدك .

- وما الذي جعلك تعتقد أنَّه ليس كذلك؟

- لقد رأيتُ بعض ذكرياتك أثناء قيادتنا المركبة

ابتسمت متسائلة:

- وماذا رأيت أيضًا؟

-لا شيء آخر؛ كنت منشغلًا للغاية في مناورتنا .

- لا بأس .. كان السيد لوشيان، والسيد رودشكا، ووالدي، و(سلوفير) أصدقاء و زملاء في المختبر قبل أن تحدث خيانة الأخير، ويستحوذ مع جارديان على الحكم، ثم قُتل أبي أثناء محاولته منع (سلوفير) مع لوشيان وعدد آخر من الرافضين .

بدا التأثر على وجه (لارا)، وهي تضيف:

- لم أكن قد تجاوزت عامي الثامن بعد، عندما كان لوشيان آخر من شاهد أبى قبل احتضاره بين يديه ، فأوصاه وشدد عليه أن يرعاني، ومنذ ذلك الحين وهو يعتبرني ابنته التي يريد تعليمها كل شيء، ويخشى عليها من كل شيء .

ابتسم طارق، وعيناه تجوبان وجهها، متأملًا لأول مرة بهذا القرب ملامحها الدقيقة، وشعرها الأسود المنسدل على كتفيها، تشرد منه خصلة تخفي جزءًا من عينيها اللتين يطل منهما بحر متلاطم من الذكريات الحزينة، همس لها :

- أعتقد أن لوشيان نجح في تنفيذ وصية والدك .

شرد لحظة ثم تنهد في أسى، وهو يضيف:

- هل تدرين لقد فقدت أمي أيضًا منذ عدة سنوات، وكان لها أثر بالغ في حياتي، ثم قام أبي منذ ذلك الحين بواجبات الأب والأم معًا .. قاطعته بغتة فى جذل :

- اليوم هو الاثنين؛ لعل والدكَ الآن يطهو المسقعة باللحم المفروم

فغر طارق فاه وهو ينظر إليها بدهشة بالغة :

- ما هذا العبث؟! هل كانت فكرة المسقعة في عقلي أثناء قيادتي لمركبة مقاتلة في عالم آخر؟!

ضحكت (لارا) لدهشته قائلة:

- أنا مدربة جيدًا، وأستطيع أن ألج لعقلَك و أعرف كل ذكرياتك أثناء القيادة حتى لو لم تكن تفكر فيها .

رفع طارق أحد حاجبيه قائلًا :

- يا إلهى ! لن أقود ذلك الشيء مرة أخرى!

- أيها السادة، كنت أود أن أبشركم خيرًا، ولكن للأسف الشديد لن نتمكن من تدشين السلاح في الوقت المناسب؛ الأمر يحتاج إلى بعض الوقت الذي لا يتوافر لدينا .

نهض طارق و(لارا) في انزعاج عندما نطق رودشكا بهذه العبارة التي هوت كالبرق تحرق أماهم ، خطا طارق تجاهه متسائلًا عن السبب، ليجيبه أن لديهم سلاحًا ليزريًا خاويًا من الطاقة، كان يُستخدم قديمًا، وهو يدور في فلك الكوكب حتى الآن، وعند محاولة إعادة شحنه الآن تبين أنَّه سيستغرق وقتًا حتى الغد لإعادة شحن وتحميل السلاح .

تدخلت (لارا) مرددة عبارة (الغد) في استنكار، ليؤكد لها رودشكا ذلك في مرارة لقد بذلوا جهدهم لكن تحميل وشحن السلاح القديم لن يكتمل إلا مع الساعات الأولي من فجر الغد مما جعلها تقول في يأس:

- قوات المقاومة لن تصمد حتى الغد

لم يعقب أحد بعد هذه العبارة التي أثارت رجفة داخل أوصالهم، تتعلق أعينهم بالتوقيت التنازلي على شاشة تحميل برنامج السلاح الليزري، والتي أشارت إلى بقاء أكثر من سبع ساعات كاملة قبل انتهاء التحميل ونقل الطاقة، بما لا يدع مجالًا للشك -في ظل قطع الاتصالات- بسقوط المقاومة بالكامل قبل الغد، هذا إذا لم تسقط اليوم ..أو أنها سقطت بالفعل .



الفصل التاسع

صاح (أورالتس) بأحد معاونيه في انفعال جارف، يأمره بإعادة نشر الدروع حول مركبتهم الرئيسة بعد أن تلقى للتو دفعة إشعاعية ساحقة كادت تسحق المركبة الرئيسة لقوات المقاومة، قبل أن يرصد مركبة (جارديان) المعادية تعيد شحن طاقتها استعدادًا لإطلاق دفعة نارية جديدة تجهز بها على مركبته وسط موقف بالغ التعقيد لقوات المقاومة التي سقط الكثير منها أمام اجتياح قوات جارديان، ملحمة يسطرها تاريخ (ريون) بأكمله، ستُنقش أحداثها فى سجلات الذاكرة ، ستتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل .

تقدمت جنود جارديان فى مشهد مهيب وصادم وسط حماية مدرعات قوية، اصطدمت أمام الحصن بقوات أورالتس الباسلة التى تصدت لموجة الهجوم الأولى في صعوبة بالغة وبسالة نادرة بعد أن أنهكتهم وأتت على قوتهم فتناثرت جثث رجال المقاومة وسط المصابين ، أما من تبقى واقفًا على قدميه منهم أخذ يتابع معاودة احتشاد لجيش جارديان بتوافد من روبوتات مقاتلة شرسة و جنود ضعف العدد الأول فى موجة هجوم ثانية وبدا واضحًا أنها الأخيرة ، تهاوت معها القلوب وارتفعت الأعين إلى السماء تتطلع لمركباتهم المتساقطة تلتهمها النيران.

طفق جنود المقاومة ينفثون خوفهم، قبضوا على أسحلتهم .. أغمضوا أعينهم للحظات ثم فتحوها، ثم اندفعوا يشتهون الموت بشرف، والتحموا بالموجة الثانية من قوات جارديان .

بينما أورالتس داخل المركبة الرئيسة يجاهد مع معاونيه للحفاظ على شيء من التوازن فى المعركة الجوية أمام النقص العددى الصارخ فى مركباته أمام المئات من مركبات جارديان التي تتدفق عبر قنوات من داخل مركبتهم الرئيسة الضخمة، الرابضة على ارتفاع متوسط بعيدًا عن الحصن، أطلق لها أورالتس العشرات من الطلقات الحارقة نحو مركبات جارديان التي انهالت عليه بطلقات مماثلة ارتجت معها مركبته الأم على نحو خطير دفعته لرفع تحصين الدروع حولها متحاملًا على طاقة إطلاق النيران

تطلع في توتر شديد عبر زجاج ضخم يحتل أحد جوانب مركبته، يطل منه على المعركة الجوية الطاحنة التي أثبت فيها طياروه براعة وفدائية منقطعة النظير، تعلقت عينه بأحد طياريه يفجر أحد مركبات العدو ثم ينقلب بمقاتلته رأسًا على عقب عدة دورات ويسحق أخرى ثم يميل متفاديًا كتلة الحطام المشتعل، ويلاحق مركبة أخرى للحظات حتى حصل على هدف واضح، ليسحقها هي الأخرى ويناور للفرار من ملاحقة طلقات عدة مركبات معادية تهاجمه فى إصرار حتى تمكنت منه وسحقته يتبعون أسلوب محاصرة المركبة الواحد وتفجيرها ثم الالتفات لأخرى كانت المهارة لطياري أورالتس؛ لكن الكثرة لجارديان الذى شعر بذلك وهو يتابع قواته البرية تسحق ما تبقى من قوات المقاومة وتجتاح الحصن بأعداد كبيرة فوق جثث رجال المقاومة كما وعدوا قائدهم فى مشهد أخير ومؤسف .

***

بلا أمل ، تسرب اليأس والإحباط إلى نفوس الجميع، وشعور عارم بالعجز يعتريهم، وهم يقفون مكتوفي الأيدي أمام كارثة بدأت أنظار العالم أجمع تلتفت إليها أدت لتوافد العديد من مراسلي القنوات الإخبارية العالمية التي هرعت تغطي حدث ظهور أول سفينة فضاء على مرأى ومسمع من الجميع في واحدة من المرات النادرة التي يستطيع الإعلام تصويرها بهذا الوضوح دون أى شكوك أو أضواء فى السماء مشكوك فى ماهيتها ، بينما هي قابعة ورابضة على ارتفاع منخفض فوق ثغرة بدت كدوامة كونية تنفث أبخرة خضراء سامة وصلت لعنان السماء وحجبت الكثير من أشعة الشمس فأورثت المنطقة منظر كئيب مظلم بدا كقطعة من عالم (ريون) خاو كمنطقة أشباح بعد إجلاء الأحياء والضحايا فلا ترى سوى حطام عربات الجيش والدماء وفتات مولد الطاقة.

لكن مشارف محافظة الإسكندرية كانت تضم أملًا آخر، أو محاولة أخيرة متجسدة فى ست طائرات مقاتلة تابعة للجيش من طراز (إف 16) تدوي في سماء الإسكندرية بعد اختراقها لحاجز الصوت، وقائد السرب يبلغ غرفة القيادة على الأرض ببقاء عشر ثوان على بلوغ الهدف ، أجابته القيادة بقصف الهدف فور رؤيته .

تعلقت أعين القادة في غرفة العمليات بشاشة رادار ترتسم فوقها ست نقاط حمراء، تتشكل فى وضع هجومى تقلل من ارتفاعها تدريجيًا حتى لاح لهم الهدف هادئًا ساكنًا تتصاعد من أسفله الأبخرة ، ما إن دخلت مرمى المقاتلات حتى انفصل عنهم اثنا عشر صاروخا من طراز (مافريك 65) جو أرض موجه بخاصية الأشعة تحت الحمراء انقضت جميعها على المركبة فى زمن قصير بدا كالدهر على القادة ، إلى أن حدث الارتطام، وارتفعت كتل اللهب من المقاتلة مختلطة بالأبخرة الخضراء كبادرة أمل على دمارها تدريجيًا

انقشعت السنة النيران كاشفة عن جسم المقاتلة اللامع تنحصر عنه النيران فى مشهد انفطرت له قلوب الجميع وشحبت وجوههم فى يأس.

دارت المقاتلات دورة كاملة تعطى تقرير بصرى بعدم تأثر الهدف ثم اتخذت تشكيل هجومى مرة أخرى تعاود الانقضاض وسط خفقات قلب القادة المتوقعين لرد فعل المركبة الآن والتي مع الأسف لم تخيب توقعهم، عندما توهجت قبتها وتطاير من حولها شرر كالبرق لبضع لحظات مقترنًا بهدير تدريجى لا ينذر بخير ثم انطلقت من قبتها موجة كاسحة أخذت تتسع فى جميع الاتجاهات كالبالون حتى غمرت المباني المحيطة ووصلت إلى السماء تغمر المقاتلات الست لحظات لم يستوعب أحد ماذا يحدث بعد أن بقيت الطائرات سليمة بلا خدش إلا عندما صاح قادة الطائرات فى هلع بصوت متقطع، وفي نفس الوقت، أنّ حاسوب وإلكترونيات الطائرة بالكامل قد تعطلوا، وأنهم فقدوا السيطرة ثم انقطعت الاتصالات وانطفأت شاشات الرصد داخل غرفة العمليات انتفض على أثرها قلوب الجميع وامتقعت وجوههم اندفع بعض الضباط لخارج الغرفة يستعينون بالرؤية البصرية لطائراتهم بينما يجاهد الطيارون لاستعادة السيطرة على طائراتهم دون جدوى وقتها فطنوا لحقيقة سلاح متطور أتى على كل ما هو الكترونى فى المحيط في مساحة نصف قطرها كيلو متر تقريبًا .

ارتفعت الأعناق إلى السماء ترصد تهاوى الست مقاتلات فى حالق تدور حول نفسها فى مهب الريح بينما قادتها يجاهدون للسيطرة عليها يدويا لكن المسافة إلى الأرض كان قصيرة انقضت قبل تفعيل التحكم اليدوى ليتصاعد دوي انفجارها المتتالي فوق قمم المبانى والمنشأت ، وسط آلام تعتصر قلوب الجميع وهم يتابعون كارثة جديدة أضيفت لقائمة ذلك اليوم الأسود،

وضحايا جدد قضوا نحبهم ، ساد الوجوم مراسلي ومصوري وسائل الإعلام المحلية والعالمية، ومراسلين يبثون مباشرة من مسافات بعيدة،وآخرين ينقلون تداعيات الموقف فى المستشفيات المتكدسة بالصرعى والتزاحم فى الطرقات هربًا من بؤرة الأبخرة حتى بلغوا الطرق السريعة المؤدية لخارج المحافظة فتكدس بدورها على نحو كارثى خرجت له الأمور عن السيطرة وأصيبت له المحاور الرئيسة بشلل تام .

وعلى المستوى الأمنى ساد شعور بالعجز بعد أن فشلت المحاولات فى احتواء الكارثة أو التعامل معها ، بأية حال من الأحوال ، وفى مقر وزير الدفاع يناقش حلولا جديدة دخل أحد الضباط الاجتماع مال على وزير الدفاع قائلا :

- سيادة القائد، وزير الدفاع الأمريكي على الخط 2

لم يدرِ كيف كان شعوره مختلطًا على هذا النحو بعد سماعه من الضابط عن الاتصال ، أدرك وقتها فقط أن الأمر لم يعد شأنًا داخليًا، هو خطر يهدد العالم أجمع بكارثة بيئية ستؤدى لتسمم الهواء وحجب الشمس وبالتالى هلاك الجميع بلا شك الأمر الآن اتخذ منحنى آخر، منحنى يتعلق بالعالم أجمع ووجوب تعاونهم ، يجب أن يتكاتف الجميع .

أمسك سماعة الهاتف، ينصت بالفعل إلى العرض الذي يعرضه عليه نظيره الأمريكي ، ليتنهد في آخر المكالمة قائلًا:

- شكرًا سيادة الوزير، سوف أبلغ الرئيس بعرضكم، وأبلغكم بالرد.

انتهت المكالمة، ليتجه إلى خط الرئيس، ويرفع سماعته مباشرة، ليأتيه صوت الرئيس متسائلًا عن العملية، أبلغه فى مرارة بفشل عملية القصف المباشر وسيطرة المركبة على مقاليد الأمور بل والمنطقة بالكامل .

نقلت الحُبيبات الكربونية في سماعة الهاتف صوت انزعاج الرئيس الشديد، ليستطرد الوزير قائلًا:

- لقد عرض علينا الأمريكان عرضًا منذ لحظات، نعم يا سيدي منذ لحظات: يقول وزير دفاعهم أن لديهم مركبة يمكنها أن تضاهيَ قوتَها وتدميرها أيضًا .

رددت سماعة الهاتف صوت الرئيس وهو يقول:

- هل هو تسليح سري لديهم أم ماذا؟!

- يقولون إنها أيضًا مركبة من عالم آخر، سقطت على أرضهم في حادث شهير منذ عدة أعوام، ولكنهم تكتموا الخبر، وتمكنوا من إصلاحها والطيران بها مجددًا .

مرت لحظات صمت وتفكير، ثم سأل مرة أخرى:

- ومتى يمكنهم الوصول بها إلى داخل الأراضي المصرية؟

تنحنح وزير الدفاع قائلًا:

- يقولون إنهم قريبون من الحدود يا سيدي، ووفقًا لسرعة تلك المركبة، يمكنها بدءُ الاشتباك خلال بضع دقائق .

تنهد الرئيس، ثم عاد يسأله:

- وكيف حال الدكتور صفوت ومصطفى بعد إصابتهما في الانفجار؟

أجابه في حزن قائلًا:

- الدكتور (صفوت) لم ينج يا سيدي لقد لقي حتفه بعد نقله إلى المستشفى مباشرة، متأثرًا بجراحه إثر اختراق جسده العديد من شظايا الانفجار؛ أما الدكتور مصطفى، فقد أُصيب ببعض الرضوض والكدمات،

لكنه نجا، والأطباء يقولون إنَّه بخير، لذا صمم أن يكون متواجدًا مع فريق البحث العلمي .

تنهد الرئيس في ضيق، مغمغمًا:

- فليتغمد الله ضحايانا بالرحمة، كم نحن ضعفاء في المحن والشدائد!

ثم أضاف:

- تأكدوا من إجلاء جميع المدنيين من المنطقة، و اسمحوا لمركبة الأمريكان بالمرور

- سأبلغهم على الفور.

-حسنًا، واصنع خطًا مفتوحًا لي مع العمليات.

- على الفور .

أغلق وزير الدفاع الهاتف، ورفع سماعة الخط 2؛ ليبلغ نظيره الأمريكي بالموافقة على تدخل مركبتهم، وأنهم في الانتظار .

ليجيبه نظيره :

- لن تنتظر طويلًا، دقائق وتبدأ مركبتنا بالاشتباك .

أغلق الوزير الخط ، وهو يتنهد فى شيء من الضيق ينقل بصره إلى شاشات الرصد عندما أخبره أحد الضباط بأن مركبة الأمريكان تسير بثلاثة أضعاف سرعة الصوت، اتسعت أعين الجميع وهم يشاهدون المركبة تصل إلى مدينة الإسكندرية، وتخترق سماءها في دقائق بصخب مزعج ، بمظهرها الغير مألوف ، مال أحد الضباط المراقبين على أحد زملائه هامسًا:

- هل تعتقد أن هذه المركبة الفضائية التى سقطت لديهم فى حادثة (روزيل) الشهير، وأخفتها الحكومة الأمريكية؟!

أجابه زميله، دون أن يرفع عينيه عن الشاشة، قائلًا:

- ربما، ولكن الأهم: ماذا يمكنها أن تفعل

كان السؤال عن قدرتها القتالية هو حقًّا السؤال الأهم فأمامهم على الشاشة توقفت المركبة الأمريكية للحظات، تدرس الموقف، والقائد داخلها يرصد المعلومات المتراصة أمامه على شاشات الحاسوب، ثم يرسل لقادته تقريرًا سريعًا حول ما تنقله له شاشات الرصد في تردد وقلق، وكأنه اكتشف أمرًا، قائلًا:

- الهدف يختلف كثيرًا عما توقعنا مركبتي تسجل تكنولوجيا متطورة للغاية، ورصدت أسلحة لم تتعرف عليها.

ثم صمت قليلًا، وأضاف:

- أخشى أنها نسخة متطورة للغاية من مركبتنا أطلب الإذن ببدء الهجوم على الفور.

نطقها، ويداه تعملان على أزرار عديدة تضمها لوحة قيادة هذه المركبة، ليقوم بشحن أسلحته بعد أن صدر له الإذن بالاشتباك، أطلق وابلًا من الطلقات الإشعاعية اصطدمتا بجدار الطاقة المحيط بمركبة البعد السادس، لتنعكس وترتد عنه في عنف، وتصطدم إحداهما بالمركبة الأمريكية نفسها تصيب جانبها لترتج وتميل قليلًا، وقائدها يهتف في ذعر:

- لم تؤثر بها أشعتي! لقد أُصبت، وأفقد السيطرة على المركبة إنها تبدأ هجومها بالاشـــ..

هتف قائده في هلع:

- أُلغيت العملية عد أدراجك على الفور، تراجع، الـــ...

بتر عبارته، عندما بلغ مسامعَه عبر جهاز الاتصال دويٌّ انفجارات، وسط هلع قائد المركبة، يسود بعدهما سكون تام، إلا من أزيز متصل يبثه جهاز الاتصال، يعلن به أمرًا واحدًا لم يجرؤ أحد من الحاضرين على التفوه به ولكن لاحت أماراته على وجوههم أبلغَ من أي عبارات .

و قرب البئر، فوق منطقة سيدي بشر بالإسكندرية، سقطت المقاتلة الفضائية الأمريكية مشتعلة، إثر حزمة أشعة ساحقة من مركبة البعد السادس؛ انفجرت على إثرها بدوي عنيف ارتجت له المنطقة بأكملها، وامتدت الموجةُ التدميرية إلى مساحة واسعة؛ فانسحقت معها مساحات كبيرة من منازل وصارت ركامًا وارتفعت ألسنة اللهب كالجحيم تغمر المنطقة للحظات، ثم بدأت في الانحسار كاشفة عن خراب تام ودمار غير مسبوق، انحسرت وكأنها تعلن خضوعها وضعفها أمام المركبة التي بقيت قابعة كالكابوس، تحمي الثغرة، وتجهض كل محاولات غلقها، و تعلن فشل محاولة أخرى، وكسر شوكة قوى العالم بأكمله أمام مركبة واحدة .



الفصل العاشر

سوف أوفر لكم ما تحتاجونه من وقت

توقف الجميع عن الحديث، والتفتوا يحدقون بوجه طارق بعد أن هتف بهذه العبارة وسط جدل شديد واحتدام في النقاش والخلاف ساد الحصن البديل بعد أن أكد الجميع على استحالةِ تشغيلِ السلاح قبل فجر الغد ،

صمت طارق، وتابع كل هذا ببصره دون التفوه بكلمة، بينما الألم يعتصر قلبه، والأفكار السوداء تتلاعب بعقله، ترسم له صورًا قاتمة لما يحدث الآن في الإسكندرية من دمار، وخراب، وسقوط ضحايا؛ من أهله، وذويه، وأصدقائه .

بلا شك، هو لم يعد مجرد مشاهد لأحداث لا دخل له فيها، بل الأمر الآن يتعلق أيضًا به وبالأرض، الحرب الآن حربه كما هي حربهم أصبح عليه واجبٌ ينبغي أن يؤديه، واجب ربما انتقاه القدرُ واقتاده إلى هنا خصيصًا؛ ليضع على كاهله هذا العبء الذي أوجب عليه أن يبذل قصارى جهده ليؤديه، وإلا اعتُبِر مقصرًا وأي تقصير هذا الذي تكون خسائره أرواح مئات -وربما الآلاف- من البشر!

هكذا وصل بتفكيره، لتنطلق العبارة بقلبه، وعقله، وجوارحه قبل لسانه

بصوت مرتفع برز وسط أصواتهم المتداخلة، يملؤه إصرار أصاب الجميع بدهشة بالغة، ساد على أثره القاعةَ سكونٌ تام، إلا من صوت وقع أقدام رودشكا يخطو نحوه، وقد ضاقت عيناه بنظرة متفحصة متسائلة:

- وماذا تنوي أن تفعل؟

سأتسلل للمدينة الإمبراطورية، وأوقف بث مجال الثغرة.

سادت همهمة بين الحاضرين، والبعض ينظر إليه في تهاون بينما اقترب منه رودشكا قائلًا :

- انظر يا ولدي، لقد رأيناك جميعًا تقوم هنا بأمور خارقة للمألوف، وكذلك نقدر ثقة السيد لوشيان بك .

ثم استطرد:

- لكن صدقني، سيتم تصفية كل من يدنو حتى من المدينة الإمبراطورية عن طريق مركبات آلية لا تعرف الرحمة ، وبعدها سيتوجب عليك اختراق القبة وهو أمر مستحيل تمامًا إلا من الداخل، ثم تأتى الحراسة المشددة داخل المدينة ، فضلًا عن أن مصدر الطاقة يحيطونها بحراسة خاصة من روبوتات مقاتلة شديدة الخطورة ، ثم أضاف .. ناهيك عن أن حصانتك الجسدية ضعفت بالفعل .

ربت على كتفه في ود، قائلًا:

- نقدر لك ذلك يا سيد طارق، لكن الأمور لا تأتي هكذا .

شرع رودشكا أن يعود أدراجه، ليستوقفه طارق بغتة، هاتفًا:

- قلت إن خلاياي ستستوعب الطاقة من جديد .. ألا يستحق الأمر مجرد محاولة؟!

التفت إليه رودشكا في ترقب، ليضيف طارق في إصرار:

- ما الذي ستخسره هنا سيد رودشكا حتى لا نغامر من أجله؟! أليس سقوط جيشكم على المحك! ثم لن يمضي الكثير حتى يكتشفوا غياب جنودهم هنا، ويأتون للبحث عنهم، ووقتها يحين الدور علينا، هل ستكتفون بالمكوث هنا والخوض في جدال لا فائدة منه سوى إهدار مزيد من الوقت، وسقوط مزيد من الضحايا؟!

ثم ازداد صوته عمقًا:

- هل سنجلس نتناقش، وعالمي هناك تتسرب إليه أبخرتكم السامة، تقتل كل دقيقة مئات الأبرياء؟!

ثم أكمل في لهجة ذات مغزى، وسط صمت وذهول الجميع:

- أم أنكم ارتضيتم الأمر؟!

هل حقًا خضعتم، وارتضيتم بخطة جارديان لتنقية هواء كوكبكم على حساب تلوث هواء عالمي؟! هل أقنعتم أنفسكم بأن لا يد لكم في ذلك، بل هو من أجبركم عليه؟! هل حقًا هذه هي مبادئكم ضد إراقة الدماء التي تقاتلون من أجلها؟!

وضعت (لارا) يدها على كتف طارق في حزن جارف أقربَ إلى البكاء، غير مصدقة ما تسمعه منه، وهي تغمغم قائلة:

- طارق، ماذا تقول؟!

أزال طارق يدها من على كتفه وسط انفعاله، مكملًا:

- أقول الحقيقة أيها السادة، الحقيقة التي تخجلون من أن تفصحوا عنها لبعضكم أو حتى لأنفسكم: أنتم ارتضيتم تنقية بيئة عالمكم على حساب أهل الأرض وتتعللون بأن لا يد لكم فيما يحدث .

ترقرقت عينا (لارا) فى حزن مازجة الاستنكار تقول في صوت متهدج:

- أنت مخطئ، مخطئ للغاية، لم نكن لنرتضي أن نضع أيدينا في يد جارديان الملوثة بدماء أهلنا ومن بينهم أبي، مهما اتفقت المصالح، أنت تعلم هذا جيدًا.

أشاح طارق بوجهه يخفي انفعاله، لتكمل (لارا) في حزن:

- لطالما انتظرتُ يومَ دخولِنا المدينة وقهرِ هذا الطاغية انتقامًا لأهلنا، لطالما انتظره هو ..(لازاروس) الذى اعتقدت أنك مثله لكنك الآن تبدو مختلفًا

تطلع الجميع في صمت وتأثر إلى هذا الحديث، ليطرق البعض منهم برأسه، يتساءل في أعماقه: هل حقًا ارتضى ما يقوم به الإمبراطور وجارديان لصالح كوكبهم، حتى لو كان على حساب أرواح أبرياء آخرين؟!

رودشكا دار بخلده نفس الخاطر الذي لم ينتبه إليه ،هدفهم كان توفير كوكب صالح للجميع، والإمبراطور يقوم بذلك بالفعل، ولكن ليس على حساب أهل الأرض! لقد أفاقهم حقًا هذا الشاب من غفوتهم .

تقدم إلى طارق، قائلًا في آسي :

- لم ولن نرتضي أبدًا حياتنا على حسابكم يا بني، سوف نساعدكم بكل ما نملك، وليكن الخالق في عوننا جميعًا خلال الساعات القادمة .

- إذا كان الأمر كذلك، فسوف أذهب معه .

التفت رودشكا إلى (لارا) التي قالت هذه العبارة في حزم، وسط الدموع التي لم تجف بعد على وجنتيها، قائلًا:

- بنيتي، لا داعي لذهابك؛ سوف نرسل معه بعض ضباطنا الــــ ..

قاطعته (لارا) في حزم وإصرار، قائلة:

- لا جدال في هذا الأمر، سيد رودشكا

ثم التفتت إلى طارق، تطل من عينيها نظرة تحدٍ ممتزجة بلوم وعتاب بالغ، وهي تضيف:

- حتى يعلم السيد طارق جيدًا أننا لا نتردد في بذل أنفسنا، حفاظًا على مبادئنا التي لم ولن تتغير مهما حدث .

تلاقت عينا طارق و(لارا) للحظات، وسط صمت طويل ساد تلك الأجواء المشحونة، ليقطعه طارق، في لهجة حاول قدر الإمكان جعلها حازمة تخفي ما تموج به نفسه من انفعال، متنهدًا في حرارة، وكأنه يفرغ صدره مما يعتمل به:

- حسنًا، سأشرح لكم خطتي التي تعتمد على أمرين، أولهما: أن جيش المدينة ،وقوتها الضاربة، كله بالخارج الآن مع جارديان؛ وهم لا يتوقعون بالمرة أي هجوم عليهم، مما يعتبر فرصة ذهبية ووقتًا مثاليًا لتسلل لن تتكرر مرة أخرى .

الأمر الثاني: هو الاستعانةُ بإحدى مركباتِ ضباط الإمبراطور التي أتوا بها إلى هذا الحصن، والرابضةِ بالباحة الخلفية له، ودخولُ المدينة بها .

تسربت الحماسة للحاضرين من هذه الفكرة البسيطة، ومن بينهم رودشكا الذي قال في حماسة:

- الآن حللنا مشكلة الدخول .

ثم توجه إلى خرائط مجسمة، لم يكد يشعلها ويقوم بضبطها، حتى ارتسمت في الهواء محاكاة للتكوين الجغرافي للمدينة الإمبراطورية، مكملًا:

- هل لديك خطة لمعرفة والوصول إلى (الميتراتاور)؟

ثم أكمل، عندما أطلت نظرة تساؤل من عيني طارق:

- ذلك البرج المحصن الذي يحتفظ داخله جارديان بأحجار النيزك الذي يعتمد عليه اعتمادًا كليًا في مد كامل المدينة بالطاقة، ومن بينها جهاز بث التردد الذي يُبقي الثغرة إلى عالمك مفتوحة.

دارت عينا طارق في تضاريس الخريطة المجسمة، وكأنه يلتقط لها صورًا بعينيه؛ لتختزنها خلايا مخه ، فأضاف روديشكا :

- المشكلة الحقيقية تكمن في عدم قدرتنا على تحديد موقع ذلك البرج طوال هذه السنوات، حتى مع وجود جاسوس لنا بالداخل؛ فإذا ما دخلت المدينة، لن تعلم من أين تبدأ ولا إلى أين تتجه توجد العشرات من الأبراج المتشابهة و المتناثرة داخلها؛ أما البرج المنشود، فموقعه سري للغاية، ولا يعرفه سوى الإمبراطور، وجارديان، وفرقة طوارئ من جنود خضعت لاختبارات وتدريبات قاسية للغاية تهب من معسكرها، وتنتشر وتؤمن وتسيطر عليه بالكامل، عند وجود أي اعتداء أو خطر، بالإضافة إلى تحكمها إلكترونيًا بروبوتات مقاتلة ساحقة تعاونها على صد أي اعتداء مهما بلغت قوته .

أومأ طارق برأسه متفهمًا .. حسنًا خطتهم ستكون ثغرتهم، مهمتك الآن سيد رودشكا هى تقييم حالتى والعمل على إعادة شحن جسدى

- سوف أفعلها من أجلك يا سيد طارق، من أجلنا جميعًا، لكن كما أخبرتك لا أحد يعلم كم مرة ستصدم خلاياك أمام اختزانها لهذا القدر من الطاقة، سأفعلها الآن وفى تقديرى يمكن أن تنجو من واحدة أخرى قبل أن يصبك انهيار خلوى حاد ، تسقط له صريعًا بغتة وتسيل أحشاؤك.

تبسم طارق فى فتور مغمغمًا .. مرتان كافيتان، نقل بصره للجميع قائلًا :

- سوف نحتاج إلى بعض الأدوات إذن، وأخبر من تبقى من قوات المقاومة عند الحصن الرئيس بما سأتلوه عليك، وليكن الله معنا .

انطلق الجميع داخل الحصن البديل الذي أصبح بمثابة آخر أمل للجميع : البعض يصلح جهاز الإرسال؛ وعددٌ من العلماء يقومون بتجهيز (لارا) وطارق بإلباسهم سترات قتالية جديدة أكثر تطورًا بتسليحها الكامل ودروعها ودفاعاتها القوية، بل وبمحركات توربينية فوق ظهورهم تشبه محركات المركبات أما طارق فقد علق خلف رأسه جهاز خاص صنعه له روديشكا ، جهاز إما يحمل نجاته أو سقوطه للأبد.

صعدا على متن مقاتلة الجيش الإمبراطوري وأغلقا المركبة ليبدأ بعدها حوار صامت عبر العقل بين متعاتبيْن .

ارتفعت المركبة ببطء، ثم هدرت محركاتها بقوة، لتنطلق بغتة بسرعة ساحقة تجاه المدينة الإمبراطورية، في مهمة انتحارية تقرر مصير مستقبل عالميْن كامليْن بلا أدنى مبالغة

❋❋❋

- مولاي الإمبراطور، لقد اخترقت مركبتنا الفجوة للبعد الخامس، وصدت العديد من محاولات غلق الثغرة .

أومأ الإمبراطور برأسه في امتنان، بعد أن نقل إليه أحد الجنود هذه الأخبار، ثم استطرد ذلك الجندي في ارتباك:

- لكن يا مولاي، توجد مركبة أخرى من مركباتنا المقاتلة عادت من المعركة، لكنها لا تستجيب لنداءاتنا .

قطب الإمبراطور جبينه، قائلًا:

- وأين ذهبت؟!

أجابه الجندي في ارتباك شديد:

- لقد فتحنا لها قبة الطاقة للعبور، خشية تعطل جهاز الاتصال بها، وعدم قدرة طياريها على الإجابة؛ لكن الأمر أثار ريبتنا عندما لم تتجه إلى المطار الحربي الخاص بالمركبات، بل اتجهت إلى هنا .

اتسعت عينا الإمبراطور، مرددًا كلمات الجندي في ذهول:

- تتجه إلى هنا! تقصد القصر الإمبراطوري! ولا تستجيب لندائكم !أي حمقى أنتم؟! نحن في حالة حرب شاملة ومصيرية، وأنتم تتصرفون بهذه السذاجة! دمروها على الفور، اسحقوها الآن بلا تردد لا مجال لأي خطأ هيا.

انطلق الجندي في هلع، غير مصدق أنَّه نجا من غضب الإمبراطور الذي كادت نظراته أن تحرقه، وصل لغرفة التحكم عابس الوجه، يبلغهم على الفور بأوامر الإمبراطور بتدمير المركبة، ليقوموا ببدء التنفيذ على الفور أمامهم على شاشات الرصد، قاموا بتحديد مكان المركبة في الهواء، ثم انطلقت حزمة أشعة تشق ظلام الفضاء المتلألئ بألوان الصواعق، لتصيب المركبة وتحولها إلى شظايا في ثوان، وتسقط مشتعلة من سماء المدينة

***

لا تنس، أنا مُدرَبة جيدًا؛ لا ألتقط فقط ما تفكر فيه، بل كل ذكرياتك أيضًا ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل يمكنني أيضًا منعك من الوصول إلى ذكرياتي التي سبق وسمحت لك الولوج إليها في المرة السابقة؛ أما الآن، فغير مسموح لك سوى رؤية الجزء الخاص بالطيران .

احتدم صدر طارق بضيق بينما هذه الأفكار تنساب داخل عقله مباشرة من عقل (لارا) ، في حديث صامت عبر حاسوب لتكون هذه الفكرة هي كل ما دارت بينهما أثناء التحليق بمركبة جيش الإمبراطور تجاه مدينته التى لاحت من بعيد قبة الطاقة التي تحيط بها بتوهجها المبهر والقاتل، تردد عبر جهاز الإرسال لديهما صوت المراقب من داخل المدينة، يناشدهما بتعريف نفسيهما وسبب عودتهما من المعركة؛ إلا أنهما استكملا بناء حاجز الصمت بينهما هذه اللحظات أيضًا، مراهنيْن على فتح الجنود للقبة عند اقترابهما، متخذيْن احتياطهما بالاتفاق مع أحد التابعين للمقاومة بالداخل لفتح القبة إذا ما قرر جنود الإمبراطور تركهما ليصطدما بها .

بالفعل فُتحت القبة، وعبراها في سلام، وانغلقت خلفهما، لينزع طارق و(لارا) في نفس الوقت مقابس الأمان والاتصال بالمركبة، ويُفعلاَ الطيار الآلي ثم فَتحت بوابة المركبة أثناء التحليق على ارتفاع منخفض، أشار إليها طارق بالقفز أولًا تلاقت أعينهما لحظة من خلف زجاج الخوذة الداكن، لتتخطاه في تحدٍ، ثم قفزت من باب المركبة دون أدنى تردد، تخللت أوصالَ طارق ارتجافةٌ عند رؤيته للمشاهد أسفل المركبة تمر بهذه السرعة الكبيرة، ومن هذا الارتفاع، ليغمغم:

- يا إلهي! أنا أخشى النظر من نافذة شقتنا بالدور الخامس!

أغمض عينيه، وقفز فطار جسده في الفضاء لحظات مرت كالدهر شعر خلالها بروحه تنسل منه، شهق دون إرادته ثم بالكاد استجمع شجاعته، وأشعل المحركات فوق ظهره، ليتدفق لسانان من اللهب إلى أسفل، يقللان من سرعة هبوطه تدريجيًا حتى اصطدمت قدماه بالأرض، بتكنيك غير مدروس بالمرة اختل معه اتزانه وسقط يتدحرج أرضًا عدة مرات هب بعدها واقفًا وفى نفسه شعر بامتنان لفكرة تركها تقفز أولًا .

تحدث إليها عبر جهاز اتصال داخل الخوذة، هاتفًا :

- هل أنتِ بخير!

أتاه صوت (لارا) يقاوم ضحكة كادت تنفلت منها تُطمْئِنه عليها ثم اتفقا على نقطة التلاقى ، أغلق جهاز الاتصال يغمغم فى عبث :

- اللعنة! لقد رأتني

لم يكد يتم عبارته، حتى أضاءت السماء بضوء لهب اشتعال مركبتهما تسقطت مشتعلة إثر حزمة أشعة أطلقتها عليها دفاعات المدينة الإمبراطورية، تلك المدينة التي رآها منذ بضعة أيام من أعلى مع جارديان وقتها، كان لا يعي شيئًا على الإطلاق؛ أما الآن، فقد علم، واستوعب، وشارك، وعاد إليها بهدف واضح، قوي، يثقل الكاهل .

مضى نحو نقطة الالتقاء يتفقد معالم المدينة التى لم تختلف كثيرًا من أسفل عنها من الأعلى، كم أدهشه عدم الاهتمام بأي مظهر لمدينة متطورة: بأرضها الترابية، وصخور متناثرة، و مبانٍ عتيقة شاهقة مغبرة تشبه قلاع العصور الوسطى، من الواضح أنهم انخرطوا في تطوير الأسلحة فقط لخدمة أهداف استعمارية .

قطعت (لارا) أفكاره، بينما هو يختبئ خلف أحد التماثيل الحجرية لشخص يجلس فوق عرش ضخم بلا شك هو الإمبراطور ، أخبرته همسًا أنها بموقع الالتقاء لكنها تسمع صوت حراس بالقرب منها

انطلق فى حذر إلى نقطة التلاقى حتى لاح له بالفعل جنديْن يتوجهان في حذر إلى موقع (لارا) تلفت حوله يبحث عن مكمن، ثم ركض تجاه إحدى الصخور المرتفعة، وتوارى خلفها، ثم أخذ يثير جلبة بالدق عليها؛ فاسترعى انتباه الجنديين فأشار إلى زميله في صمت،

ليعودا أدراجهما في حذر أكبر شاهرى أسلحتهم يقتربا من الصخرة التي يتوارى خلفها طارق اتبعا تقنية الإحاطة فدار كل منهما من اتجاه يحيطان بالصخرة لمحاصرة مَن خلفها أيًّا كان، ليكتمل دورانهما حولها ويتقابلا على الجانب الآخر دون أن يجدا أحدًا!

مط أحدهما شفتيه أنْ لا أحد

لكنهما تعجلا فى الاستنتاج فقد قفز طارق من أعلى الصخرة وسطهما ، بحلته القتالية السوداء ليتراجع الجنديان مجفليْن ، هوى على صدر أحدهما بقبضته، فأطاح به عدة أمتار، ثم التفت ينتزع سلاح الثاني الذي هم بإطلاقه، ليهوي بها على رأسه؛ فسقط مغشيًا عليه على الفور، تحدث عبر جهاز الاتصال ل(لارا)، يطمئنها أن الأجواء آمنة، برزت من مكمنها، وانضمت إليه وهي تضغط على أزرار في ساعد حلتها القتالية، لتتراقص أشعة خافتة أمامهما، تجمعت لترسم خريطة الوصول لاثنين من مخازن الأسلحة الإمبراطورية والتي وضعها طارق كأول أهداف خطتهما للوصول إلى برج الطاقة .

أغلقت (لارا) جهاز بث الخرائط المجسمة، ومضت جوار طارق، يتسللان في خفة من نقطة لأخرى، إلى أن أتاهما صوت رودشكا فجأة عبر جهاز الاتصال داخل الخوذة، يبلغهما بإصلاح أبراج الاتصال لديهم، وأنه تم الاتصال بسفينة أورالتس الذي أبلغهم أن الأمور بالفعل تخرج عن السيطرة، حتى إن المركبة الرئيسة تتداعى فسأله طارق:

– هل أبلغتموه بالخطة؟

أجابه رودشكا:

– نعم، كان متحفظًا بعض الشيء لتدخلك في الأمور؛ إلا أنَّه اقتنع بتنفيذها بعد أن نفذت خياراته .

ثم أضاف:

- أما الحصن نفسه ومن بداخله، فمازالت الاتصالات معهم مقطوعة، وغير معلوم مصيرهم بعد.

تلقى طارق و(لارا) هذه الأخبار في وجوم وقلق جعلهما يزيدان من سرعة تحركاتهما، ويخاطرا أكثر وأكثر، وسط حراسات الجنود الخاملة والمتململة، حتى وصلا إلى نقطة محددة سلفًا افترقا عندها، لتتحرك (لارا) في خفة عبر عدة منعطفات، متفاديةً نقاط المراقبة ، حتى وصلت إلى مخزن الأسلحة المحددِ لها تدميرُه، توارت خلف جدار أحد المباني، تتطلع إلى حراسة واهية مطمئنة من جنود متراخين كمن لم يقابل خطرًا حقيقيًا من قبل!

أشهرت سلاحًا خاصًا أطلقت منه عدة طلقات صامتة تشبه كتل الهلام، تحوي متفجرات شديدة التدمير، التصقت بجدار المخزن في عدة مواضع، ثم أبلغت طارق الذي فعل بالمثل في المبنى الآخر، ثم انطلقا إلى نقطة التقاء أخرى، وطارق يهتف عبر جهاز الاتصال:

- سأبدأ أنا .

ضغط زر التفجير في سترته، فدوى انفجار متوسط في المبنى الموكل به تدميره، ثم امتدت النيران إلى الأسلحة والذخائر بالداخل، ليدوي انفجار أعنف أطاح بالمبنى وبمن فيه وحوله، ارتجت على أثره المدينة بأكمله ، واندفع الجميع في هلع وتساؤل عما يحدث إلا أنهم لم يكونوا قد امتصوا الصدمة الأولى بعد، حتى دوى انفجار مبنى الذخيرة الثاني بدوي أعنف، لتعلن قيادات المدينة بعدها رصد خطر محدق يتوجب معه تفعيل خطة الطوارئ القصوى، دوت لها صفارات الإنذار لأول مرة منذ سنوات عديدة داخل المدينة، في الوقت الذي تلاقى فيه طارق و(لارا)

بعد تمام التفجيرين في مكان آمن نسبيًا، لينحنيا متواريين، وطارق يتحدث إلى رودشكا عبر جهاز الاتصال، هامسًا:

– تمت إثارة خطة الطوارئ لديهم .

أجابه صوت رودشكا، هاتفًا في حماس:

– لقد حدث الأمر بالفعل يا بني لقد رصدنا بالفعل توجهَ فرقة الطوارئ الخاصة في سرية تامة إلى الميتراتاور، والانتشارَ حوله وتأمينه؛ وجارٍ إرسال إحداثيات موقع البرج إليكما

ثم أضاف:

– كانت خطة رائعة يا سيد طارق لمعرفة موقع البرج، ولكن الأسوأ لم يأت بعد كونوا على حذر، وليكن الخالق في عونكما .

تطلع طارق إلى الموقع من بعيد، والجنود العاديين بدا عليهم التوتر والارتباك، يمشطون المناطق للبحث عمن أفسد لحظات استرخائهم لم تمض لحظات، حتى تراقصت أشعة خافتة من جهاز الخرائط المجسمة من ساعد سترة (لارا)، تتشكل لترسم لهما طريقًا افتراضيًا للهدف الجديد الذي لم يكن سوى الميتراتاور عبر أقل الطرق نشاطا .

تحدث طارق بصوت خافت إلى (لارا) التي تنحنى جواره في مكمنهما خلف أحد الصخور، قائلًا:

– من هنا تنتهي الخطة يا (لارا)، ويبدأ الارتجال الذي يعتمد على قوتي أرجوكِ لا داعيَ لأن تخاطري أكثر من ذلك لتثبتي لي أمرًا، دعينا نجد لك مكانًا آمنًا عـ....

قاطعته (لارا) في عناد، قائلة:

- ماذا تقول؟!

ثم نهضت بغتة، تعد سلاحها، مكملة:

- هيا يا سيد طارق نكمل مهمتنا هنا .

جاءه صوت رودشكا المطلع على الحديث الدائر بينهما عبر جهاز الاتصال، متبسمًا وهو يقول:

- لقد أثرت حفيظتها بكلامك هنا يا بني إنها عنيدة للغاية كوالدها، وصلبة كلوشيان؛ ولن تتراجع مهما فعلت.

شعر طارق بالندم الشديد لما قاله في وقت ساءت فيه الأمور وبلغ اليأس مبلغه ، شعر بالمسئولية الشديدة تجاهها لدفعها لذلك فنهض في إثرها، يراجع في ذهنه خريطة المكان، ويختلس النظر للخارج، ليجد بالفعل كما توقع أن انتشار الجنود قليل للغاية، غمغم قائلًا:

- كنت أتوقع هذا؛ قواتهم جميعها بالخارج لم يتوقعوا أبدًا هجومًا عليهم لن نواجه سوى القليل من الجنود وبضع روبوتات مقاتلة إنها أمور تقليدية أقوم بها يوميًا.

لاحت ابتسامة خفية على وجه (لارا)، ثم أخفتها سريعًا، وهي تقول دون أن تنظر إليه:

- هل تتذكر التسليح في سترتك المقاتلة، أم سأضطر لحمايتك؟

اتسعت ابتسامة طارق في راحة، كمن أزالت بعبارتها المازحة هذه جبلًا من الجليد من فوق صدره كان يقف حاجزًا بينهما، فأجابها وهو يتصنع الانشغال بمراقبة انتشار بعض الجنود:

- التسليح لكم يا عزيزتى، أما أنا.. فأحطم بقبضتي .

لم يكد يتم عبارته، حتى انطلقت هي بغتة من مكمنهما تجاه الجنود المتحفزين ،ليهتف بها :

- أيتها المجنونة!

أطل العناد من عينيها تواصل التقدم تجاه الجنود، ضاغطة ذراع سلاح ضخم عدة مرات، لتنطلق عدة قذائف شديدة التدمير، أثارت عدة انفجارات قوية تطايرت معها أجساد الجنود، وسط ألسنة اللهب وموجات التضاغط وارتعد المتبقون من هول المفاجأة والجرأة، لتلقيَ بسلاحها الضخم بعد أن نفدت ذخيرته، واستلت سلاحيها من جانبي سترتها وركضت فى تجاههم فى جرأة تختبئ بشكل متعرج بين ساتر وأخر تمطرهم بنيران كثيفة تحصدهم حصدًا

ثم توقفت بغتة، تلتفت إلى ذلك الذي قفز جوارها، لتجده طارق ، ينشر درعًا إلكترونيًا من سترته أمام طلقة قاتلة كادت تصيبها، أطلقها تجاهها جندي برز مع آخرين من الجانب الآخر، ليتوهج الدرع ويتلاشى مع الطلقة، هتف طارق بعدها:

- حسنًا، إنه دوري الآن .

قفز قفزة ساحقة! بدا للجنود وهم يتابعونه بأبصارهم، بعد سقوط فكوكهم السفلى وتراخي أيديهم على أسلحتهم، أنه لن يهبط، وسيظل يحلق هكذا فوق رؤوسهم للأبد؛ إلا أنَّه خيب ظنهم عندما هبط خلفهم مباشرة، وقبل أن يستعيدوا رباطة جأشهم، أو حتى تكتمل التفاتتهم، كانت أجسادهم تتطاير في الهواء بقبضته التي انطلقت تحصدهم حصدًا، بقوة تخطت قوة طلقات سلاحيْ (لارا) التي أطلقت عدة طلقات متتابعة منهما وهي تركض جانبًا، ثم تتدحرج أرضًا ، لتتوارى خلف جدار بناء، لتبرز

بنصفها العلوي، تطلق طلقات كثيفة من جديد بادلها إياها الجنود في ارتباك وخوف، وأعينهم تلتقط طارق وتتابعه، وهو يقوم بأمور غير منطقية بالمرة عندما تلقى طلقتين في صدره، لم يتأثر بهما؛ بل لم يلق لهما بالًا، وواصل قفزاته المخيفة وسطهم، يحطمهم بقبضته في ثوان، ثم يقفز متجاوزًا مساحات كبيرة، يبلغ بها مكمن آخرين، يهبط وسطهم يطيح بهم في لحظات، بدأ الجنود يتراجعون فى رهبة وخوف.

نقل المساعد الثانى ما يحدث إلى الإمبراطور الذي لم يكن يحتاج إلى سماعها؛ فأمامه على شاشات الرصد داخل المدينة تنقل له كل شيء ، الآن تأكد لماذا كان لوشيان يهتم بهذا الغريب، و الآن فهم خطتهما لمعرفة برجِ النيزك، منبعِ طاقة المدينة بالكامل؛ بل ووفقًا لخط سيرهما أمامه، أنهما عرفاه بالفعل، ويتجهان إليه مباشرة، أشعل جهاز الاتصال، هاتفًا للمساعد:

جنودك لا قِبل لهم بهذه المواجهة ، اجعلهم يتراجعون تدريجيًا ويفسحون لهما الطريق .. سنسقطهم فى فخ يسحقهم فى ثوانٍ .



الفصل الحادي عشر

سيد لوشيان لقد أرسلنا السيد أورالتس لإجلائك من المقر على الفور.

تحرك لوشيان إلى خارج الحصن فى وهن وحزن وسط ضباط من المقاومة كلفهم أورالتس بمهمة إجلائه والحفاظ على حياته، بعد أن ثبت لديه يقينًا لا سبيل للشك فيه باستحالة صد هجمات جارديان الكاسحة، هو يعرف ذلك الشيطان لن يهدأ حتى يطيح بالجميع، يأسف لكونه اضطر يومًا للتعاون معه رغم اختلاف دولتيهما قبل دمار ريون إلا أن كارثة الانهيار الكبرى واتحاد الدويلات جعلتهما يومًا يقاتلا فى نفس الجانب، ثم لم تمر فترة قصيرة حتى خانهم وانقلب على الجميع لتصبح الندية بينهما بلا حدود .

تأرجحت أفكاره بين كفى رجيم، هو يفضل الموت على أن يستسلم له في ذل وانكسار، لكنه على شفا هزيمة ساحقة تطبق عليه لا أمل من تفاديها سوى خطة طارق التى أبلغوه بها منذ قليل، هو لا يحبه ويتوجس منه خيفة منذ أن وطأت قدمه الحصن، يشبه (لازاروس) لكن التشابه لا يكفى، يراه متطفلًا ليس من بنى جنسه يثق فيه لوشيان و(لارا) دون مبرر، لكن خطته كانت آخر أمل لديه ، لذا فما كان بدٌّ من اتباع فكرته هذه المرة فلا سبيل أمام الجميع سواها .

كان يشعر بمرارة، وهو يجلي قواته تدريجيًا في سرية تامة وتحركات خفية لا يلاحظها جيش جارديان؛ فكانت المركبات تطير على مستوى منخفض، ثم يقفز طياروها من داخلها بحلة الطوارئ، هابطين أرضًا، تاركين مركباتهم تنفجر فوق الصخور، في دهشة شديدة أصابتهم من تلك الأوامر التي صدرت لهم من أورالتس شخصيًا حتى إنهم اعتقدوا أن الرجل فقد عقله من الضغط النفسي مما لاقاه؛ إلا أنهم نفذوا الأوامر كاملة التى كانت تستلزم توجههم بعدها سيرًا على الأقدام إلى وادٍ عميق مقفر وسط جبال وصخور مموهة، يتجمعون عندها واحدًا تلو الآخر بتسليحهم الخفيف، كان أمرًا استثنائيًا لم يسبق أن تدربوا عليه أو قاموا به أو حتى سمعوا عنه فى التخطيط الاستراتيجي لكن أوامر قائدهم كذلك وعليهم تنفيذها بمنتهى الدقة .

ظن جارديان، مع التناقص الشديد لمركبات المقاومة المقاتلة وخلو مواقع المقاومة أنهم لجأو جميعًا داخل الحصن وأن النصر قد بات حليفه .

فقام بإعطاء الأوامر لقواته بدك الحصن فوق رأس الجميع، لتنطلق مئات المركبات تمطر مبنى الحصن الفارغ بوابل من القذائف الثقيلة، ارتج لها الحصن وتدافعت كتل اللهب داخله تطول التسليح والأجهزة للحظات ثم دوى انفجار هائل تشققت له جدران الحصن ثم انهار فى ثوان وصار ركامًا في مشهد انخلع له قلب أورالتس رغم علمه بذلك كان مشهدًا ثقيلًا على صدره، كان يخشاه ويراه في كوابيسه

أفاق على صوت أحد ضباطه هاتفًا:

– سيد أورالتس لقد وقع السيد لوشيان في أيديهم قبل وصولهم لمركبة الإجلاء، باغتهم جنود من جيش جارديان صرعوا الضباط فى معركة غير عادلة وأسروا السيد لوشيان، والبعض رأوهم ينقلونه إلى مركبة جارديان شخصيًا .

أمسك أورالتس رأسه براحتى يديه، أغمض عينيه في ألم، وهو يغمغم في يأس مرير:

لقد سلّمناك رقابنا أيها الغريب أرجو أن تَصدُق، وإلا اقتلعت قلبك بيدى !

***

خطا طارق منفردًا فى حذر فوق الأرض الرملية بعد أن حسر خوذة السترة عن رأسه عندما لاح له برج النيزك بارتفاعه الشاهق وتصميمه المتطابق مع العديد من الأبراج من حوله مما يصعب تمييزه لولا أن رودشكا أكد له وجود نشاط يحيط به بالذات ورصد لتمركز قوات حوله أما مع هذا الخلاء فهو بلا شك يخطو داخل كمين محكم ، هدوء يسبق عاصفة، تقدم فى حذر أكبر يعيد إحكام غلق خوذة السترة حول رأسه ثم سحب سلاح ضخم من فوق كتفه ، تحدث عبر جهاز الاتصال فى سترته إلى لارا قائلًا :

- من الواضح أنه فخ ، أنا لا أحب الأكمنة ، ولكن مع وجودك قد أفكر من جديد!

أتاه عبر جهاز الاتصال صوت (لارا) التي تكمن متخفية فوق تبة بعيدة مرتفعة تراقب تقدمه عبر منظار مقرب لبندقية قوية، قائلة:

- أعتقد أنك سوف تعاني كثيرًا في كوابيسك من عقدة الأكمنة، عندما تعرف أنَّه على يسارك خلف جدار المبنى، يختبئ أربعة جنود مقنعين معهم أسلحة متطورة، وهناك ثلاثة تمركزوا خلفك بعد أن عبرت، وحوالي أربعة يطلون عليك بأسلحتهم من منافذَ صغيرةٍ من داخل المبنى نفسه .

ثم أضافت:

- وهذا الظاهر لي فقط أيها المغرور، هيا أرنا قوة قبضتك!

ابتسم طارق قائلًا:

- حسنًا، لقد استسلمت، سوف أستخدم أسلحتكم؛ فلقد قرأت كتيب التعليمات جيدًا .

ثم أعقب قوله بانطلاقة مباغتة، راكضًا يسار المبنى حيث تمركز أربعة جنود، قفز عاليًا، وشرع يهبط وسطهم لإرباكهم فى مناورته التقليدية لم تنطلِ على محترفين من فرقة خاصة ، رفعوا أسلحتهم عاليًا واستقبلوه بطلقاتهم فى الهواء أفقدته اتزانه وسقط على أثرها وسطهم وتدحرج أرضًا فسقط السلاح من يده ، لكنه انتصب واقفًا على الفور وسط ذهول الجنود من عدم تأثره بالطلقات ، لم يستغرق لحظات اندفع خلالها طارق يحطم رأس أقربهم إليه بقبضته، سحب سلاحًا صغيرًا من تسليح سترته و استدار حاملًا جسد الجندى يستعمله كدرع بشرى يتلقى عنه بضع طلقات ثم أطاح بجنديين بسلاح احطياتى صغير، ثم شرع يستدير للرابع فوجد فوهة بندقيته موجهة لجانب رأسه يشرع فى نسفها، قبل أن تقتلعه طلقة قوية من مكانه فيسقط دون حراك أعقبها صوت (لارا) عبر جهاز اتصال طارق قائلة .. لا داعى لشكرى

تبسم طارق وهو يتوارى خلف جدار البرج .. سأشكرك كثيرًا إذا ما أخبرتني بما ينتظرنى خلف هذا الجدار

- لا أرى شيئًا، المكان ظاهريًا خالٍ .

لم تكد تتم عبارتها حتى اندفع من خلف الجدار بسرعة خاطفة تجاه بوابة المبنى مباشرة تحمست على أثرها (لارا) وزادت من معدل طلقاتها تحصد جنود من فرقة الطوارئ مختبئين يحاولون اعتراض طريقه حتى بلغ بوابة البرج بنجاح وشرع يدخلها لكنه ارتد عنها بقوة طار لها جسده للخلف

وسقط يتدحرج أرضًا يثير موجة أتربة تحيط به، سعل مرتين فاشتعل ألم كاسح يحرق صدره لم يختبره من قبل، جثا على ركبتيه مشتتًا يتصاعد دخان من موضع الصدر فى حلته المقاتلة بعد أن اخترقتها القذيفة وأصابته، تحسس صدره الملتهب ، لقد تحملت خلاياه الضربة لكن طنين مزعج ملأ أذنه وحجب عنه الأصوات تمامًا .

لم يكن قد أدرك مصدر القذيفة بعد حتى برز من بوابة البرج أحد الروبوتات المقاتلة يبلغ طوله ثلاثة أمتار بهيكل معدنى متين قاسٍ وذراع تحمل مدفعًا ضخمًا وقويًا للغاية رصدته أعين طارق بصورة مهتزة ووعٍ مشوش، نهض واقفًا ، ترنح قليلًا ، ومن هوة سحيقة أتاه صوت لارا عبر جهاز الاتصال يصيح فى لوعه بعبارات غير مفهومة بدأت تتضح ويتصاعد الصوت تدريجيًا داخل عقله ، تحثه على الابتعاد عن مرمى نيران الروبوت

أعاد إليه الصوت شيئًا من الانتباه، انتزعه من غفلته فرصد مدفع الروبوات يوجه إليه استهلال لضربة أخرى ساحقة، انتزع نفسه و قفز جانبًا يتفاداها فى صعوبة، نهض يركض بقدر ما يستطيع ينشد الاحتماء بينما لارا تمطر الروبوت بطلقاتها تصيب قدمه ورأسه وعنقه اختل اتزانه لحظة، تتعثر خطواته، ثم يعاود التقدم دون أى خدش يصيب معدنه القاسى، فى اللحظة التى شارف فيها طارق على الوصول للجدار الجانبى ينشد الاحتماء فإذ به يصطدم بروبوت مشابه للأول يخرج من مكمنه يستقبل طارق بقذيفة أخرى انفجرت فى معدته وأطاحت به بعيدًا .

انخلع قلب لارا للمشهد وشرعت فى التصويب على الروبوت لكن سبابتها توقفت فوق زر الإطلاق ثم أبعدت عينيها عن منظار البندقية عندما شعرت بحركة خافتة خلفها مباشرة، شرعت فى الالتفات لكن فوهة بندقية مصوبة لرأسها منعتها من الحركة، رصدت خلفها بطرف عينيها ثلاثة

مسلحين اكتشفوا موقعها وحاصروها من الخلف عند حافة التبة، تركت بندقيتها من يدها بأمر من أحدهم ثم وضعت يداها فوق رأسها وتظاهرت بطاعتهم والجثو على ركبتيها، لكنها قفزت بغتة عبر الحافة تدور حول نفسها أفقيًا وهى تنتزع سلاحيها من جانبى السترة لتكتمل دورتها فى الهواء وتصبح فى مواجهتهم ثم تمطرهم بطلقاتها تحصد اثنين منهما ثم هوت من فوق التبة قبل أن تشعل المحركات النفاثة فى سترتها وتهبط أرضًا في نعومة، ركضت بعيدًا عن مرمى أشعة الثالث التي تلاحقها من أعلى و اختبأت وهي تلهث في انفعال، لتلاحظ حركة عن يمينها التفتت في بطء، لتكتشف أنها اقتحمت خط النار بالقرب من برج النيزك ، حيث جنود من فرقة الطوارئ يحيطون بها فى حذر، نفدت حيلتها، دارت ببصرها ترنو ببصرها تجاه طارق فوجدته يجاهد لينهض، نادته فى لوعة

- استعملها يا طارق، استعملها الآن

لكن صمم تام كان قد أصاب أذنيه وعقله فأغلقت منافذها إلى روحه منعته من استيعاب ما حوله، سعل عدة مرات فتناثرت الدماء من فمه، تحسس موضع معدته فاخترقت يده السترة الممزقة وتلوثت أصابعه بدماء طفيفة تشى باختراق جزئى لجسده

جاثيًا على ركبتيه تدور المشاهد من حوله أبصر لارا غير بعيد مكبلة من رجال فرقة الطوارئ تقاوم بعنف بلا جدوى تصيح له بشيء ما لا يدرى كنهه ، بينما عقله يسبح تجاه الظلام بسرعة كبيرة حتى أشرق خيط ضوء متمثل فى صوت رودشكا عندما سبق وأخبره أنـ ....

(خلاياك استنفذت طاقتها لكنها مازالت قادرة على امتصاص طاقة جديدة، سأمنحك الآن شحنة، وأهبك دفعة احتياطية محدودة متصلة

بسترتك القتالية بضغطة زر تتدفق فى جسدك إذا ما دعتك الضرورة القصوى لذلك الأمر مجرد نظرية، فأتمنى ألا تفعل، فأنت معرض لانهيار خلوى تام تسيل له أحشاؤك) .

كان الخدر يسرى فى جسده الذى راح يبرد متناقضًا مع حبات عرق نبتت على جبينه، رفع ذراعًا شعر أنه يزن طنًا ، وخلف عنقه فوق عموده الفقرى شرع يضغط زر يطلق طاقة يمتصها جسده ، لولا أنه شعر وكأن قطار دهسه والقى به عدة أمتار ودخان يتصاعد من ذراع سترته، مستلقي أرضًا بعد تلقيه قذيفة جديدة وقع بصره فى الأفق على الأبخرة تتدفق عبر فجوة لاحت عبرها سماء الأرض وقد اصطبغت بدورها باللون الأخضر، ثقلت عيناه وتراخى جسده، ثم غاب عنه ما حوله .

***

بين مجد الماضى وخيلاء الحاضر وترقب المستقبل جلس الإمبراطور فوق عرشه تدور من حوله الأمانى والآمال، الأطياف تغازل عقل انتشى بفخر انتصارات تحققت له، أغمض عينيه يستنشق هواء عظمتها فى خيلاء ثم فتحهما يعاود متابعة شاشة تنقل له سماء معركة خلت من أعدائه تساوت فيها حصونهم بالأرض وتناثرت جثثهم حولها وأسفلها، تحوم فوقهم مركبات جيشيه كنسور تترقب أكل جيف الموتى، أتاه صوت جارديان عبر جهاز الاتصال فى انفعال وثقة :

– تم نسف مركبة المتمردين الرئيسة جوًا ، حصنهم تساوت بالأرض ، شيخهم (لوشيان) تم أسره ونقله إلى مركبتى .. مولاى الإمبراطور .. لقد تم سحق المتمردين عن بكرة أبيهم .

ضرب الإمبراطور قبضة يده فى راحة الأخرى بعد إن انتقل إليه حماس جارديان :-

- أنت رائع جارديان ، احمل عتادك وقوتك الضاربة وعد لمدينتك فهوائنا يتم تنقيته عبر فجوة محمية إلى الأرض، وتحت سيطرتنا الآن العنيدة لارا، وذلك الغريب

انتهى الاتصال فنقل بصره لشاشة جانبيه تنقل له صوره طارق مجرد من سترته المقاتلة مكبل بالأصفاد فوق سرير معدنى غائب عن الوعى تمامًا يدنو منه طبيب من اثنين داخل القاعة يحيط صدره ومعدته وذراعه ضمادات طبية يعكف على فحص خلايا جسده الفريدة بينما الطبيب الثانى يراقب الفحوصات فوق شاشة، ضاقت عينا الإمبراطور يدنو من الشاشة أكثر يدقق النظر لذلك الطبيب الذى يدنو من طارق بمنظاره الطبى المتطور الذى يحيط بعينيه وقد راوده هاجس نفضه عن ذهنه وعاد للاسترخاء فى مقعده ، بينما الطبيب يحقن طارق بسائل مجهول ، لحظات وبدت حركات خافته تصدر عنه تشى باسترداد سريع لوعيه وما أن فتح عينيه فى تهالك حتى دنا منه الطبيب بزاوية تمنع كاميرات المراقبة من رصده يهمس له، فى عجالة:

- جسدك متهالك وضعيف، كيف أساعدك .

مرت لحظة حدق فيها طارق للطبيب وكأنه لا يعى من الأمر شيئًا، حتى بدأت المشاهد تتداعى على مخيلته أعادت إليه ذاكرة غابت عنه لحظات، هو يعرف هذا الطبيب بمنظاره الطبى، سبق وعاونه على الخروج ، والآن يعاود مساعدته فى مهمته، انتفض عند ذلك الموضع من تفكير عندما تذكر الخطة التى تعتمد عليه اعتمادًا كليًا :

- هل عاد جيش جارديان!

- اخفض صوتك، دقائق ويدخل المدينة، مهمتك على المحك، لكن كن على حذر فالسيد لوشيان فى مركبة القيادة مع جارديان شخصيًا.

لم يكن منبع فزع طارق هو سحق المقاومة فهى فكرته التى أراد أن يبثها للجميع، ليتوقع عودة جارديان للمدينة بكل قوته كنتيجة لانتصاره، لكن قلقه كان يكمن فى عدم تمكنه من تنفيذ الجزء الخاص به ، أساس العملية بأكملها.

- أريد الجهاز المعلق فى عنق السترة

- جهاز بث الطاقة ! خلاياك حالتها سيئة ستنـ ..

- أريده الآن

نظرًا لإصرار طارق أومأ الطبيب برأسه موافق ثم رنا ببصره حيث سترة طارق المقاتلة مكومة فى ركن القاعدة يطل من وسطها جهاز بث طاقة، التفت لكاميرات المراقبة ، علم أن أمره انتهى لقد تم كشفه على أية حال ولكن الأمور على المحك، لا مزيد من التخفى .

أمسك ذراع جهاز طبي وهوى بها على رأس الطبيب الثانى ثم هرول يحضر الجهاز يثبته على عنق طارق من الخلف، ثم ضغط الزر وتراجع يتابع بقلب متواثب طارق يغمض عينيه فى ألم يتلوى ويتقوس جسده يتشنج ثم تهمد حركته، شرع الطبيب يتفحص جسده فى قلق حذر لولا أنه انتفض عندما استفاق طارق بغتة ينهض جالسًا يشهق وكأنه عاد من الغرق، بقى يلهث لحظات، ثم انتزع قيود معصمه وساقيه ونهض فى عجالة يسأل الطبيب

- أين أجد غرفة التحكم بالقبة والنيزك، وأين أجد لارا!!

- القبة أولًا أيها الغريب؛ قوات جارديان على أعتاب المدينة، ثم بعدها يمكنك اقتحام برج النيزك ، ثم تجد (لارا) في القصر الإمبراطوري .

ثم أضاف، محذرًا بشدة:

- مركبة القيادة الأولى تقل لوشيان، فاحذر ذلك .

ثم أقرن قوله بمناولته لوحة الكترونية يرتسم فوقها خريطة ومسار يوجهه داخل المبنى إلى عدة أهداف حيوية مرتبة وفقا للأولويات وهو يعاونه على ارتداء حلة قتالية جديدة، بينما يتصاعد فى الخارج صوت خطوات ثقيلة تقترب، هتف له الطبيب في قلق :

- اكتشفوا أمرنا إنه روبوت، اعبر من ذلك المخرج واتبع خط السير المُخزَّن باللوحة .

- سأتصدى له !!

- وفر طاقتك أيها الغريب فإن لم تتم مهمتك بتنا جميعًا فى خبر كان.

تردد طارق لحظات ثم ركض عبر بوابة خلفية، في اللحظة التى هرول فيها الطبيب وقفز مختبئ أسفل الفراش المعدنى فى اللحظة التى انتزع فيها الروبوت الباب يطلق قذائفه الكاسحة تنسف كل شيء، حتى الجدران والأعمدة في وسط القاعة، ليتشقق سقف القاعة بعد سحق أعمدتها، وتتهاوى معه عدة صخور، ثم يتهاوى السقف نفسه فوق أرضية القاعة، منطبقًا على كل من فيها .

وداخل البلاط الإمبراطوري جلس الإمبراطور غير مصدق ما تنقله له كاميرا الرصد من معاونة ذلك الجاسوس لطارق بل كيف تم ذرع جاسوس رفيع المستوى على هذا النحو بينهم من الأساس؟!

حدج لارا الفاقدة الوعى أرضًا بنظرة حاقدة بعد أن أحضرها له جنود فرقة الطوارئ، ثم تابع قوات جيشه كاملة من مركبات، وآليات، وروبوتات محمولة جوًا تحمل مخايل النصر تتهيأ لدخول المدينة والسيطرة على مقاليد الأمور، تتقدمهم مركبة جارديان

يطمئن نفسه أن هى إلا لحظات وينتشر جيشه فى المدينة الخاوية يسيطر على كل صغيرة وكبيرة .

لكن أبى القدر أن يمنحه لحظة انتصار واحده فانطلقت بغتة صفارات الإنذار تدوى فى المدينة للمرة الثانية فى ليلة واحدة ، أدار الإمبراطور فى توتر كاميرات المراقبة فنقلت له طارق يرتدي سترة قتالية، كاشفًا عن رأسه، يركض بين الأروقة وكأنه يعلم هدفه عندما اقتحم قاعة التحكم في قبة الطاقة حول المدينة، فزع من بداخلها ونهضوا من مقاعدهم يتراجعون فى رعب، التفت طارق لشاشة الرصد تعرض صورة قبة الطاقة مفتوحة تستقبل جيش جارديان بالكامل يدخل المدينة بسرعة كبيرة للغاية، بعد علمهم بانطلاق صفارات الإنذار بالداخل .

ضاقت عينا الإمبراطور ثم وجم وسهم يتمنى من كل قلبه أن يغدو توقعه خاطئ، تشكل فوق لوحة طارق شكل سريالي لجهاز التحكم بالقبة وراح جزء بعينه يومض التفت إليه طارق فوق الجهاز

ثم اتجه مهرولًا ناحيته يبحث عن قابس محدد، يلتفت من حين لآخر إلى الشاشة التي ترصد قوات جارديان، والتي أصبحت على بعد أمتار من حدود المدينة، وضع طارق راحة يده فوق أحد الأزرار الكبيرة، وهو يغمغم بعد عبور مركبة جارديان للحدود قائلًا:

- لولا أن لوشيان معك، لسحقتك أيها اللعين .

ثم أعقب قوله بضغط الزر، لتتشكل القبة في سرعة وتنغلق أمام قوات جارديان المندفعة بسرعة ساحقة، انخلع قلب الإمبراطور وهو يتابع الصورة على شاشات الرصد يهتف بهلع:

- لاااااااااااااا

إلا أنَّه لم يجد مجيبًا سوى دوي الانفجارات المتتالية لمركبات وقوات المدينة بجميع حشودها وتسليحها، وهي تصطدم بكامل سرعتها بقبة الطاقة، وتنفجر واحدة تلو الأخرى، لتتساقط كالذباب مشتعلة خارج المدينة، في مشهد انخلع له قلب الإمبراطور، واتسعت له عينا جارديان وهو يهتف في ذهول:

- يا للشيطان!

أعاد طارق فتح القبة من جديد لغرض أخر كان يعلم أن الهواء الملوث سيدخل المدينة ولن تقوى المرشحات على احتوائه لكن من يهتم الآن والأمور على المحك، هوى بقبضته على جهاز التحكم فسحقه سحقًا ثم التفت للعلماء المرتعدين، انتفضوا لنظرته المحذرة ، ثم انطلق راكضًا عبر الرواق الداخلي، وهو يخرج اللوحة الإلكترونية التي ارتسم على شاشتها مسار هدف حيوى ثان بدت بوابته فى نهاية الرواق ، فحطمها بقوة أورثته إياها طاقة تفيض فى عروقه ، أطلق بعضُ الجنود المتحصنين بالداخل أسلحتهم، إلا أن أعينهم اتسعت في هلع، عندما تحرك طارق بسرعة رهيبة وكأنه ظهر وسطهم من العدم يقتلعهم ويصرعهم بقبضته واحدًا تلو الآخر، ثم يلتفت إلى جهاز آخر حدده له الطبيب في مساره على شاشة اللوحة اخترقه بقبضته ثم قبض على حزمة من الأسلاك ومزقها تتقاذف الشرارات الكهربية من حوله .

وفي القاعة الملكية، اعتصر الإمبراطور مقبضي عرشه بيديه حتى كاد يخلعهما في غضب عارم، وهو يشاهد طارق يتلف أجهزة المراقبة والتصوير.

وأمامه انطفأت جميع الشاشات، وتحول الجميع إلى عميان يتحركون دون هدى، ولا هدف، لا يعلمون حتى أين خصمهم .

دلف جارديان في هذه اللحظة إلى القاعة الإمبراطورية، وعلى وجهه ارتسمت أعتى أمارات التوتر والهلع، بصحبة اثنين من جنوده يدفعان لوشيان أمامهم .

ضاقت عينا الإمبراطور وقد نسى ما يمر به عندما تلاقت مع عيني لوشيان في نظرة صامتة تقلبت معها فيض من ذكريات سنوات عديدة خلت ارتسمت لها ابتسامة متشفية يقول بعمق السنين.

- مضى زمن بعيد أيها الشيخ منذ أن التقينا وجهًا لوجه .

ابتسم لوشيان في تحد قائلًا:

- نعم أيها الإمبراطور الزائف، لم نلتقِ منذ أن خنتَنا وغدرت بنا، بعد كل ما بنيناه معًا

قطب (سلوفير) جبينه في غيظ هاتفًا:

- أنت من اختار أن يقف إلى جانب الضعفاء يا لوشيان خيرتك بين البقاء داخل المدينة، فاخترت البقاء خارجها مع الرعاع، وها أنت ذا تعود ذليلًا أسيرًا، وسوف تطلب مني الغفران لأصفح عنك، ولن أفعل .

ابتسم لوشيان في تحد قائلًا:

- الغفران سوف تطلبه أنت يا إمبراطور الحمقى، عندما أسلمك بيدي إلى هؤلاء الذين وصفتَهم بالرعاع، واعلم يا سلوفير أن الآلاف من بنى جنسك الذين تركتهم للموت ستلاحقك أرواحهم حتى فى قبرك .

ثم أكمل، وقد ازداد صوته عمقًا وقوة:

- وسيمزقك من تبقى منهم الآن بعد اجتياح المدينة وسقوط جميع قواتك خارجها!

تهاوى الإمبراطور فوق عرشه، وكأن رؤيته للوشيان مقيدًا أنسته الموقف المشتعل بالخارج، التفت إلى جارديان الذي شد قامته قائلًا:

– سوف أحشد كل جندي وروبوت مقاتل داخل المدينة يا سيدى سوف نجهض محاولتهم فى لحظات.

ثم دار على عقبيه، وانصرف على الفور؛ لينفذ ما وعد به إمبراطورَه .





الفصل الثاني عشر

تدافع الجميع داخل الميتيروتاور في تخبط على غير هدى، وسط دوي صفارات الإنذار بعد نبأ سقوط كامل قواتهم خارج المدينة، يتابعون ببصرهم مركبة ضخمة للغاية عبرت قبة الطاقة المفتوحة، لتهبط ببطء وثقة داخل المدينة، وتنفتح أبوابها، ليتدفق منها جنود المقاومة بقيادة أورالتس الذي خرج بأنفاس مبهورة، تدور عيناه في أرجاء المدينة بتأثر وهو يغمغم:

- أخيرًا!

اصطف الرجال أمام مركبتهم التى كانت مخفاة بمهارة وسط وادى منخفض بين الصخور يتوافد إليها الجنود سرا من كل صوب بعد قفزهم من طائراتهم وتركها تنفجر جوًا على نحو خدع جيش جارديان ودفعة للعودة معتقدًا فى النصر.

وقف اروالتس فى اعتزاز أمام جنوده المصطفة قائلًا بصوت جهورى مفعم بالحماس :

- إننا على أعتاب التخلص من الظلم والأنانية والتكبر، لحظة سقوط طاغية ارتضى وأباح دماء ذويه، اجعلوها لحظاتك عمركم التاريخية، لحظات ستتوارث قصتها الأجيال من بعدكم، اجعلوها لحظات فارقة في تاريخ ريون.

أعاد أورالتس توزيع المهمات فيما بينهم، فانطلقوا في فرق صغيرة إلى عدة أهداف حيوية، في محاولة للسيطرة على المدينة التي حشد جارديان كل ما تبقى فيها من جنود و روبوتات مقاتلة متطورة للغاية ومخصصة لحمايتها، وقسمها أيضًا إلى فرق، يقود بنفسه فرقة خاصة وسط المدينة، متوجهًا بها لحماية مبنى الميتراتاور حيث غرفة النيزك، الذي كان هدف طارق الثالث والأخير بعد أن وفي بوعده، ونفذ خطته، وساعد قوات المقاومة في اختراق المدينة وبقي أمر واحد؛ هو أن يتلف مصدر طاقة الثغرة لينقذ عالمه .

ألقى باللوحة التي حطم كل الأهداف المرتسمة فوق شاشتها، ثم حانت منه التفاتة إلى أعلى تجاه الثغرة، ليخفق قلبه في هلع مما رآه عبرها على الجانب الآخر، لينطلق راكضًا في محاولة لبلوغ المتيراتاور في أسرع وقت، تباطأت سرعته عندما تناهى إلى مسامعه صوت الإمبراطور شخصيًا يدوى فى المدينة عبر مكبرات صوت منتشرة، يهدد المقاومة، ويطلب منهم الاستسلام خلال دقائق وإلا سيقتل زعيمهم لوشيان ومعه (لارا) اللذيْن وقعا في قبضته.

توقف طارق للحظات ساخطًا في تردد، وعبارات التهديد من الإمبراطور تتكرر وتدعوهم للاستسلام على الفور.

لم يكن يدري أي الأهداف يختار: إنقاذ عالمه الذي يسقط فيه في كل لحظة تمر أبرياءُ جدد، أم يعود إلى (لارا) و لوشيان اللذيْن يهدد الإمبراطور بقتلهما خلال دقائق إن لم يستسلم له الجميع ليأتيه صوت أورالتس -لأول مرة- عبر جهاز اتصاله يناديه باسمه، قائلًا:

- سيد طارق، دع أمر برج النيزك لنا فنحن قريبون منه للغاية، أعدك أن نغلق الثغرة إلى عالمك .

لاحت ابتسامة باهتة على وجه طارق، وهو يجيب أورالتس قائلًا:

- حسنًا سيد أورالتس، أنا أثق بوعدك .

ثم التفت يركض بكل سرعته تجاه القصر الإمبراطوري للحاق بلوشيان و(لارا)، تاركًا أورالتس يتوجه مع فرقته الصغيرة إلى الميتراتاور، ليقتحموا بوابته شاهري أسلحتهم، متلفتين حولهم يتقدمون في حذر عبر ساحة ضخمة تستقر في نهايتها قاعة النيزك، تقدمت الفرقة تجاهها في حذر، إلا أنَّه لم يكد يبلغ منتصف الساحة الخارجية مع فرقته، حتى برزت فجأة أربعة روبوتات متطورة من أماكن متفرقة، وحولهم برز بضعة جنود، ثم ظهر بعدهم جارديان يبتسم في تشفٍ قائلًا على نحو مسرحي:

- أوراااالتس، هل اعتقدت حقًا أنك ستدخل مدينتنا وتسيطر عليها بهذه السهولة!

ضاقت عينا أورالتس في غل، قائلًا:

- إن لم تخني الذاكرة، كما خنتنا أنت جارديان، فإن المدينة وكل بقاع عالمنا ملك الجميع لقد سلبتم هؤلاء أبسط حقوقهم؛ لقد سلبتموهم حقهم في الحياة .

- وأنت ماذا أعطيتهم، أيها الهمام؟!

- أعطيتهم أملًا جديدًا في الحياة، أملًا يقاتلون من أجله.

كان أورالتس يتحدث لكسب المزيد من الوقت، وهو يدرس الوضع حوله بعد أن رصد بعينيه الكمين المحكم الذي سقطوا فيه كان يعلم أن الأمر سيكون مذبحة لجنوده لوقوفهم في مكان مكشوف، محاطين بقوات جارديان الذي ارتفعت ضحكته وهو يقول:

- ما زلت مثاليًا يا صديقي؛ وهذا هو مصدر ضعفك .

ثم أضاف، مشيرًا إلى قواته بتصفيتهم، وهو يضيف:

- وسبب موتك أيضًا!

***

سرى توتر شديد داخل القاعة الإمبراطورية الضخمة، والتي يجلس مقيديْن -قرب درجاتها الهرمية المستقرِ على قمتها عرشُ الإمبراطور - كلٌ من لوشيان و(لارا)، تحيطهما حراسة عدة جنود متحفزين وعلى عرشه جلس الإمبراطور، في توتر لم يشهد له مثيلًا من قبل، يراقب بوابة القاعة الفولاذية من الداخل، والتي يقف خارجها ثلاث روبوتات أصغر حجمًا من سابقتها، إلا أنها أكثر تطورًا، وفى غاية القوة، متأهبين لسحق أي بعوضة تمر أمامهم .

وبالخارج، ومن زاوية ضيقة، رصد طارق بعينيه تلك الروبوتات المختلفة التي وقفت أمام البوابة دون أدنى حراك، وكأنها قُدّت من صخر.

هو يعلم أنها بمجرد اقترابه ستتحرك وتبرز خطورتها، ورغم ذلك خرج من مكمنه غير مبالٍ بتوهج أعينهم استعدادًا للفتك به بسلاح يشبه السيف القصير فى أحد أيديهم ومدفع إشعاعي مرفق باليد الأخرى .

زاد من سرعته بغتة تجاههم، ثم تدحرج جانبًا وهب يركض في سرعة كبيرة، قفز إلى أعلى، ثم مال جانبًا متفاديًا وابلًا من الأشعة الحارقة تنفجر خلفه، ثم قفز فوق رؤوسهم متجاوزًا ثلاثتهم، ليهبط خلف آخرهم فالتفت الروبوت يتابع تحرك طارق يهوى عليه بسلاحه الشبيه بالسيف المتوهج، ليميل طارق جانبًا، تاركًا يد الروبوت تمر أمامه، ليكمل السلاحُ طريقَه ضاربًا الأرض، فيخطو عليه طارق بإحدى قدميه، ويقفز متعلقًا بعنق الروبوت الذي تخبط قليلًا يحاول الوصول بسلاحه لطارق، لم يضيع كثيرًا من الوقت

فضم قبضته وهوى بها على مؤخرة عنق الروبوت من الخلف، اخترقت قبضته المعدن الخارجي، ووصلت إلى الدوائر الإلكترونية الذكية بالداخل، قبض عليها وانتزعها بقوة، ثم يهبط أرضًا يحيط خصر نفس الروبوت بيديه، ويدور به في مواجهة الروبوت الثاني يتلقى عنه قذائف عديدة اصطدمت بجسد الروبوت المعطوب ودفعتهما معًا للخلف ، نهض طارق وهو يحمل الروبوت المعطوب ويلقى به نحو الروبوت الثالث ، فمال جانبًا يتفاداه بخفه فى اللحظة التى أطلق فيها الروبوت الأول قذيفة ساحقة أطاحت بطارق وصدمته بالجدار ثم ارتد عنها بقوة فسقط مضعضع الكيان والروح تدحرج أرضًا يتفادى ضربة سيف كادت تفصله نصفين، نهض يتراجع بلا مأوى وكأن ذكاء الروبوتين قد ارتفع محاكاة للواقع الجديد، فتحركا مبتعدين عن بعضهما يرفعان أسلحتهما في مناورة غاية في الذكاء، وأطلقا قذائف مدفعيهما على طارق الذي لم يتوقع هذه المناورة السريعة للغاية من مجرد ربوت، قفز جانبًا متفاديًا إحداها لتصيبه الأخرى في ضلوعه سقط فى ألم من جديد، قدر الطاقة الذى وهبه له لوشيان كان ضئيلًا خوفًا عليه من الانهيار الخلوى لذا باتت على وشك النفاد ،

نهض من جديد يستعد للهجوم لولا أن الروبوتين تحركا بخفة يغيران مواقعهما طول الوقت ثم انقضا بسيفهما على طارق ، تفادى أحدهما ومزق الأخر سترته المقاتلة واخترقتها تحدث جرح قطعى فى فخذه ، تراجع له فى ألم يشعر بدماء دافئة تسيل من قدمه تشى بخطورة قصوى، جهاز لوشيان استفز طاقته، لن ينجو من قذيفة جديدة، دوار عنيف يغشى حواسه، ومرارة تصاعدت لفمه، شعر بأحشائه يتم اعتصارها عصرًا، سعل فتناثرت الدماء من جديد ، الانهيار الخلوى أصبح قاب قوسين، لكن بدا واضحًا أن القدر لن يمهله وقتًا للوصول لتلك المرحلة، فحياته أيضًا على المحك،

رصد الروبوتين يغيرا موقعهما ويقتربان فى مناورة أخيرة، رفعا مدفعيهما استعدادًا لسحقه، فى مأزق لم يحلم به فى اسوأ كوابيسه.

مأزق لا يختلف عن مأزق أورالتس الذي لمح إشارة جادريان لقواته ببدء الهجوم على فرقته المحاصَرة وسط الساحة الواسعة بأربعة روبوتات، وعدة جنود متحفزةٍ بأسلحتها.

صاح لهم اورالتس بغتة فتفرقوا فى اتجاهات مختلفة يطلقون طلقاتهم بغزارة تجاه جارديان وجنوده يقتربون منهم تدريجيًا، إلا أن قذائف الروبوتات حصدتهم سريعًا فسقطوا واحدًا تلو الآخر فلم يشتبك مباشرة معهم سوى عددٍ قليل أبدى بسالة نادرة مع أورالتس الذي ركض في خط متعرج، يطلق طلقاته بكثافة ودقة سقط لها عدة جنود ثم ينزلق أرضًا على ظهره مستغلًا الأرضية الملساء ليمر بين ساقيْ أحد الروبوتات، يمطره بأشعته أثناء عبوره، ليترنح الروبوت قليلًا ثم يسقط معطوبًا، هب أورالتس واقفًا خلفه يقفز قفزة يدور بها حول نفسه رأسيًا، مر بها من فوق روبوت آخر، وهو يطلق أشعة سلاحه في تلاحق على رأسه من أعلى، ليهبط على الجانب الآخر، متلقيًا دفقة أشعة في كتفه اخترقت سترته القتالية وأصابته بجرح عميق تحمله في قوة، وعاد يطلق أشعة السلاح راكضًا، يشق لنفسه طريقًا تجاه بوابة غرفة النيزك المنشودة، وسط تساقط جنوده من حوله وإصابة من تبقى بإصابات بالغة، فجر رتاج قاعة النيزك الإلكتروني وشرع فى اقتحامها قبل أن يتلقى طلقة فى ظهره أسقطته على ركبتيه في ألم بالغ، ليأتي صوت جارديان من خلفه يستعد لإطلاق طلقة أخرى، قائلًا:

– مازلت شجاعًا يا أورالتس، كنا سنصبح قوة لا تقهر لو وضعت يدك في يدي، بدلًا من أن تتم تصفيتك مع جنودك على هذا النحو !

تحامل أورالتس، وهو ينهض مستندًا إلى بوابة الغرفة، يختلس نظره داخلها إلى تلك الأسطوانةِ الشفافة التي تحيط بالنيزك وتتوهج بضوء أزرق مبهر، وإلى تلك الوصلاتِ التي تمد المدينة بطاقة النيزك، ثم مسح بيده خيطًا من الدماء سال من بين شفتيه، قائلًا بصوت حاول جعله قويًا:

- أُفضِّل الموت عن أن أضع يدي بيدك أيها الخائن .

- سوف تموت يا أورالتس!

أومأ أورالتس برأسه إيجابًا، وهو يجاهد ليبتسم قائلًا:

- أعلم هذا، ولكن ليس قبل أن أفي بوعد قطعته لذي فضل علينا جاء من عالم آخر، قلب الأمور رأسًا على عقب وجعلنا نمزق أستار خوفنا منكم.

قطب جارديان جبينه في تساؤل، لتقع عينه على يد أورالتس التي قبضت على قذيفة شديدة التدمير، فهم منها المقصد عندما دفع أورالتس نفسه دفعًا يقفز داخل الغرفة، ملقيًا القذيفة تجاه أسطوانة النيزك، في لحظة تلقيه العديد من طلقات جارديان الذي أطلقها بهستريا من سلاحه فى محاولة يائسة لإيقافه، لتخترق جميعها جسد أورالتس، بعد أن ألقى القذيفة التي استقرت جوار الأسطوانة للحظاتٍ صرخ فيها جارديان وهو يتراجع، هاتفًا:

- لاااااااااااا

إلا أن صرخته ضاعت وسط دوي انفجار شديد التدمير أطاح بأسطوانة النيزك، والنيزك نفسه، بل وبالقاعة بالكامل ليطير جسد جارديان عدة أمتار نحو الساحة الخارجية، ويسقط أرضًا وسط ألسنة لهيب زرقاء امتدت لبضعة أمتار ثم انحسرت، بعد دمار مصدر طاقة المدينة عن آخره

***

إنها آخر أوراقنا يا سيدي إذا ما فشلت، فليرحمنا

نطق بهذه العبارة أحد ضباط غرفة العمليات التي تشرف على كارثة الإسكندرية التي حاق بها دمار غير مسبوق، وتحولت إلى مدينة أشباح، بمنازلها المتهدمة، والظلام الذي بدأ يزحف على شوارعها بعد تراكم السحب الخضراء في سمائها مع بدء الاستعدادات لإجلاء المحافظات المصرية المجاورة، وسط اهتمام عالمي غير مسبوق، توافد على إثره وزراء دفاع عدة دول كبرى؛ يبحثون سبل التعاون المشترك للسيطرة على الكارثة التي تحميها مركبة لا قِبَل لهم بمواجهتها، في اجتماعات مطولة توصلوا فيها إلى محاولة جديدة تضافرت لها كل قوى العالم قد تمكنهم من السيطرة على الوضع عندما اقترحوا إرسال أحد جنود القوات الخاصة -بعد تدريبه تدريبات محددة، وسريعة، ومكثفة- بزي خاص مصقول وخوذة معدنية متصليْن بالكامل بجهاز صغير يصدر ذبذبة قصيرة حادة للغاية، بإمكانها معادلة ذبذبة غلاف المركبة لتساعده في اختراقها، ثم تثبيت قذيفة شديدة التدمير أسفلها

كانت مهمة انتحارية بكل معنى للكلمة، مهمة قد تكون ذهابًا بلا عودة، اقترب الجندى من المركبة بزيه اللامع، وسط أجواء من الظلام متشحًا بالأخضر القاتم الكئيب، ليغيب للحظات داخل الأبخرة الخضراء، وهو مازال يتحدث إليهم عبر اللاسلكي المثبت داخل خوذته يبلغهم أنَّه يقترب من الجدار، ثم بدأ في اختراقه و ...

تأوه في ألم بالغ، وهو يتحدث بصعوبة قائلًا:

- يا إلهي! أشعر بألم مبرح وكأن عظامي تتفتت! لكنني سوف أكمل .

ازداد صوته حشرجةً واختناقًا و...

- انظروا! الفجوة تضيق!

نطق أحد الضباط المسئولين عن المراقبة بهذه العبارة، مشيرًا إلى شاشة الرصد التي نقلت تلاشي الفجوة بسرعة كبيرة وأمام شاشات رصدهم، ارتبكت مركبة البعد الخامس قليلًا، ثم أشعلت محركاتها في محاولة لعبور الفجوة قبل انغلاقها؛ إلا أن مبادرتها جاءت متأخرة للغاية، عندما انغلقت الفجوة قبل اكتمال عبورها، لتنشطر المركبة إلى نصفين، ويسقط نصفها أرضًا ينفجر بدوي هائل، أعقبه اندفاع عاصفة من الغبار لعدة كيلومترات، وألسنة اللهب تتعالى في السماء، في مشهد بقدر ما يحمله من معنى الخلاص وانتهاء الكارثة بقدر ما أصابهم بصمت مطبق ومهيب وفي عقولهم سؤال واحد:

ما الذى يحدث على الجانب الآخر

❋❋❋

ارتجت الأرجاء بقذيفتين ساحقتين أغمض لهما طارق عينيه لحظة واحدة فى سلام من يرحب بالموت لولا أنه تأخر عليه، فتح عينيه فأبصر وهج أزرق ساطع يهبط من أعلى و يسحق الروبوتين ويبخرهما فى ثوان إلى فتات منثورة أخفى لها طارق وجهه بذراعيه بينما يغشى عيناه وهج مبهر ثم راح يخبو تدريجيًا، وسط دهشته البالغة التي بددها صوت رودشكا عبر جهاز الاتصال، قائلًا في تأثر:

- لك كل التقدير يا بني؛ وعدتنا، فوفيت، وأعطيتنا فرصة أخرى حتى أعددنا سلاحنا .

صمت طارق لحظات يستوعب الأمر ثم غمغم .. فى الوقت المناسب.

ثم هتف في لهفة وضعف متسائلًا:

- رودشكا، أورالتس لا يجيب على جهاز اتصاله كيف صار الأمر معه في المتيراتاور؟

تنهد رودشكا في أسى، قائلًا:

لا تقلق يا بني، أورالتس مقاتل قوي وعنيد، يفي بوعوده أيضًا مثلك، ولكنه لن يستطيع إجابتك

- يا إلهي! هل ....؟!

بتر طارق عبارته، ليكمل رودشكا:

- قطع مصدر الطاقة قبل أن يسقط مع رجاله، الكفة رجحت لنا الآن بعد تمام إصلاح السلاح الذي أعطيتنا الوقت لإتمامه، نحن الآن نسحق به الروبوتات التي تجوب المدينة بالخارج، كما فعلنا الآن أمامك، وجارٍ تجميع ما تبقى من جنودنا لاستعادة السيطرة.

تنهد طارق فى راحة وتأثر ثم التفت لبوابة القاعة الإمبراطورية المعدنية الضخمة وخطا تجاهها يغمغم :

- أصبحتَ وحيدًا أيها الإمبراطور!

ومن داخل القاعة الإمبراطورية حيث درجات هرمية يستقر فوقها عرش إمبراطور يحمل توتر وخوف الكون، ألقى نظرة على لوشيان ولارا المقيدين أرضًا يستمد منهما ما تبقى له من ثقة ، مع بعض جنود انتشروا فى القاعة فى تأهب وقلق بالغ هم خط دفاعه الأخير ، الذى اهتز وتواثبت قلوبهم عندما تلقت بوابة الدخول المعدنية دفعة قوية انفرجت على أثرها قليلًا ثم مرت عليهم لحظات كالدهر حتى أتتهم الدَفعة الثانية أطاحت بالبوابة

ومعها انقبضت أعصاب الجنود تعتصر أزندة مدافعهم فانطلقت عشرات الطلقات والقذائف الثقيلة بدافع من الخوف انفجرت جميعها عند البوابة،

ثارت لها سحابة من الدخان والغبار فتوقف الجنود عن الإطلاق بعد تفريغ شحنة توترهم للحظات ظنًا منهم فى نصر غير مؤكد سرعان ما تبدد وثبت خطأهم عندما برز من وسط الدخان روبوت تابع لهم أثار دهشتهم وترددهم للحظات سرعان ما انتبهوا للخدعة عندما برز طارق من وسط الغبار يحمل الروبوت المعطوب بعد أن اتخذه كدرع معدنى متين صد عنه هجمات الجنود، ثم مقتضبًا مغبرًا تلوثت سترته بالدماء مع ثقوب عديدة حاقت بها إثر الطلقات بدا معها كأحد أبطال أساطير الإغريق بالأزمان الغابرة، في مشهد وقع له قلب الإمبراطور في قدمه كمن يشاهد أسطورة متحركة، ترددت أنفاس لارا فى تأثر وسعادة غامرة، تبسم لوشيان فى ثبات و ثقة من صدَق ظنه وراهنه على جواد رابح.

ألقى طارق بالروبوت بكل ما تبقى له من قوة فأطاح ببعض الجنود ثم استقر متحطمًا أمام عرش الإمبراطور الذى حدق له لحظات ثم صاح فى فزع بالجنود المأخوذين ينتزعهم من الذهول يدفعهم لقتل طارق ، تفرقوا وصوبوا وشرعوا يمطرونه بنيرانهم، فى ضعف وتهالك وجرح ساق ينزف ضم طارق قبضتين وشرع يقاتل من جديد لولا وجدهم خفضوا أسلحتهم فى تردد وارتباك أثار دهشته هو نفسه يتطلع لقبضته التى أخافتهم، لكنه شعر بتحركات من خلفه، التفت فإذا هو ما أثار خشية الجنود متمثل فى ضباط المقاومة يتدفقون داخل القاعة فى أعداد كبيرة مسلحين وخطرين بعد أن سيطروا على مقاليد المدينة بالكامل بمعاونة سلاح رودشكا الليزرى

تراخت قبضة طارق ثم حث الخطى ينحنى جوار لارا ولوشيان يحل وثاقهما بمعاونة أحد الضباط ، بينما عينا لارا لا تغادر قسمات وجهه غير مصدقة ما ترى ، كانت تحلم مع لازاروس باقتحام المدينة، شعرت الآن

أن أحلامها تتجسد، هو ليس لازاروس لكن قلبها لم يعد يعبأ، لقد زال حاجزها النفسى تجاهه للأبد واندفعت مشاعرها من خلفه تتدفق دون رادع ، التقط أناملها بعد أن عاونها على النهوض ، تلاقت أعينهما فى حديث صامت و متجانس دون حاسوب طائرة ....

- لم ينته الأمر بعد!

وثب جارديان عبر باب القاعة المحطم تغطى الدماء نصف وجهه وإصابات عديدة حاقت به من جراء الانفجار لكن طاقة من الكره والحقد دفعته لحمل سلاح قوى وإطلاقه نحو لارا وطارق في مبادرة انتقامية سريعة باغت بها الجميع ، لولا أن أزاح طارق لارا جانبًا عن مرمى النيران سقطت لارا أرضًا واقتلعت القذيفة جسد طارق بعد أن أصابته فى عنقه ودفعته أرضًا تصطبغ سترته ببقعة دماء جديدة، علم جارديان أنه استهلك عنصر المفاجأة عندما التفتت له عشرات البنادق تهتك جسده بعشرات الثقوب وتطيح به مدرجًا فى دمائه أرضًا بلا حراك

هرولت لارا فى لوعة تجثو جوار طارق ترفع رأسه بكف يدها فى لوعة تهتف باسمه فى مرارة ، تفحص دماء سالت من عنقه لا تتناسب مع موضع إصابته بقذيفة كهذه لكنها كانت كافية لتشي بأنه فقد غالبية تحصينه الجسدى وصار جسده نحو انهيار محقق، تحامل عليها وجلس انحنى لوشيان يشد على كتفه يعينه على النهوض بصعوبة ارتعشت شفتا طارق الزرقاوين بابتسامة فى وهن على وهن وبصوت مختنق حاول طمأنتهم لولا أنه ترنح ودارت رأسه.

كان الجميع قد انشغل عن الإمبراطور الذي فقد أي أمل في النجاة، وعلم أن سلطانه وحكمه سقطا بلا شك، مما جعله يعبث ببعض الوصلات جوار عرشه في حذر التقطته أعين طارق برؤية مشوشة ، فتمتم له قائلا :

- إلى أين؟!

انتبه الجميع وصوبوا له بنادقهم فتوقف الإمبراطور يهتف :

- ماذا تريدون؟! ألم تحصلوا على مرادكم؟!

ثم ارتفعت لهجته في هيستريا، مكملًا:

- ألم تحصل على مرادك يا لوشيان؟!

صمت الجميع عندما تقدم طارق فى ترنح يصعد الدرجات المؤدية للعرش يسيطر عليه غضب جامح ، قائلًا في اقتضاب واهن :

- يدك ملطخة بدماء الكثيرين أيها المتغطرس، من رجال بني وطنك، ووطني، هل تعتقد أنك ستنجو؟ !

نظر إليه الإمبراطور في تحد، وهو يقول:

- هل تعتقد أنت أن الأمور بهذه السهولة أيها الغريب؟!

بينما الإمبراطور يتحدث كانت يده تعبث بأزرار فى ذراع عرشه بدأ على أثرها أنبوب شفاف يهبط من أعلى يحيط به وهو يكمل قائلًا:

- سوف أذهب إلى بعد آخر ؛ أستعيد قوتي وسطوتي، ولسوف أجدك حتى لو ذهبت إلى الجحيم ذاته!

أعقب قوله بضغط زر إنهاء عملية النقل، ولكن ثقته اهتزت كثيرًا عندما لم يتسجب له الجهاز، أعاد الضغط عدة مرات دون جدوى .

صعد طارق آخر درجتين وعلى وجهه الشاحب لاح شبح ابتسامة هازئة مريرة :

- كاميرات الرصد لديك توقفت فنسيت أن أخبرك بأن السيد أورالتس ضحى بنفسه بعد أن أوقف طاقة أحجاركم!

ثم ضم قبضته، وهو يستجمع كل ما تبقى له من قوة، ليهوي بها على الأنبوب الشفاف، يخترقه ويقبض على عنق الإمبراطور داخله، وهو يكمل:

- حتى طاقة أنبوبك السخيف هذا!

ثم أعقب قوله بأن جذب الإمبراطور مهشمًا بجسده جدار الأنبوب من الداخل، ثم ألقى به خلفه، ليسقط متدحرجًا فوق سلم عرشه عند قدم لوشيان بوجه دامٍ، هرع إليه رجال المقاومة يمسكون به في غلظة ويقيدونه ثم اصطحبه اثنانٌ من الجنود إلى الخارج .

أغمض طارق عينيه وقد استبد به الإعياء وصار يعتصر روحه وينشر الخدر فى جسد بات على شفا الانهيار، شعر بيد لوشيان توضع على كتفه فالتفت له عندها انتبه أنه يقف منفردًا فوق درجات عرش الإمبراطور بينما الجنود يحنون له رؤسهم هيبة وتبجيلًا، تبسم لوشيان فى تأثر قائلًا:

- لقد آمنوا بك يا ولدى بعد موت قائديهما، تشابهك مع لازاروس ألهمهم ولم شملهم ثم ألهب حماسهم،

قصتك ستكون أنشودة طالما سيتغنى بها (ريون)،

تبسم لوشيان وهو يكمل :

لا أدري السر في ذلك يا بني، ولكننا مدينون لعالمكم بالكثير بعد كل ما قدمتموه لنا ثلاثتكم.

التفت لوشيان إلى (لارا) التي وقفت جواره، ليكمل:

- أنت.. والسيد (مسعود)، و ابن السيد مسعود الذي كان أقرب أصدقائي، قبل أن يقتله الإمبراطور ويحتضر بين ذراعي، يوصينى بتربيه ابنته التي لم تكن قد تجاوزت عامها الثامن بعد .

أثارت العبارة انتباه طارق فاتسعت عيناه فى ذهول، أومأ لوشيان برأسه تأكيدًا لما تفتق إليه ذهن طارق فأدار الأخير بصره صوب لارا التي دمعت عيناها عند ذكر لوشيان لذكرى موت والدها وجدها تلاقت عيناه وعيناها الدامعتان،غير مصدق ما سمع، جال بخاطره سؤاله عن التمثالين النصف متهدمين، بينما لارا أجابته وقتها بإجابة مبهمة علقت فى ذهنه .....(ربما أحدثك عنهم يومًا) ..

حاول التعقيب لكن المزيد من الغشاوة تكاثفت فى عقله، سعل مرتين فتناثرت الدماء من فمه، انزعجت لارا بينما لوشيان يتفحص جفنيه المحمرتين فى قلق بالغ، ثم غمغم له :

- بنى ! لا مزيد من الطاقة ستجدى معك ، خلاياك تلفظ مكوناتها وتنتحر دون تجديد، جسدك ينهار يا طارق ولا سبيل له سوى تذكرة عودة .

تسللت الكلمات إلى عقل طارق وكأنه يحلم، بينما يجاهد ليبقى عينيه مفتوحتين، نزل متحاملا على لوشيان ومن خلفهما لارا يمرون وسط الجنود المصطفين عن اليمين وعن الشمال يخفضون رؤوسهم فى إجلال وهيبة

خرجوا من القاعة الإمبراطورية حتى وصلوا لقاعة الميتراتاور التى لحقها دمار شديد والأجهزة في وسطها تطلق شررًا كهربيًا بينما عدد من علماء لوشيان يجاهدون لإبقائها تعمل وسط جنود متأثرين بمنقذهم الأسطورى فتركوا أسلحتهم وعكفوا على معاونة العلماء فى سرعة وجدية شديدة.

تقدم أحد العلماء من لوشيان يناوله شريحة الكترونية صغيرة التقطها منه ثم مال على طارق المتحامل على ذراعة شارحًا له :

- بنى، هنا ستجد معادلات تخص أبحاثك، تجنبنا فيها كل أخطائنا السابقة، كنا نتمنى تلقينك إياها وسطنا، ولكن فرصتك الأخيرة في المغادرة قد حانت .

بأعين نصف مغلقة تطلع طارق للشريحة ثم أطبق يده عليها يومئ برأسه فى امتنان .

تنحنح العالِم الذي لم يكن قد غادر بعد، قائلًا:

– معذرة سيد لوشيان لقد وصل النيزك منذ قليل وقد استخلصنا منه طاقة الانتقال، الأجهزة المتاحة لدينا تتداعى، ستكون فرصة واحدة إن لم نستغلها فعلينا الانتظار سنوات حتى نعيد بناء كل شيء .

التفت طارق للوشيان مكررًا: النيزك!

أومأ لوشيان برأسه: تستحقها يا طارق، أما نحن فتكفينا حريتنا.

تلاقت أعين طارق مع لوشيان فى امتنان دفيء وتبسم صافٍ ووداعٍ صامت.

ترك لوشيان طارق لضابطين عاوناه فى احترام على الوقوف وسط مكان مخصص لبث طاقة الانتقال ، تركاه فى حرص وحذر خشية سقوطه، تبسم فى تهالك يطمئنهم بما لا يملك فتراجعا فى بطء حتى خرجا من نطاق البث .

وضع طارق الشريحة فى جيب سترته ثم التفت يودع الجميع بنظرات تموج داخلها المشاعر وتمتزج الأحاسيس، لا يصدق حقيقة أمر بات ضربًا من الخيال ، بدأ بغتة و الأدهى أنه الآن ينتهى ، كيف تقبّل فكرة وجوده فى عالم آخر بل وتأقلم معها وخاض فى غمار الأحداث التى تداعت على مخيلته وكأنها حلم بعيد منسى تجاهد لتتذكر بدايته، فكما يقال دائمًا نتذكر البداية عندما تحين النهاية، كان وقتها خائفًا وجلا تجول فى رأسه الظنون والأخيلة، كيف جاءته (لارا) و رآها أول مرة داخل البئر؛ كيف عاونته، ثم عاونها؛ كيف علمته، ثم أنقذها، ثم احتدم بينهما الخلاف، ثم قاتلا متجاورين فى لحظات لن ينساها ،سيحتضر قريبًا إن لم يغادر، كم القدر قاسٍ! ألا يمكن أن ...... !

التفت إلى لارا، واقفة جوار لوشيان متعلقة فى يده تتساقط الدموع من عينيها تسيل على وجنتيها أنهارًا .

تردد العد التنازلي للحاسوب يعلن بقاء خمس ثوان على تمام الانتقال، لتومض شحنات كهربية حوله لم يعبأ بها بينما عيناه مركزتين على عينى لارا وكأنه يبث إليها برسالة صامتة عبر عقله الذى بات يموج كألف بحر ثائر متلاطم من المشاعر، هل حقًا سيعيش ما تبقى له من عمر على ذكرى هذا الوجه؟! هل حقًا لن ينظر في عينيها بعد الآن؟

ازدادت الشحنات الكهربية تدريجيًا، وبدأ ضوء مبهر يسطع في القاعة، ينعكس على دموع (لارا) التي خفق قلبها في قوة وشريط ذكرياتها يمر أمام عينيها : والدها، تربية لوشيان لها كابنته، طفولتها فى ريون، مراهقتها، نضجها، مشاركتها في المقاومة، القدر الذى أعطاها فرصة آخري !

التفتت لارا إلى لوشيان، وتلاقيت أعينهما للحظات فطن فيها الأخير لما تموج به نفسها من حيرة وتردد، فأجابها بابتسامة صامتة حانية مرتجفة.

عادت تلتف إلى طارق الذي ظلت عيناه متعلقتين بها، وقد التمعت داخلها دمعة لم ترها (لارا) فى عينيه من قبل، ازدادت الشرارات الكهربية حوله تخفي وجهه، والكمبيوتر يعلن تبقي ثانيتين على فتح الثغرة، ثم ثانية، ثم سطع في القاعة ضوء مبهر أغمض الجميع له أعينهم بعد أن أغشى أبصارهم؛ فى الوقت الذى شعر فيه لوشيان بيد (لارا) تضغط برفق على يده، ثم تتراخى .. وتنسل منها.

انفتحت الثغرة، وتم النقل بفرقعة عنيفة ثم خبا الضوء تدريجيًا، وأطلقت الأجهزة شررًا عنيفًا وتداعت معطوبة، ومن ثم عادت القاعة إلى سكونها بعد أن أصيب الجميع بصمت مهيب ومطبق .



الخـــاتمة

لطالما دفعتكم أعزائى لإطلاق عقولكم واقتحام سبل ودروب العلم بلا سقف ولا حدود، أؤكد لكم الآن والفت انتباهكم على وجوب تضييق تلك الحدود فيما لا تتخطى أمور إنسانية من شأن التدخل فيها إفساد توازن الطبيعة كما خلقها الخالق ومن ثم وقوع البلاء فوق رؤوسنا جميعًا ، لا يجب أن يتحول الإنسان يومًا ما إلى برومنيوس مصلوب فوق غرائزه تنقر غربان المجد كبده.

جميعكم يعلم أن أبحاثي حول مشروع (كيمتريل) الذي كنت على وشك الإعلان عنها لم تكن دقيقة وستسفر عن كارثة رأيتها رؤى العين، غير أن أرسل لنا الله من يُنذرنا ويرشدنا للدرب الصحيح الذى يتجانس فيه العلم بالإنسانية، حتى لا نفقد هذه الأخيرة .

أنهى الدكتور طارق عبد المنعم محاضرته داخل مدرج كلية العلوم بجامعة الإسكندرية بهذه العبارة، وهو يلملم الأوراق أمامه مبتسمًا ابتسامة مشرقة، وهو يضيف:

– أراكم المحاضرة القادمة إن شاء الله

بدا واضحا أن الطلبة فى حالة من الانبهار وفضول جامح يعتريهم، بدا فى أعينهم وتحركاتهم عندما رفع الجميع أيديهم يطلبون إذنًا للسؤال، ضحك طارق ثم أشار لأحدهم :

- دكتور طارق، هل ستكمل هذه الأبحاث بعد ثبوت فشلها وخطورتها؟

لا إراديًّا مست أصابع طارق جيب سترته ثم أومأ برأسه إيجابًا:

- بالطبع! .. ولكن على ضوء معطيات جديدة تجعلها آمنة تمامًا .

رفع آخر يديه سائلًا:

- دكتور، هل احتفظت بتلك القوة الخارقة التي اكتسبتها في البعد السادس، كما سمعنا من الأخبار !!!

ابتسم طارق، وهو يغمز بعينيه مغادرًا القاعة، قائلًا:

- ربما!

خرج طارق فى عجالة تلاحقه عشرات الأسئلة ، لكنه مضى يحث الخطى عبر الرواق الطويل داخل مبنى الجامعة وعلى وجهه ارتسمت ابتسامته الودود يتلقى التهاني من زملائه على عودته سالمًا يرى الفضول ومئات التساؤلات تطل من أعينهم لكنه كان على عجالة من أمره، اقترب من غرفة مكتبه فاستوقفه رنين هاتفه ، تلقى صوت والده عبر السماعة يداعبه قائلًا:

- حتى فى يوم مؤتمر عالمى أنت ضيفه الرئيسى تصر على عدم التغيب عن محاضراتك .

- بالتأكيد تلامذتي أيضًا لهم حق علي، ولكن قل لي أولًا كيف حال صحتك اليوم يا حاج عبد المنعم؟

ضحك والد طارق، وهو يقول:

- في خير حال يا ولدي منذ أن عدت إلي سالمًا، وها أنا ذا أقوم بتجهيز طعام الأسبوع

- الأربعاء لا يعني سوى السمك المشوي والأرز، ولكن هل أخبرك أمرًا يا حاج؟ إما أن تتزوج أنت، أو أتزوج أنا لنجد من يطهو لنا الطعام .

ضحك والد طارق بشدة ثم أخبره أنه هو المرشح الأقوى لذلك، كانت مداعبة قصيرة طمأنت طارق على صحة والده التى تدهورت طوال فترة غيابه ، ثم بدأ يستردها سريعًا بعد أن عاد وسط ذهول العالم تحاصره التساؤلات وتحيط به علامات الاستفهام فتقرر له مؤتمرًا عالميًا ميعاده اليوم، لكشف النقاب والإجابة عن التساؤلات رسميًا بحضور إعلامى عالمى ضخم جعلوه بعنوان (العائد من العالم الأخر)

دخل طارق غرفة مكتبه، أفاق من شروده على صوت مصطفى يجلس داخلها كعادته دائمًا يداعبه قائلا :

- مازلت تطيل فى المحاضرة، لن يتغير (طارق عبد المنعم) حتى لو ذهب لعالم آخر.

خطا طارق داخل مكتبه قائلًا :

- أنتَ تحلم، أنا لن أتغير أبدًا

ضحك مصطفى بصوت مرتفع، وهو يشر إلى نقطة ما خلف طارق قائلًا:

- أرجو أن تحتفظ بنفس حماستك الآن.

التفت طارق إلى حيث يشير مصطفى، إلى (لارا) التي اقتربت من زاوية الغرفة، وعلى وجهها ابتسامة مشرقة، ترتدى ثوبًا أبيض اختارته بنفسها جعلها كالأميرات، أطلق له طارق صفيرًا من بين شفتيه وهو يهتف:

- يا إلهي! أنت فاتنة!

ابتسمت (لارا)، وهي تقول مداعبة:

- ماذا كنتَ تقول عن تغيير عاداتك؟

ذهل طارق لحظة ثم انفجر ضاحكًا و معه مصطفى و الأخير يقول:

- أين حماستك الآن؟ إنها حفيدة من الأرض يا عزيزي، فلا تتعجب كثيرًا!

ابتسم طارق، وهو يلتفت إليها قائلًا:

- ولكنها تربت كأميرة في عالم آخر .

تنحنح مصطفى مداعبًا، وهو يقول:

- أعتقد أن عميد الكلية كان يبحث عني، شرع فى المغادر ثم توقف يشير لإسطوانات حاسوب فوق المكتب قائلًا :

- لارا ، هذه الإسطوانات التى طلبتيها، جميع أجزاء فيلم ستار تريك

تطلع طارق إلى لارا بوجه يملؤه الدهشة، كورت جانب فمها فى تبرم مفتعل قائلة : أريد أن أعرف بما كنت تشبهنا طوال الوقت.

ضحك طارق ومصطفى وسط حرج لارا، دنا مصطفى من باب الغرفة يقول مداعبًا :

- البعض لهم عميد الكلية ، والبعض لهم أميرات من عالم آخر!

أشار مصطفى لساعة يده قائلًا :

- أرجوك يا عزيزى لا تتأخر عن موعد مؤتمر عالمى ينتظرك فيه الجميع .

أومأ طارق برأسه إيجابًا ثم استوقف مصطفى متسائلًا :

- مصطفى! .. ألم يتحدث معك صفوت رحمه الله عن أى شيء يخص أبحاثنا المشتركة !!

توقف مصطفى لحظات مفكرًا وقد بدا الأسى على وجهه ثم انفرجت شفتاه قائلًا:

- فى غمار الأحداث ومحاولاتنا المستميتة لمنع تسرب الغاز السام، كان يتحدث عن خطورة العبث مع الطبيعة، واعتبر ذلك خطأ فادحًا.

تنهد طارق وقد بدا عليه انجلاء حمل شديد يثقل صدره مغمغمًا:

- هذا هو صفوت - رحمه الله - الذى أعرفه .

أطلت نظرة تساؤل من عينى مصطفى صادفت ابتسامة مطمئنة من طارق دون إجابة عاد على أثرها مصطفى لداخل الغرفة يربت على كتف طارق فى ود قائلًا:

- لا تحمل نفسك بما لا تطيق يا طارق، صفوت كان يقاتل من أجلنا مثلما كنت تفعل أنت تمامًا، حتى توفاه الله ..هذه هى المشيئة.

هز طارق رأسه في أسى، مغمغمًا:

- فليرحمه الله.

غادر مصطفى الحجرة، تاركًا (لارا) تحيط بكلتا يديها كف طارق وتهمس له:

- هكذا الأزمات دائمًا نفقد فيها كل عزيز وغال، لكن تبقى أسماؤهم وأرواحهم ساكنة فى قلوبنا .

ابتسم طارق ابتسامة مشفقة، وهو يربت على كتفها في رفق، عندما لمح أيضًا نظرة حزن أطلت للحظات من عينيها، تفهم سببها، فهمس لها مطَمْئنًا:

- أعلم ذلك يا لارا، وأعدك أيضًا أن نجد طريقة لإعادة الاتصال بـ (ريون) أعتقد أنهم أيضًا يحاولون إصلاح آلياتهم الآن .

أومأت برأسها إيجابًا تغالب حزنًا بدا فى ملامحها قائلة :

- إنا متأكدة من ذلك، لكن الآن يجب أن تتجهز للمؤتمر بعد قليل .

❋❋❋

رغم درجة الحرارة المنخفضة التى خيمت على الأرجاء إلا أن قرص الشمس الذهبى بدا بازغًا فى سماء الإسكندرية تنعكس خيوط أشعته البراقة فوق زجاج نوافذ مكتبة الإسكندرية ببنائها الدائرى المائل تجاة الشمال يمثل قرص شمس يبزغ من وسط بركة مياه صناعية فى إشارة واضحة وتلميح غريب لإمكانية خروج العلم من وسط الماء فيما يتناسب مصادفة مع ما مر به الجميع من أحداث، وشاهد على حضارة تخطت الثلاثة وعشرين قرنًا من الزمان حينما وضع الإسكندر الأكبر أساسها فى نفس موقعها الحالى لتشع نورًا يهتدى به القاصى والدانى فوق أرض مدينته الساحرة كما أبدعها له مهندسه الخاص (دينوقراطيس)

وفى باحتها العشبية عند مدخلها الأمامى بدا نشاطًا وزخمًا إعلاميًا غير مسبوق وتجمهر حول منصة إعلامية ضخمة تكثر فوقها مكبرات صوت تحمل شعارات جهات إعلامية عديدة يحتشد إمامها العديد من الصحفيين ورجال العلم والسياسة والجمهور المترقب حتى تخطوا ساحة المكتبة وامتدوا يقطعون الشارع الرئيسى لحدود كورنيش البحر فى انتظار (العائد من العالم الأخر) كما لقبوه

صعد منسق المؤتمر بحلته الأنيقة تزين وجهه وابتسامة دبلوماسية دائمة يتحدث العربية ثم الإنجليزية يشكر الحاضرين ويرحب بهم ثم بدأ بمقدمة قصيرة حول ما مر على العالم من الغاز الأطباق الطائرة وحوادث الاختطاف الفضائى وما يعتريها من شكوك غير مؤكدة إلى أن وصل بحديثه عن حادث

الإسكندرية المؤكد من كل وسائل الإعلام ، أشار وقتها لطارق قائلًا كمن يلقى الكلمة الافتتاحية لحفل ساهر :

- والآن بطل الأحداث الرئيسة، من تعامل مباشرة مع آخرين فى هذا الكون، كما لقبتموه أنتم بالعائد من العالم الآخر الدكتور طارق عبد المنعم.

صعد طارق بابتسامة هادئة وخطوات بسيطة وسط تصفيق حاد يدوى من حوله، تراجع المقدم يصفق له بدوره يفسح له المكان حتى استقر طارق خلف مكبرات الصوت، جالت عيناه فى الأرجاء ترصد والده ومصطفى فى الصف الأول، وعن يساره قرب سلم المنصة وقفت (لارا) بزيها الأبيض الملائكى تلفت الانتباه من وقت لأخر تثير تساؤلات بلا إجابة تشرق من بين ثغرها ابتسامة عذبة مطمئنة

تنحنح طارق كما لو أنه أطمأن من تواجد المقربين له من حوله ثم بدأ فى شرح نظرية الأكوان المتوازية ببساطة انتقل منها إلى ميله الشخصى لتصديق وجود كائنات عاقلة غيرنا فمن غير المنطقى أن يخلق هذا الكون الفسيح لنا فقط غير أنه لا يتفق مع تبديد مواردنا فى البحث عنهم، بل نتركهم هم ليجدوننا فى حال تطورهم وذلك ما حدث معه، صمت لحظات ثم أشار للحاضرين بإمكانية إلقاء الأسئلة عليه، بدأ وقتها سيل من الأسئلة حاول الرد عليه بموضوعية وخفة ولباقة لا تهويان بهم لقرارة اليأس ولا تعلوان بهم لعهد اليقين ، بل كانت تخيب آمال البعض أحيانا، حتى السؤال الخاص بأبعاد فتح ثغرة من جديد لريون، أبقى إحداثياتها بالاتفاق مع مصطفى طى الكتمان .

إلى أن جاء السؤال الذى يخشاه :

– هناك أقاويل يا سيد طارق بأن ذلك العالم الذى سميته (ريون) قد أعطاك شريحة تحوى المعادلات الصحيحة لمشروع الكيمتريل الذى كنت ستعلن عنه قبل بضعة أيام قبل تلك الأحداث !!ما تعليقك !

وجم طارق وشرد لحظات تدور فى عقله مشاهد سماء ريون المدمرة يتذكر إحصائيات الصرعى المخيفة من الأرض جراء مرور عدة أمتار مكعبة من الغاز السام .. لوشيان طمأنه للنتائج هذه المرة لكن من المؤكد أن تجربتهم فى البداية كانت مؤكدة مطمئنة أيضًا فالأخطاء لا تظهر إلا عند التجربة .

شعر وكأن الأصوات قد خبت من حوله، دار بعينيه على جوه الحاضرين بين مترقب ومستبشر، تحسس الشريحة فى جيب سترته ، تبسم وفى عينيه اللامعتين سرًا أبى أن يغادرهما، عاد للصحفى ببصره قائلًا :

– لا، لم يحدث أن أعطونى شيئًا ، فقط حذرونى من العبث بالطقس والتوازن البيئى وإلا فمصيرنا لن يختلف عنهم كثير.

سرى الهرج والاستنكار بين الحاضرين بعد عبارة طارق ، حتى (لارا) كست الدهشة وجهها تطل نظرة متسائلة من عينيها تلاقت مع ابتسامة فاترة من طارق وعيناه تشى بما يدور بخلده، بادلته الابتسامة وهى تومئ برأسها مشجعة له بعد أن فطنت لكونه يخشى على مصير الأرض من مصير مماثل لريون ، فتحمل على عاتقه إخفاء تلك المعادلات حتى يحمى الأرض من سكانها الذين ثبتت التجربة أنهم أعداء أنفسهم بما يقومون به من عبث بالطبيعة وإخلال بالتوازن البيئى يخدم أطماع تحت مسمى العلم والتكنولوجيا .

شكر طارق فجأة الحاضرين بابتسامة مجاملة ونزل سريعًا من فوق المنصة

تلاحقه نظرات الاستنكار والدهشة التى لم تعد تعنيه فى شيء بعد أن توقف أمام (لارا) أسفل المنصة يتبادلان حديثًا صامتًا تبتسم ابتسامة تحمل شيئًا من العتاب على هذه المفاجأة ليجيبها :

- كنت مترددًا لكن بعد أن علمت من مصطفى أن صفوت صديقى وشريكى فى الأبحاث رحمه الله شعر أيضًا بأننا أخطأنا بابتكار ذلك المركب المدمر، وقتها أصبح من حقى أن أصرف نظر العالم عن تلك الأبحاث واطمسها للأبد .. هذا أفضل للجميع .

أومأت (لارا) برأسها موافقة تقترب من طارق أكثر تهمس له .

- خيرًا فعلت .

أحاط طارق كتفيها براحتيه قائلًا :

إنها قرارات لحظية تلك التى تصنع فارقًا فى مستقبلنا، مثلما فوجئت بكِ تتعلقين بذراعى أثناء الانتقال .

تبسمت وأغشت عينيها طبقة من الدموع عندما تداعت ذكرى تلك اللحظة على مخيلتها

رفع طارق وجهها إليه يطالع عينيها هامسًا :

-أنتِ هديتى فى هذه الرحلة

اكتفت(لارا) بابتسامة حانية، قبل أن تدفن وجهها في صدره تتلمس منه الأمان والاطمئنان وسط سطوع عشرات فلاشات الكاميرات الخاصة بالصحفيين من حولهما، يضمها إليه بحنان بالغ وحب جياش عميق، كأنه قادم من بئر سحيق، بئر يطل على عالم آخر، عالم يدين لنا بحريته وندين له بهواء نستنشقه وخيوطِ شمس .. ما زال مقدرًا لنا أن ننعم بدفئها .

❋❋❋

في إحدى القاعات الطبية المتهدمة بفعل قذائف أحد الروبوتات داخل المدينة الإمبراطورية في البعد السادس، بدت حركة خافته أسفل أنقاض ذلك السقف المتهدم، فبرزت يد شخص من بين الركام وتلتها يده الأخرى، ثم ظهر من أسفل الأنقاض شخص مشعث مغبر، لم يكن سوى ذلك الطبيب الذي عاون (طارق) داخل المدينة، ينفض عن رأسه غبار كثيف أخفى ملامحه ، يتلفت حوله وهو يهتف فى سخط :

- تبًا لكم ! أين منظاري الطبي اللعين؟!

تمَّت بفضل الله



للتواصل مع الكاتب:

Facebook: ahmed.badran.1428@facebook.com



noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

بمجرد أن أعلن الدكتور (طارق عبدالمنعم) عن ابتكاره لأداة خطية ترفع من قدرات المشروع العالمي المعروف بالكيمتريل حتى حاصرته أحداثٌ غريبة انتهت بدعوة شخصية غامضة قلبت حياته جحيماً، ودفعته لتلاوة آثار استنكار وريبة كل من حوله، لولا أن بات الأمر على مرأى ومسمع من الجميع، وقتها فقط ساد الصمت وشخصت الأبصار وشرعت الأعناق تتابع الأحوال بالقوة القاهرة، لكن بعد فوات الأوان، بعد أن تعلمت البشرية درساً قاسياً لن تنساه أبداً

***

أحمد محمود بدران رواق من مواليد القاهرة عام ١٩٨٤م، ماجستير في القانون، صدر له العديد من القصص القصيرة ونشرت له في سلسلة كتب تابعة "للجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي" كما نشرت له سلسلة مذكرات شبح بمجلة (نون) الورقية، فاز في مسابقة إبداع الكبرى للقصة القصيرة على مستوى العالم العربي، يخرج إلينا برواية "كيمتريل" أول أعماله الروائية من أدب الخيال العلمي



